

حِوارُ مع كافرٍ

ادِّعاءاتٌ أثارها المُلحِدون والرَّدُّ عليها

د. أحمد حسين الرفاعي

القدس

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م





د. أَحْمَد حُسَيْن الرِّفَاعِي

القدس

١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م




بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة



الحمد لله أولا وأخيرا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

هل أنت ملحد أم لا ؟

لا أدري!

هذا السؤال هو الذي يخصّ الإلحاد والملحد، وهذه هي أقوى إجابة لديه، وليس طرح الشبهات والرد عليها، لأن رفض الإجابة بقوله: (لا أدري) فإن لديه إشكاليات قوية ونقاط ضعف يخَشى من نقاشها.

لذا، فإننا نعيش في زمانٍ كثر فيه الشك والتشكيك بالقيم والعقائد، ومن أخطر هذه الشكوك: ظهور بعض الناس في الدول الإسلامية ينكرون وجود الله تعالى، ويسندون ما يحدث في هذا الكون إلى الطبيعة، أو إلى الصدفة، ويجهرون بذكر أدلتهم في وسائل الإعلام، مستغلِّين ضعفَ عقيدة توحيد الله عند بعض المسلمين.

والملحدون في وقتنا هذا، عادة ما يقتاتون غذاءهم الفكري وطاقاتهم الكلامية من وسائل التواصل الاجتماعي على طرح الشبهات حول الإسلام أو القرآن أو النبي ﷺ، فهم كالمتلقن لا يناقشون أو يطرحون وجهة نظرهم المتعلقة بالإلحاد من ذات أفكارهم، وذلك لأن موقفهم ضعيف جدا، فليس أمامهم إلا أن يهاجموا ويشككوا ليبقى المسلم في موقف دفاعي دائم!

وفي بعض الأحيان نجد أن المشكلة لا تكمن في الملاحدة، فهم أهل إنكار ومكابرة على أية حال، وإنما المشكلة في بعض المسلمين ممن يتوهم أنه كلما جاءه ملحد بسؤال، فإنه يجب عليه أن يجد له الجواب المفحم والمفصّل على نحو ما يريد.

كما يجب إدراك أمر هام، هو أن الإيمان بالخالق والنبيّ محمد ﷺ ليس مقترنا عند المحاورين المسلمين بمعرفة جواب كل شاردة وواردة ترميها الشياطين في خواطر الناس بشأن أفعال الله جل وعلا! فهذا جهل لا يضرّ، لأن معرفة هذه الإجابات بكل تفاصيلها، سواء في أمر العقيدة أو الفقه، لا يكون شرطا ملزما للمسلم كي يرد على الثوابت التي يجحدها الملاحدة، هذا أمر يعلمه الملحدون تمام العلم، ولو جئناهم بعشرات التأويلات والتفسيرات والتعليلات والأجوبة فلن يكتفوا، لأن الغاية عندهم ليس الوصول إلى الحقيقة، وإنما البقاء على الإلحاد.

لقد رأى الملحدون الكثيرَ من الدلائل في الكون وفي أنفسهم ما يشهد بوجود الله، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]، ولكنهم آثروا الإنكار والجحود، مع يقينهم بوجود هذا الخالق العظيم؛ كما في قوله تعالى :﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[2] . فكان هذا الجحود والإنكار نتيجة استكبار واستعلاء، وسيطرة أهواء وشهوات على عقولهم وأفعالهم.

د. أحمد حسين الرفاعي

القدس

(١) [فصلت: ٥٣].

(٢) [النمل: ١٤].



تعريف الإلحاد

الإلحاد: يعني إنكار وجود الله، وأن هذا الكون وُجِد صدفة، وبلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وأن تغيّرات الكون قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، وسينتهي الكون كما بدأ، ولا توجد حياة بعد الموت.

ويطلِق القرآن الكريم على المنكرين لوجود الله تعالى اسم (الدَّهْرِيَّة)، وفيهم قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[1]. قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي: ما ثَمّ إلا هذه الدنيا، يموت قومٌ ويعيش آخرون، وما ثَمّ ميعادٌ ولا قيامةٌ.

ويعتقد الفلاسفة الدَّهريَّة المنكرون للصانع، أن في كل ستةٍ وثلاثين ألف سنةٍ يعود كل شيءٍ إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مراتٍ لا تتناهى، وللرد على هؤلاء قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[2]. أي: يتوهَّمون ويتخيَّلون.



---

(١) [الجاثية: ٢٤].

(٢) [الجاثية: ٢٤].



تعريف الدَّهريَّة

الدَّهريَّة: هي مذهب كل من اعتقد في قِدَم وأزلية الزمان والمادة والكون، وأنكر الألوهية والخَلْق، والعناية والبعث والحساب، كما يرون أن الموجب للحياة والموت هو طبائع الأشياء وحركات الأفلاك.

وهؤلاء الدَّهريَّة المنكرون للألوهية هم أقرب الكافرين من الملاحدة المعاصرين، كما يخبرنا القرآن الكريم عما سيدّعيه بعض الدهريين بعد أربعة عشر قرنًا عن خلق الكون والإنسان من عدم.

فيقول الحق ﷻ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[1].

إن معنى قوله سبحانه: ﴿ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ هنا أي: من غير مادة ومن غير سبب، كأن الشيء يخلق ذاته، وقد ادعى الملاحدة المعاصرون وقوع هاتين الفرضيّتين المستحيلتين!



(١) [الطور: ٣٥].



معنى الطبيعة

الطبيعة: هي القوة والصفات الموجودة في الشيء، فتجري بها كيفيات ذلك الشيء على ما هي عليه.

فالملحدون يقولون: إنّ الطبيعةَ قوةٌ أوجدَت الكون، وهيَ قوةٌ حيّةٌ سميعةٌ بصيرةٌ حكيمةُ قادرة.

فماذا يعنونَ بالطبيعة؟

هل يعنون ذاتها وذوات الأشياء؟

أم يريدون بها القوانينَ التي تحكمُ الكون؟

أم يريدونَ بها قوةً أخرى وراءَ هذا الكونِ أوجدَتهُ وأبدعَتْه؟

أم أنهم أرادوا بالطبيعة الكونَ نفسَهُ؟

هل هذا يعني أنّ الشيء يوجِدُ نفسَه؟

هل يعني أنّ الكونَ خلقَ الكون؟

هل السّماءُ خلقتِ السّماء، والأرضُ خلقتِ الأرضَ؟

هل الكونُ خلقَ الإنسان والحيوان؟

إنّ العقلَ الإنسانيّ يرفضُ التسليمَ بأنّ الشيءَ يوجِدُ نفسَه، فضلاً عن أنْ يخلقَ شيئاً أرقى منه؛ فالطبيعة مِنْ سماء وأرض ونجومٍ لا تمتلك قدرات حسية؛ لا تملكُ عقلاً ولا سمعاً ولا بصراً!!

فكيف تخلقُ إنساناً سميعاً عليماً بصيراً؟! هذا لا يكون!

وإنْ أرادوا بالطبيعةِ أنها القوانينَ التي تحكمُ الكونَ، على أساس أنّهُ يسيرُ على قوانينَ تنظّمُ أمورَه في كلّ جزئيّاته، والأحداثُ التي تحدثُ فيه تقعُ وفقَ هذه القوانين؛ فهذا تفسيرٌ لما هوَ واقعٌ، وليسَ تفسيراً وجواباً عن كيفيّةِ وقوعِه!

هذا القول هو في الحقيقة ليس جواباً عن السؤال: من خلق الكون؟

العلمُ يكشفُ عن الكيفيّة التي يعملُ بها الكون.

وكيفيّةِ تأثيرِ القوانينِ في الأشياء.

ونحنُ نريدُ إجابةً عن موجِدِ الكون.

وموجدِ القوانين التي تحكمُه.

هل يكشفُ لنا العلمُ كيفَ صارتْ هذه الوقائعُ قوانين؟

وكيف قامتْ بين الأرض والسماء على هذه الصورةِ النادرة المدهشةِ!؟

حتى أنّ العلماءَ أصبحوا يستنبطونَ منها قوانينَ علميّة!

إنّ ادّعاءَ الإنسان بعدَ كشفهِ لنظام الطبيعة؛ أنّهُ قد كشف تفسيرَ الكون ليسَ سوى خدعة لنفسه؛ إنّ الطبيعة لا تفسّر شيئاً من الكون، وإنّما هي نفسُها بحاجة إلى تفسير.

وإنْ أرادوا مِنَ الطبيعة أنها قوةً خارقة وراءَ هذا الكون أوجدتِ الكون، وأنّها قوةٌ حيّةٌ حكيمةٌ قادرة، فجوابه: هذا صوابٌ وحق، لكن خطأهم أنّهم سمّوا هذه القوّة (الطبيعة).

وقد دلّت هذه القوةُ الخارقة الخالقة على الاسمِ الذي تستحقهُ، وهو(الله).

الله عرّفنا بأسمائه، وعلينا أن نسمّيه بما سمّى به نفسه.

فالله مشتَق من إله، والإله يقتضي مألوهاً إما بحق أو بغير حق، والاسمُ غيرُ المسمّى، فمن عبدَ الاسمَ(إله) دونَ المعنى الحقيقي (الله) فقد كفر ولم يعبدْ شيئاً، كمن يعبد البقر، أو يعبد(بوذا) أو يعبد النار أو الفئران! وهذه كلها عند بعض الشعوب نسميها إله بغير حق.

ومن عبدَ الاسم والمعنى فقد كفرَ وعبدَ اثنين، كمن يصلي أمام قبر أحد الأولياء من أجل أن يوصله إلى الله.

ومن عبدَ المعنى دونَ الاسم فذاك التوحيد الحقيقي، كمن يعبد الله بمعناه وحده؛ وبكل ما يتصل به من أسماء وصفات تعود إليه، ولو كانَ كل اسمُ منها مسمّى منفصل عن الله لكانَ كلُّ اسمٍ منها إلهاً، ولكنّ الله اسم ومعنى واحد يُدلّ عليه بهذه الأسماء.





كيف دخل الإلحاد بلاد المسلمين؟

يمكن أن نوجز ذلك إلى أسباب عديدة أبرزها:

١- انحراف كثير من المسلمين عن دينهم أو جهلهم به، واندماجهم مع الخرافات والأكاذيب والبدع.

٢- هزيمة العالم الإسلامي عسكريا وسياسيا أمام القوى الدولية الأخرى، فما كاد الأوروبيون يمتلكون القوة المادية، ويستخدمون الآلات ويبنون المصانع، حتى اتجهوا إلى الدول الإسلامية بحثًا عن الأسواق وجلبًا للمواد الخام، ولما كان العالم الإسلامي في غاية الضعف الاقتصاديَّ لم يصمد أمام تلك الهجمة، مما كان له أثره في تقليد الأوروبيين بسبب الشعور بالنقص؛ ظنًّا من بعض المسلمين أن أوروبا لم تتطور إلا عندما أبعدت الدين عن الحياة.

٣- احتلال وسيطرة الدول الغربية على كثير من بلاد المسلمين عشرات السنين، نهشت لحوم شعوبها وامتصت دماءهم، ثم تركتهم بعد ذلك مجرد هياكل عظمية هزيلة تستجدي منهم كل شيء، وأهم الأشياء الغذاء المادي والفكري.

٤- تركيز الدول الأوروبية على إفساد التعليم، والإعلام، والمرأة، وتشويه

صورة علماء المسلمين، مع الحرص على نشر الفوضى الخُلقية والإباحية؛ وقد غرق كثير من الشباب في مستنقع التلوث الفكري والإلحاد.

٥- تغلغل الجهل بدين الإسلام، وانتشار الخرافات؛ فاستغل الملاحدة ذلك، ودخلوا من خلاله إلى الطعن في الدِّين.

٦- توجّه كثير من أبناء الدول الإسلامية إلى الدول الأوروبية لطلب العلم والشهادات، فعاشوا في تلك البلاد وتأثروا بما فيها، ثم رجعوا بشهادة الدكتوراه بعد أن فقدوا شهادة: لا إله إلا الله.

٧- تقصير علماء المسلمين في جانب الدعوة إلى الله، وخاصة في جانب ترسيخ عقيدة توحيد الله.

٨- انتهاء دور الخلافة الإسلامية وإسقاطها لأول مرة في تاريخ الإسلام السياسي والعسكري، بعد أن كانت الوعاء الآمن يضم ويحتضن مئات الملايين من أجناس كثيرة في هذا العالم.

٩- ناهيك عن انشغال كثير من المسلمين في أوطانهم بالبحث عن لقمة العيش، أو ملذات الدنيا، أو الكسل والخمول والركون إلى الراحة.[1].



(١) راجع: كتاب الإلحاد، عبدالرحمن عبدالخالق (ص: ١٨-٣١)، أيضا: رسائل محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة: (ص: ٣١-٣٣).

أسباب انتشار الإلحاد في المجتمع المسلم

قد نجد أسبابا كثيرة ومختلفة ينتج عنها عزلة الإنسان عن مجتمعه وأفكار البيئة التي يعيشها، وبالتالي إنكار وجود إله خالق له وللكون، ولعل من أبرز هذه الأسباب:

١- بيئة الشخص، حينما ينشأ في بيتٍ خالٍ من آداب الإسلام ومبادئه، ومن يقوم على أمر تربيته مِن أب أو أمٍّ أو أخ، فأقل شبهة قد تمسّ ذهنه وينحدر إلى هاوية الإلحاد.

٢- اتصال مسلم ضعيف النفس بملحدٍ يكون أقوى نفسًا وأبرع لسانًا، فيفسد عليه أمر دينه.

٣- قراءة المسلم بعضًا من مؤلَّفات الملحدين؛ وقد دسّوا فيها سمومًا من الشبهات تحت ألفاظ جميلة وبراقة، فتضعف نفسه أمام هذه الألفاظ، ثم لا يلبث أن يدخل في زمرة الإلحاد.

٤- البحث عن الشهوات، فيرى أن تحريم الله لهذه الشهوات خالٍ من كل حكمة ومنطق، فيخرج من العفة والحلال إلى ارتكاب المعاصي والإلحاد[1].



(١) كتاب الإلحاد، شيخ الأزهر السابق محمد الخضر حسين ـ (ص: ١١).



ما الفرق بين الكفر والشرك والإلحاد؟

الكفر، هو إنكار النعمة، وهو اسم يقع على ارتكاب مجموعة من المخالفات والانحرافات التي تتعارض مع طبيعة الحياة السليمة في هذا الكون والفطرة البشرية فيه، أهمها إنكار خالق حقيقي لهذا الكون، أو إيجاد شريك له في الخلق، ومنها إنكار أنبياء ورسل وكتب سماوية، ومخالفة تعليمات جاءت بها، وغير ذلك مما يطول الكلام فيه.

فالكفر خصال كثيرة، وكل خصلة منها ضد الإيمان؛ لأن الإنسان إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيّع خصلة من الإيمان.

أما الإلحاد في المفهوم المعاصر، يعني تعطيل الخالق وإنكار وجوده، وعدم الاعتراف به، وأن العالم وما فيه قد جاء بمحض الصدفة، وهذا مناف للفطرة البشرية والعقل والمنطق السليم، ومناقض لبديهيات العقل ومسلَّمات الفكر.

أما الشرك فهو يتضمن الإيمان بالله وبوجوده والإقرار به، ولكن يشمل أيضا الإيمان بشريك له في خلقه، يخلق أو يرزق، أو ينفع أو يضر، أو بشريكٍ يُصرَف له شيء من العبادة محبة وتعظيما.

وبالتأمل نجد ما يدلنا على سوء حال هؤلاء.

ألا ترى أن اليهودي لا يسمى ملحدا وإن كان كافرا، وكذلك النصراني؟

فالشرك هو إيجاد آلهة مع الله أو ما يوصله إليه، على وجه التعظيم له والمبالغة في صفته وما في هذا المعنى، فهو بمنزلة الكافر لها.

ورغم ذلك كله، فالملحد الجاحد المكذِّبُ بوجود الله ورسله واليوم الآخر؛ أعظمُ كفرًا وأشنعُ مقالةً من الذي آمن بالله وأقرّ به، ولكنه أشرك معه شيئا من خلقه، فالأولُ معاند مكابر إلى الحد الذي لا يتصوره الفكر ولا تقبله الفطرة، وينتكس عقله إلى حد لا يخطر على البال، ومع ذلك، ومع وجود هذه الظاهرة في قرارة أنفس الملحدين، إلا أن كثيرا من المفكرين وعلماء النفس قرروا أن الملحد إنما يظاهر بإلحاده، وهو في باطنه مُوقِنٌ بإله خالق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ما معناه: الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله، حسدا أو كبرا أو إتباعا لبعض الأهواء، وإن كان الكافر المكذب أعظم كفرا، كذلك الجاحد حسدا وكبرياء.

فالكفر والإلحاد، كلمتان لطالما سببتا الرعب وبثتا الذعر في نفوس الناس على مرّ التاريخ، رغم أنهما مجرد كلمتين، فهما مثل (الشيفرة) التي يمكن أن

تعني أشياء مختلفة بالنسبة لأناس مختلفين في أوقات مختلفة، طبعا في الزمن القديم كان لهذه الكلمة مفعولها السحري والمدمر، أما اليوم فإنها لا تحمل أكثر من مجموع حروفها، وفي الكثير من مجتمعات العالم المعاصر، أصبحت خارج التداول.

فالإلحاد بالله: ليس هناك إلحاد في حقيقة الأمر، لأن الإنسان لا يمكنه أن يلحد بشيء لا يعرفه، وحتى تلك المعرفة الشكلية التي قد يتحدث عنها بعض الناس، فهي في الغالب لا تأتي من تجربة شخصية، وإنما مما قرأه الإنسان في الكتب، كذلك ليس هناك إيمان مجرد حقيقة، لأن الإنسان لا يمكنه أن يؤمن بشيء لا يعرفه، ما يؤمن به هنا هو مجرد صورة متخيلة لما قرأه أو سمعه، لهذا، كان لا بد من وجود قناعات في داخل الإنسان بضرورة التصديق بالغيبيات والكتب السماوية والأنبياء والرسل من خالق هذا الكون، ليس من أجل توسيع خيال وأوهام، إنما من أجل تحقيق استقرار نفسي وعاطفي للإنسان، وتحقيق الأمان والاطمئنان في داخله، إذ لا يمكن الحصول أو الوصول إلى هذه النتائج إلا بالتوجيهات من الخالق الحقيقي لهذا الكون.





يقول الملاحدة:

المطالبة برؤية الله لم ولن تكن دليلاً على شيءٍ أكثر من التصديق بوجود شخصيةٍ تُسمي نفسها الله.

ويقولون: بل حتى لو رأينا الله وجهًا لوجه، فهذا لوحدهِ ليس دليلاً كافياً على أن الله هو التفسير المنطقي على أنه خالق الكون والحياة.

كيف نستطيع استيعاب فكرةٍ الخلق؛ لم ولن تحدث مرةً أخرى؟

بداية الوجود؟

وجود آلهة؟

وهي كلها أشياءٌ لا تنتمي لواقعنا اليوم!

ألا تبدو فكرة الخلق وكأنها أوهام ماطرةٌ من السماء؟

يجب علينا تصديقها فقط لأنها ذُكرت في كتبٍ مقدسةٍ؟

تم حشوها في أدمغتنا منذ نعومة أظافرنا؟

هل المطالبة بدليلٍ على فرضيةٍ غريبةٍ جداً مثل وجود كائنٍ موجودٍ قبل الكون اسمه الله؛ خَلَقَ الكون من العدم، هي فرضيةٌ تنتمي إلى عالمنا اليومي؟

هل نرى كل يوم إلهاً يخلق كوناً أمامنا فنصدق ذلك؟

ثم نستغرب من الذي يُنكر مثل هذه الفرضية؟؟

هل يريدون منا بأن نؤمن بالله أو بالملائكة أو الشياطين؟

هل صُنع الحياة من العدم فكرة تصدقها عقولنا اليوم؟

هل إرسال الأنبياء والكتب الهاطلة من السماء يُعتبر من ضروريات حياتنا اليوم؟

جميعنا نعرف بأنهُ حتى هذه اللحظة لا يزال هنالك من يعتقد بأن حركة الغيوم وهطول المطر، لهما أسبابٌ روحيةٌ تقع ما وراء الطبيعة.

لهذا لا زلنا نسمع وبشكلٍ مخجلٍ ما يُسمى صلاة الاستسقاء!

بل حتى هنالك من يعتقد بأن السماء هي سقفٌ مرفوعٌ بلا عمد!

وأنّ فوق هذا السقف توجد روحانيات وعالم الآلهة والملائكة.

تخيل أن نتقبل كل هذه الفرضيات دون أن نجرؤ على السؤال عن مدى مصداقيتها؟

تخيل أن نتقبل بأن الكون كلهُ وكل ما فيه، ما كان إلا من أجلنا نحن البشر؟

تاريخياً نعرف بأن الاستهزاء والملاحقة كانت دائماً من مصير العلماء والفلاسفة الذين تجرؤوا على طرح تساؤلاتٍ كهذه.

يجب أن نخرج من نطاق الوهم والخرافة.

يجب أن نؤمن بعقولنا للوصول إلى نتائجٍ حقيقيةٍ حول ماهيّة الكون الذي حولنا.

يجب أن نؤمن بالمنهج العلمي للوصول إلى أجوبةٍ لاستفساراتنا العلمية.

وعندما يعجز العلم عن الإجابة عن أسئلةٍ نطرحها؛ فإن المجال واسعٌ أمام العقل الإنساني للبحث عن أجوبةٍ تناسب قدراتنا وتطلعاتنا، لا أن نُعيد علك ما بَصَقَتْهُ الأقوام التي قبلنا بقرون، ونتباهى بأفكارٍ لم تعد تُضحك العالم بعد، بل تُثير ريبتهم حول الكهف الذي خرجنا منه.

حاول أن لا تعتمد على معتقداتك الدينية في تعاملك مع البشر من حولك!

بل عامل البشر جميعهم انطلاقاً من إنسانيتهم!

جميعنا بشرٌ ونطمح للسعادة والحياة.

وأنت نفسك أيها المؤمن تطمح للسعادة والحياة الأبدية من خلال اعتقادك بوجود حياةٍ ما بعد الموت!

فلا تحتكر هذا الحق لنفسك.

دعِ البشر يبحثون عن السعادة بأنفسهم.

ولا تجبرهم في كيفية البحث عن شكلٍ محدد لهذه السعادة؟!

وتقولون بأنها الله!





الردّ على الملحدين

نعيش في زمانٍ ظهرت فيه طوائف من الناس في الدول الإسلامية ينكرون وجود الله تعالى، ويسندون ما يحدث في هذا الكون إلى الطبيعة، أو إلى الصدفة، ويجهرون بذكر أدلتهم على إنكار وجود الخالق العظيم في وسائل الإعلام، مستغلِّين ضعفَ عقيدة توحيد الله عند كثير من المسلمين، وقد رأى الملحدون الكثيرَ من آيات الله تعالى في الكون، وفي أنفسهم؛ ما يشهد بوجوده، وأنه هو الخالق؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]. ولكنهم آثروا الإنكار مع يقينهم بوجود هذا الخالق؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[2]، فكان ذلك الإنكار نتيجة كِبرهم واستعلائهم، وسيطرة أهوائهم وشهواتهم على عقولهم وأفعالهم.

---

(١) [فصلت: ٥٣].

(٢) [النمل: ١٤].

وإننا لنعجَب ممن تجرأ على الله الخالق وأنكر وجوده، ولو نظر ذلك المنكر لوجود الله في نفسه، لعلم ضعفه وحاجته له، وخاصة وقت مرضه، ووقوع المصائب والنكبات.





من أوجد اللّه؟

هذا حوار دار بين مؤمن بالله بكونه خالق الكون، وبين ملحد لا يؤمن بالله، كلّ منهما يعبّر عن وجهة نظره بحرّيّة، يتساءل الملحد ويجيبه المؤمن.

الملحد: إن كان لكل موجد سبب، وبما أن الله موجود، فمن أوجده؟

المؤمن: السؤال غير منطقي، ليس لكل موجود سبب، بل كل ما له بداية له بادئ، الكون له بداية حسب نظرية الانفجار العظيم السائدة إلى حدّ الآن.

إذا، الكون له بادئ ومسبب من خارجه.

أما الله فإنه أزلي؛ أي لا بداية له.

ولهذا، فإن علّة وجوده في داخله وليست خارجة عنه.

الله هو الذي خلق قانون السببية ونحن اكتشفناه.

فلا يُعقل أن يخضع الخالق لقانون من صنعه.

الله خلق الزمان والمكان، فلا يصح أن نتصوره مقيّدا بهما، فالله لا يحدّه زمان ولا مكان. ولهذا نقول إن السؤال كان في البداية غير منطقي.

وكأنك تطلب أن نرسم دائرة مربعة، فليست هناك دائرة مربعة!

فإن كان الله هو الخالق، فليس الخالق أن يكون بالضرورة مخلوقا.





هل خلق اللّه الشرّ؟

الملحد: تقولون أيها المؤمنون أن الله خلق كل شيء، والشر شيء، إذا فالله هو من خلق الشر!

المؤمن: كلا، فالظلام هو غياب النور، والبرودة هي غياب الحرارة، على نفس النمط نقول: الشرّ هو غياب الخير، والله خلق البشر أحرارا، ومع الحرية يأتي الاختيار.

لنضرب مثلا في ذلك، (هنري فورد) هو أول من أنتج السيارات بأعداد كبيرة، اشتراها الناس وقاموا بقيادتها ونتج عن ذلك حوادث دموية كثيرة.

هل يمكن أن نقول أن (هنري فورد) هو صانع الحوادث؟

طبعا لا، هكذا الحال مع الله.

لقد خلق الله الإنسان حراً، ولكن الإنسان أساء اختيار حريته وصنع الشر؛ قتلَ وسرق، واغتصب ودمّرَ.

فلماذا نلوم اللهَ على شرّ الانسان؟

الله لم يخلق الزنى والقتل والسرقة، إنها شرور الإنسان التي تدفعه شهواته الغير مقيدة لارتكاب الشر والمعاصي التي نهى الله عنها في كتبه ووصاياه لأنبيائه ورسله.





لماذا ترك الله الشر في العالم؟

الملحد: ألم يكن بمقدور الله أن يخلق عالما لم يكن فيه احتمال وقوع الشر؟

المؤمن: طبعا كان بمقدور الله ذلك، لقد كان أمام الله اختيارات كثيرة عندما قرر أن يخلق.

أولا – كان يستطيع أن لا يخلق على الاطلاق.

ثانيا – كان يستطيع أن يخلق عالما من (الروبوتات) البشرية المسيّرة التي تعمل من دون عقل وبدون أي حرية.

ثالثا – كان بمقدوره أن يخلق مخلوقات حرة، ومع وجود الحرية يكون هناك احتمال لوجود الخير والشر.

اختار الله الاختيار الثالث، وهو منح مخلوقاته العاقلة الحرية الكاملة، وقد يظن البعض أن هذا ليس أحسن عالم ممكن، لكننا لو أمعنا التفكير لوجدنا أن هذا هو الطريق الأفضل لأفضل عالم، من الخطأ أن نحكم على كتاب بعد قراءة فصل واحد منه.

الله لم يرد أن يقضي على الشر وحرية الانسان معاً، في نهاية المطاف سوف ينقسم البشر إلى فريقين، فريق سيختار طريق الله بمحض إرادته وكامل حريته، وفريق آخر سيختار طريقاً آخر بعيدا عن الله، بمحض إرادته وكامل حريته.





كيف يتفق وجود الشرّ مع قدرة اللّه؟

ملحد: العالم فيه براكين وزلازل، وأمراض وأطفال تولد مشوهة، وتموت في بطون أمهاتها.

هل يتفق وجود الشر مع وجود الله الكلي القدرة والرحمة؟

كيف يتفق هذا مع وجود الله الكلي القدرة والرحمة؟

المؤمن:

أولا - أعتقد أيها الملحد أن هذا لا يقف دليلا ضد وجود الله، لربما أن ذلك يحدث لأسباب يعرفها الله ولا نعرفها نحن.

فالإنسان تحيط به الكثير من الأسرار التي لا يعرف تفسيرا لها.

وعدم معرفتنا للأسباب لا يعني عدم وجودها.

قبل كل شيء علم الله أكبر من علمنا بما لا يقاس، وبالتالي فإن إدراكنا قد يقصر عن فهم الأسباب.

ثانيا- كثير من الشرور هي نتيجة طبيعية لأفعال الإنسان، أمثلة على ذلك: الدول المتقدمة تختبر أسلحتها النووية بتفجيرات تحت الأرض، وما ينتج عنها من زعزعة استقرار الأرض والقضاء على جميع أنواع الحياة فيها.

أمهات تدخن وتتعاطى المخدرات أثناء الحمل.

ممارسة الإنسان للجنس مع الحيوان وما ينتج عنه من نقل الأمراض.

الإنسان يلوث الماء والهواء والبيئة عموماً بمخلفات المصانع.

الإنسان سبب الاحتباس الحراري بما ينتجه من ثاني أوكسيد الكربون.

الإنسان سبب تمزق طبقة الأوزون الواقي لغلاف الأرض.

وكذلك سبب سقوط الأمطار الحامضية. الإنسان يحصد ما يزرع، إنه مبدأ إلهي.





هل يرسل الله الأشرار إلى جهنم؟

الملحد: انا أعرف أنك تؤمن بإله تقول عنه كلي المحبة والرحمة، فكيف يرسل هذا الإله المُحبّ بشراً إلى جهنم ليخلدوا فيها؛ لمجرد أنهم أساؤا الاختيار لسنوات عمرهم القصير على الارض؟

المؤمن: الله لا يرسل أحدا إلى جهنم، الأشرار يختارون جهنم ويذهبون إليها بمحض إرادتهم، إنهم يرفضون طريق الله ويختارون طريق الشر لأنفسهم، هذا الطريق إن استمروا في السير فيه من غير توبة سينتهي بهم إلى جهنم والهلاك الأبدي، هذا الخيار للإنسان.

والعمر على الأرض ليس مبرّرا، فلو عاش الأشرار على الأرض مليون سنة، سوف يرفضون طريق الله وطريق الأخلاق الفاضلة، ويستقلون عنه، إنه اتجاه القلب نحو الشهوات الدنيئة، وهذا لا علاقة له بطول العمر أو قصره. فالإنسان الشرير يفضّل أن يذهب إلى مكان سيء باختياره، رغم علمه بالنهاية القاسية. خلق الله الإنسان حرا في اختياره واحترم الله هذه الحرية، مع أنها قد تؤدي به في كثير من الأحيان إلى ما لا يرضاه الله.

لاشك أنه يوجد منطق للإيمان بوجود الله والغيبيات وفق ما جاء به الإسلام، كما يوجد منطق آخر لمن يتبنى أفكار الإلحاد ويتنكر بها لوجود الله والإيمان ببقية الغيبيات، والحوار بين منطق الإيمان ومنطق الإلحاد قديم جداً، ولطالما انحرفت بعض العقول البشرية عن الفطرة السليمة التي بها يعظّم الإنسان ربه، ويرى أثر قدرته في كل شيء حوله.

هذا وقد سجل القرآن الكريم الكثير من الحوارات بين من يمثل الإيمان وبين من يمثل إنكار ما وراء الطبيعة، واتضح ذلك جلياً في كثير من الآيات؛ كحوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع عبدة النجوم والكواكب.





هل الله موجود؟ وما دليل ذلك؟

بعد ظهور بعض الشباب الملحد على صفحات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام المختلفة، معلناً تحدّيه للمؤمنين ببعض الأسئلة التي يراها الملحد سبباً في عدم إيمانه، ومعتقداً اعتقاداً جازماً أن العقل البشري لا يستطيع الردّ عليه، كان من الواجب عرض هذه الأسئلة وإجابتها في صورة مناقشة هادئة بين العقلين.

القضية الأولى التي يتناقش حولها المؤمن والملحد هي قضية وجود الله.

هل الله موجود؟ وما دليل ذلك؟

وما حقيقة قانون السببية الذي يعني أن لكل صنعة صانعاً؟

وأن لكل خلق خالقاً؟ ولكل موجود موجداً؟

وإن كان كما تقولون: النسيج يدل على الناسج، والرسم يدل على الرسّام، والنقش يدل على النقّاش، ألا يحق للعقل أن يسأل بنفس قانون السببية: من خلق الخالق؟

الجواب: إن سؤال من خلق الخالق؟ فاسدٌ عقلاً ومنطقاً للآتي:

أولاً: لأنك جعلت الله خالقاً ومخلوقاً في نفس الوقت، فتقول: الله خالق وفي نفس الوقت تسأل: من خلق الله؟

فالله لو كان خالقاً لا يمكن أن يكون مخلوقاً! ولو كان مخلوقاً لا يمكن أن يكون خالقاً! وهو ﷻ الخالق الذى خلق الخلق من العدم، ويستحيل عقلاً تصور الجمع بين كونه خالقاً ومخلوقاً.

ثانياً: أنك تتصور أن الخالق يخضع لقوانين مخلوقاته، فالسببية قانوننا نحن المخلوقين (أبناء الزمان والمكان) والله الذي خلق الزمان والمكان خارج عن نطاق الزمان والمكان، لا يتقيد بهما، وهو الذي خلق قانون السببية وأيضاً لا يتقيد به.

فالإنسان الآلي مثلاً، يعمل بالريموت والبطارية، لا يمكن أن يصنع إنساناً آلياً مثله!

وقديماً ذكر (أرسطو) تسلسل الأسباب قائلاً: إن الكرسي من الخشب، والخشب من الشجرة، والشجرة من البذرة، والبذرة من الزارع، واضطر إلى القول بأن هذا الاستطراد المتسلسل في الزمن اللانهائي، لابد أن ينتهي بنا في البدء الأول إلى سبب في غير حاجة إلى سبب، ومحرك في غير حاجة إلى

من يحركه، وهو كلام منطقي نفس ما نقوله عن الله سبحانه.

فالله تعالى هو الدليل الذي لا يحتاج إلى دليل، لأنه ظاهر في النظام والدقة والجمال والإحكام.

ظاهر بقدرته في ورقة الشجر، في ريشة الطاووس، في جناح الفراشة، في رائحة الورد، في ترابط النجوم والكواكب.

فلو قلنا: إن الكون قد جاء صدفة، لكنّا كمن تصور إلقاء قطع غيار سيارة في الهواء لتتجمع وتصبح سيارة بدون شركة تصنيع!

فهل تستطيع المصادفة أن تنشئ طريقاً برياً سريعاً؟

أو هل تستطيع المصادفة أن تنشئ شركات للنقل وتنظم عملها بإتقان؟

وهل منطق التدليل على أن الصدفة قد تصل لدرجة دقة التصميم في الكون صحيح؟

قال (هلسكى)[1]: لو جئنا بستة قرود وأخذت القرود تضرب على (الكيبورد) مئات السنين، هل ستخرج بقصيدة كما هي قصائد شكسبير!

---

(١) توماس هنري هكسلي: وُلد في إنكلترا (١٨٢٥- ١٨٩٥) وفي عام ١٨٥٤ أصبح أستاذاً للتاريخ الطبيعي في المدرسة الملكيّة للمناجم، وفي العام التالي عالماً طبيعيّاً في هيئة المسح الجيولوجي البريطاني، وشغل عدة مناصب أخرى.

هذا بالطبع مستحيل! إنه مثال يدلّل عكس اتجاه الملحد! ويناقض فكرة اللا سبب.

ولو افترضنا حدوث ذلك! حيث إن القصيدة هذه جاءت عبر تفاعلات عدة أسباب لإنتاجها، فالقرود والضرب على الكيبورد، وجهاز الكمبيوتر نفسه، والحبر والورق والزمن، كلها أسباب تتفاعل لإنتاج هذه القصيدة، فلا نستطيع أن نقول إن القصيدة طبعت صدفة دون سبب.

فضلاً عن أن التفاعلات الطبيعية في الكون، لا يمكن أن تصل إلى دقة صنع هذا الكون العجيب.

إذن مثلما كان من المستحيل أن تظهر شركة للنقل مصادفة! فمن المستحيل أن يظهر جهاز الدورة الدموية في جسم الإنسان مصادفة.

ومثلما كان هناك من قام بقطع الفولاذ قطعة قطعة لتكوين المواد اللازمة لإنشاء برج (إيفل) مثلاً، كان هناك من خلق عظام الإنسان بهذه الأطوال المختلفة، ورتبها في جسم الإنسان بهذا التركيب المتناسق مع شكله في صورة الهيكل العظمي، إنها القوة العظيمة، وإن الله تعالى هو صاحب هذه القوة.

ظاهرة الإلحاد وعلاقتها بالإيمان، والتقدم، والنزعة الإنسانية، والإبداع،

يمكن الكشف ضمنيا عن مفارقة وهى أن (الإلحاد الإنساني) يتكامل مع (الإيمان الروحي) جوهريا، رغم تناقضهما الظاهري، فكلاهما يسعى إلى الارتقاء بالإنسان وزيادة سيطرته على مصيره سواء بجهده الذاتي كما يتصور الملحد الإنساني، أو بدعم العناية الإلهية كما يتصور المؤمن الروحي، أما التناقض الحقيقي فغالبا ما يدور بين طرفين متمايزين داخل المعسكر نفسه سواء الإلحادي أو الديني.

داخل المعسكر الإلحادي ثمة تناقض بين الملحد الإنساني والملحد العفوي.

الأول مشغول حقا بالمصير الإنساني، عميق في تأمله، يطلب لنفسه وللبشرية موقفا أكثر عقلانية وتحررا، ومساواة وعدلا، يتصور أن الأديان التاريخية قد وقفت حائلا دونه، لذا يسعى إلى الخلاص من وطأة ضغوطها جميعا.

أما الثاني: فلا يشعر بتلك المسئولية، ويسعى لإبراز التمايز وممارسة الاستعلاء على المتدينين، بذريعة رجعيتهم في مقابل تقدميته.

أما داخل المعسكر الديني، فثمة تناقض بين المؤمن الروحي والمتدين الشكلي.

الأول: يجعل من الدين جسرا أرضيا يحتضن البشرية ويرعى مُثُلها العليا، كالعدالة والخير والتعاطف مع الآخرين، جسرا علويا أيضا يربط عالم الشهادة بعالم الغيب، يدفع بالروح الإنسانية إلى تجاوز نفسها والتعالي على ضعفها، بما يكفله من طمأنينة للنفس، وتساميا على غرائز الجشع والأنانية.

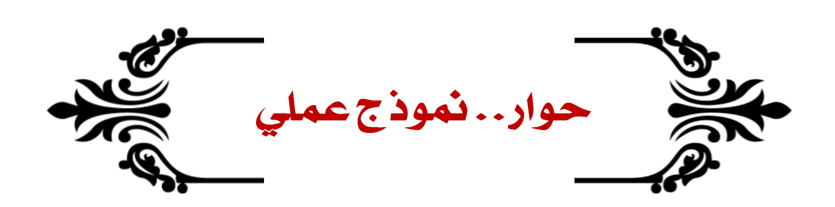
والثاني: يجعل من الدين جسرا للشقاق، يثير الأحقاد ويذكى الصراعات عندما يتسم بطابع عنصري أو مذهبي، بحيث لا يتعرف مدّعي التدين على نفسه إلا كنقيض للآخر، في سياق نفيه والتنكر له إلى درجة استباحة وجوده.

فالملحد الإنساني، رغم امتلاكه عقلا مسئولا وضميرا حيا، يدفعانه إلى الانشغال بالمصير الإنساني وكيفية تحريره من الخرافة والقهر، أما المؤمن الروحي، لكونه واسع الأفق، منشغلا فقط بتجسيد المبادئ السامية والمثل الرفيعة في عقيدته من دون وصاية على الآخرين الذين يراهم أحرارا مثله، لهم حق تلقى عقائدهم وتفسيرها بحسب عقولهم وضمائرهم، أو حتى رفض هذه العقائد كلية، فالأغلب أن يكون متسامحا مع الملحد، ومن ثم فإن الحوار بينهما ممكن.

وقد يرد عليه الملحد، بأن تاريخ الأديان شهد من الصراعات والمجازر ما يتناقض مع هذا التسامح، وأن عموم المتدينين قد عجزوا عن تمثيل مغزى الحضور الإلهي عندما حاولوا الحديث باسم الله، فجعلوا الإيمان مدخلا للاستبداد والقهر.

والأغلب أن حوارا كهذا، لن يقتلع الإيمان من قلب المتدين، أو الإنكار من عقل الملحد، الأمر الذى يفتح الباب على ثقافة أكثر رحابة وتعددية، خصوصا في تلك المنطقة الملتهبة من عالمنا العربي الإسلامي.





حوار.. نموذج عملي

الملحد: أنا لا أؤمن بوجود الله، أعطني دليلا على وجود الله؟؟

المؤمن: وأنا اؤمن بوجود الله، أنت من يحتاج أن يعطيني دليلا على عدم وجود الله!

الملحد: الأصل العدم حتى نثبت وجوده.

المؤمن: بل الأصل الوجود حتى يثبت العدم، فهو موجود في فطرتنا، وكل إنسان يعرف ذلك، خصوصا عندما يكون في مأزق وهو مضطر، تراه ينادي: وارباه!

الملحد: حسنا، دعك من العواطف، فنحن نريد الأدلة العقلية فقط! فأنت لا تعرف ما في نفسي ولا أنا أعرف ما في نفسك.

هذه من أكبر الطوامّ! فنحن المسلمون نحاول الاخلاص في النيات، والنفس تتقلب والشيطان يوسوس، ونحاول أن نجاهد أنفسنا ونصدُق معها، ونلتزم الموضوعية قدر الإمكان، ونقلل من شأن الذات الشخصية، ونعرف بأن الله مراقب لبواطننا كظواهرنا، ونحن في كل هذا بين كرّ وفرّ، لا يكاد يسلم أحدنا

من نية لم تصفُ لوجه الله في أمر ما، ثم يأتي الملحد وبكل بساطة يدعي تمام الموضوعية وصفاء النية، فهم أما كاذبون، أو لا يفهمون أنفسهم وحقيقتها!

المؤمن: وأنت قلتها! وإليك الأدلة العقلية المفحمة على أننا لا نستدل بها إلا على ما في فطرتنا، ولكن إمعانا للتحدي سأقول: انظر إلى ما حولك من الوجود وما فيه من تصميم؟

الملحد: لا يوجد إبداع ولا تصميم!

المؤمن: تقول ذلك !!!!!!

الملحد: انظر إلى الأمراض في الناس والأوبئة والكوارث و و و... أين التصميم؟

المؤمن: أيها العبقري: أنا لا اتكلم عن الأمراض، أنا أتكلم عن وجود تصميم، لا أتكلم عن ما تظنه أفضل هيأة لهذا التصميم، هذا يختلف لأنه نسبي، فما قد تعتبره أفضل هيئة وصورة قد لا أراه أنا كذلك، ولن يحدد مثل تلك الهيئة إلا من كان علمه وحكمته مطلقة، لا نسبية كالبشر.

الملحد: لا أفهم قصدك، وهذا كلام إنشائي تسويقي بلا فائدة.

المؤمن: إذا لم تفهم قصدي لا تتهم كلامي بأنه إنشائي، سأبيّن لك.

لو رأيت سيارة في الصحراء، هل كنت ستقول بأنه ليس لها مصمم؟

لو رأيت قمرا صناعيا يدور في الفضاء، هل كنت ستقول بأنه ليس له مصمم؟

الملحد: طبعا لا.

المؤمن: ولكنك كملحد تقول العكس تماما!!! فأنت كمن ينظر إلى سيارة فيقول: أنا لم يعجبني حجم العجلات، لو كان أكبر لكانت أكثر ثباتا على الأرض، لذلك هذه السيارة ليس لها مصمم!!!

الملحد: آه.

المؤمن: لذلك، كلما ذكرنا لك دليل التصميم هذا: بدأت تتفلسف وتقول ليس هناك تصميم!! تماما كما استنكرت عدم مصمم السيارة!

الملحد: آه، إن كان هذا قصدك، نعم هناك تصميم.

المؤمن: يا سلام! ومن أين جاء هذا التصميم؟

الملحد: قد تكون صدفة !!

المؤمن: صدفة!!

هل يأتي تصميم موجودات الحياة صدفة؟

أين عقلك؟

ولماذا رفضت أن يكون تصميم السيارة بالصدفة؟

وتصرّ أن يكون تصميم الكائنات الحية بالصدفة.

الملحد: لا، الكائنات الحية أمر مختلف، لأنها مرت بزمن طويل جدا عبر تدرج بطيء جدا، تطور وانتقاء طبيعي!

المؤمن: دعك من كل الكائنات الحية والتطور والانتقاء الطبيعي، أخبرني عن تلك الخلية الأولى للحياة، اعتبر تلك الخلية الأولى هي السيارة، كيف وجدت من غير مصمم؟

الملحد: لا أدري، ولكن هذا لا يعني أن المصمم هو الله، قد يكون أي مصمم آخر!

المؤمن: أي مصمم آخر!! أين عقلك؟ هذا التصميم ألا يدل على خالق مبدع.

الملحد: لا، ربما صدفة!!

المؤمن: صدفة!! حسنا، لو قمتَ بعملية حسابية على جميع عدد ذرات الكون، وحسبتَ جميع الأماكن التي يمكن أن تكون فيها، وحسبت عمر الكون المقدر بقرابة (١٥) مليار سنة، فإن الصدفة لن تقوم لتهييء المناخ المناسب لتلك الخلية الأولى رياضيا!!! ولم يستطع رياضي واحد إثبات حتى احتمال تحقق مثل هذا الأمر بالصدفة! ناهيك عن ثبات تلك الصدف المتراكمة!!

الملحد: حسنا، هناك تصميم وله مصمم عقلا، لكن لا يلزم أن يكون هذا المصمم هو الله، قد يكون المصمم أي شيء آخر!!! الدليل: انظر إلى كل الملحدين اليوم، جميعهم من العباقرة.

المؤمن: إن كان دليلك هو كيف يفكر غيرك وليس الدليل الواضح لك، فأنت تفكر بعقل غيرك!! ولن أقول لك الآن سوى كلمة واحدة: دعك من العواطف!!!





ملحد: ماهي العلمانية؟

مسلم: العلمانية بالإنجليزية (Secularismrlm) تعني اصطلاحا فصل الدين والمعتقدات الدينية عن السياسة والحياة العامة، وعدم إجبار الناس على اعتناق وتبنّي معتقد أو دين أو تقليد معين.

ملحد: لكن الدين الإسلامي سبق نظرية العلمانية بفصل الدين عن السياسة والحياة العامة وعدم إجبار الناس على اعتناق دين او معتقد بمئات السنين.

مسلم: أتعلمني ديني يا ملحد؟!

ملحد: بل إنك لا تعرف دينك أيها المسلم، وإن عرفته فأنت لا تفهمه.

مسلم: كيف؟!

ملحد: القرآن يقول: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1]. دعوة حرة لاختيار الإنسان ما يناسبه من معتقد حتى لو شاء أن يكفر، ويقول القرآن:

---

(١) [الكهف:٢٩].

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1] دعوة أخرى لحرية الاختيار.

أما موقف الإسلام من القسر والإجبار فيقول القرآن: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]. كما أن رسولكم يقول لكم: **(أنا أعلم منكم بأمور آخرتكم وأنتم أعلم مني بأمور دنياكم)**[3] كدليل على فصل الدين عن أمور الدنيا.

مسلم: لكن ديني يحوي تشريعات تخصّ دنيانا؛ كالحدود وتنظيم الإرث والزواج وغيرها، فكيف أفصل بينها وبين دنياي أيها الملحد؟!

ملحد: وما يمنعك كمسلم أن تدخل تلك التشريعات ضمن قانونك الوضعي الذي يتناسب مع أمور حياتك؟! تطبق تشريعات الحدود والميراث والنكاح وغيرها مما يعتبر في الدين قوانين لتنظيم الحياة، ولن يعيبك ذلك في شيء.

مسلم: لكنك تقول أن العلمانية تفصل الدين والمعتقدات الدينية عن السياسة والحياة العامة!

ملحد: الفصل كحرية اختيار للدين والمعتقد عن السياسة والحياة العامة؛

(١) [الكافرون:٦].

(٢) [يونس: ٩٩].

(٣) رواه مسلم.

وعدم زجّ الدين في كل أمر خلافي أو سياسي يختلف عن وجود تشريعات دينية ضمن قانون ينظم حياة الناس.

المسلم: هل أفهم من كلامك، أن نأخذ القانون من التشريعات الدينية، مع اختلاف المسميات؟!

الملحد: أنا أقصد أن السياسة عندما تسيطر على الدين تفسره بما يخدم أهدافها ومصالحها، وذلك يُفقد الدين معناه، ويجعله دنيويا ينزله من قدسيته، وتصبح العبادة بين الإنسان والسلطة بدلا من أن تكون بين الإنسان وربه، وعندما يؤمن الإنسان بشيء متكلفا وخائفا يتحول إلى منافق!

المسلم: أنت تشعر في نفسك كأنك أفحمتني في كلامك، أنت دائما تحاول فصل التشريع الديني عن الحياة بأي حال، إنك لا تعترض على احتواء الأحكام الشرعية في قانون وضعي ينظم حياة الناس، ولكنك تعترض أن نقحم اسم الله فيها! هذه حساسية تلازمكم، يا له من تناقض بغيض!!






دليل المادة

من أدلة الملاحدة على نفي الإله قولهم: إن أساس هذا الكون كان مادة شبه غبار منتشر، ثم حدث أن تحرك حركةً انتهت بتكوين هذا الكون وما فيه في انفجار هائل، وللرد على هؤلاء يُقال لهم: إن هذا التفسير سخيف! لقول خالق هذا الكون: ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾[1].

وإن كان هذا التفسير حقيقة !!

فهل تستطيعون أن تثبتوا من الذي كوّن ذلك الغبار؟

ومن الذي جمعه؟

ومن كان السبب في تلك الحركة التي جعلت الكون كله يتفجر؟

ومن الذي جعله يتكون على نحو ما هو عليه؟

إنهم لا يجدون لهم جوابا غير أن الصدفة هي التي فعلت ذلك، وهو افتراض بدون أساس ناتج عن خيال كاذب وفهم قاصر، ثم يقال لهم:

---

(١) [الكهف:٥١].

إذا كان وجود هذا الكون عن طريق الصدفة!

أليس من الممكن أن توجد صدفة أخرى تقضي على هذا الكون كله؟

وتتعطل كل هذه الكائنات من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك؟

بل والإنسان نفسه أعظم آية!

كيف أوجدته الصدفة من العدم؟

وكيف وُجد الإنسان الحي من مادة ليس لها حياة.

قال الفيلسوف الألماني (كانت): ائتوني بالمادة وسوف أعلمكم كيف يخلق الكون منها!

وقال (هيجل)[١]: إنني أستطيع خلق الإنسان لو توفر لي الماء والمواد الكيماوية والوقت!

وهكذا زعموا أن العلم أوصلهم إلى أن الكون إنما وُجد من مادة؛ وأنه لا أثر للخالق فيه، وبالتالي فلا حاجة مع وجود هذه العلوم والاكتشافات إلى القول بالخالق.

---

(١) (جورج فيلهلم فريدريش هيغل) بالألمانية (Georg Wilhelm Friedrich Hegel) : فيلسوف ألماني ولد عام 1770 يعتبر أحد أهم الفلاسفة الألمان، ومن أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر.

وقالوا: لقد كان الإنسان القديم يعتقد أن خروج الكتكوت من البيضة إنما كان بقدرة إلهية، أما اليوم فقد علمنا أن الكتكوت بعد (٢١) يوما يظهر على منقاره قرن صغير يستعمله في تكسير قشرة البيضة، فيخرج منها ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيضة .إنهم حين يقفون عند هذا الحد في خلق الكتكوت تفوتهم أمور كثيرة لا يستطيعون الجواب عنها هي أشد من تكسير البيضة، إذ يقال لهم:

كيف يظهر هذا القرن؟!

ومن الذي منحه إياه لكسر البيضة؟!

فإذا قالوا: إنها الطبيعة، فيمكننا أن نقول لهم: إن هذه الطبيعة التي تقولون بها هي قوة خارقة في تكوين الخلق، وإنها هي الله، فيصبح الخلاف في وجود الله بين المؤمنين والملحدين خلافا لفظيا.ومهما اكتشف العلماء من اكتشافات، فإنها تبقى في حاجة إلى بيان القوة المؤثرة الخفية فيها، وهي التي حاد عنها الملاحدة ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1].

فالإنسان مهما كابر عقله، فإنه يعلم في قرارة نفسه أن الشيء لا يوجد نفسه، وأن العدم لا يوجد الموجودات المشاهدة المنتظمة في أكمل وأدق نظام،

---

(١) [النمل:١٤].

والمادة التي جُعلت إلها في نظرهم هي نفسها مخلوقة، حتى وإن وصفوها بصفة الإله.

ومن الملفت للنظر أن هذا الإله المختلق (المادة) لا يصفونه بالحكمة ولا التدبير، وهذا ما أكده عمالقة الإلحاد كل في زمانه ومكانه، أمثال (دارون) و (أنجلز) و (ماركس) ومن سار على منهجهم في زعمهم فوضوية المادة؛ على أن هذا الإلحاد الذي قرره هؤلاء لم يكن وليد أفكارهم، وإنما أنشأته ظروف كثيرة قبلهم، ومنها الحياة الدينية في أوروبا حينما انفصلت عن كل شيء يشير إلى الدين، وحل محله طغيان رجال الدين الكنسي الذي نتج عنه بغض الأديان وبغض مصدرها، وهو ذلك الإله المنحاز إلى الطبقات الثرية، وإلى رجال الدين والحكام، ولا شأن له بالفقراء والضعفاء.

إن الملاحدة هربوا عن اسم الله والاعتراف به إلى اسم آخر؛ أعطوه نفس القدرة ونفس صفات الإله الحقيقي دون أي مبرر إلا الهرب من إله الكنيسة؛ دون أن يرجعوا إلى عقولهم وإلى سؤال أنفسهم بصراحة وصدق:

هل هذا الإله الذي جعلته الكنيسة ستارا لطغيانها هو فعلا الإله الحقيقي؟

أم أنه إله مخُتَرَع، وورقة رابحة في أيدي الطغاة؟

إنهم لو طلبوا الحقيقة؛ سيجدونها واضحة صريحة، وسيجدونها في مكان لا يقل كراهتهم له عن كراهيتهم للكنيسة، إنه الإسلام!





التفسير الميكانيكي للكون

الحقيقة عند العقلاء، أن الخالق يوجد الأشياء عند وجود أسبابها؛ إلا إذا أراد عدم وجود تلك الأسباب، وحينما اكتشف علماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أن الكون يسير وفق قانون الأسباب، طار الفرح بمفكري الملاحدة، وظنوا أنهم وجدوا ما يبحثون عنه في التدليل على عدم وجود خالق، لأن كل الأشياء ناتجة عن أسباب، ولا ضرورة حينئذ إلى القول بوجود إله أو خالق موجد، لأن جميع ما يجري في هذا الكون إنما يحدث لأسباب مادية دون تدخل خارجي، وهذا يُغني عن القول بوجود إله أو خالق، وهو ما يسميه بعض الباحثين (التفسير الميكانيكي للكون)، ومن الطريف أن العلماء الذين اكتشفوا هذا القانون لم يزعموا أنه بديل عن الله؛ بل صرحوا بأنه عادة الله في الخلق أن تجري الأمور بواسطة أسباب، وأن الله يُجُري مشيئته في الكون بواسطة أسباب، ولكن الملاحدة جعلوا هذا ضمن أدلتهم على تقوية إلحادهم ونظريتهم إلى الدين بعين البغضاء، وأنه بزعمهم ينافي العلم، وكيف لهم أن يكون هذا الاكتشاف دليلا على عدم وجود إله خالق الذي قدر الأسباب وفق عادته في هذا الكون، وقد أشار الله تعالى إلى هذا في القرآن حينما أُمرت مريم بأن تهز جذع النخلة؛ وهي في حالة الإعياء

والتعب في وقت الولادة، ليفهم الناس أن الله يُجري الأمور بأسبابها.

وقد وجد الفلاسفة الملاحدة صفعة أبطلت نشوتهم بهذا الاكتشاف الميكانيكي، وذلك حينما عجز العلماء عن الإتيان بتفسير للأسباب الكامنة في بعض القضايا مع وضوح آثارها دون أن يعرفوا وجه العلة والمعلول فيها، فعلى سبيل المثال: فإن الراديوم عنصر مُشعّ واليكترونات فيه تتحول إلى حطام تلقائيا، وقد أجرى العلماء تجارب لا حصر لها لكي يصلوا إلى سبب إشعاع الراديوم، ولكن كل التجارب انتهت إلى الفشل، ونحن نجهل حتى اليوم سبب تحطم إلكترون ما وخروجه عن نظامه النووي في الراديوم، وأيضا نحن نشاهد المغناطيس وهو يشدّ نحوه الحديد، وقد أقام العلماء نظريات كثيرة لشرح هذه الظاهرة ولكن أحدهم كتب يعلق على هذه النظريات قائلا:

" إننا لا نعرف لماذا يشد المغناطيس الحديد نحوه، ربما لأن الله أصدر إلى المغناطيس أمرا بذلك."

ولقد اعترف الملاحدة بعد طول جدل بأن قانون السببية ليس حقيقة مطلقة بالمفهوم الذي افترضوه، بل لقد قرروا أخيرا أن نظام العالم لا يخضع لهذا القانون الناتج عن الصدفة المحضة، وإنما هناك قوة خارقة وعقل ذو وعي يدبر شؤون هذا العالم! وكان سائدا عند الجُهّال في القرون الأولى أن هناك

آلهة مشتركة في تدبير هذا الكون، وهي تخضع في النهاية لإله واحد هو أكبرها، ثم تغيرت هذه النظرة إلى ما هو أقبح منها؛ وهو الإلحاد المادي الحديث القائم على الصدفة؛ مما لم يقل به الملحدون قديما.





نظرية النشوء والارتقاء؟!

وهي العملية التي تتغير بها الكائنات الحية بمرور الوقت؛ كنتيجة للتغيرات في السمات الجسدية أو السلوكية الوراثية، بحيث تسمح للكائن الحي بالتكيّف بشكل أفضل مع بيئته، وتساعده على التكاثر والبقاء بواسطة ما يسمى ب(الانتخاب الطبيعي)، وصاحب هذه النظرية الملحد(تشارلز روبرت داروين) عالم تاريخ طَبيعي وجيولوجي بريطاني، ولد في إنجلترا عام ١٨٠٩، توصل إلى فكرة أن الأنواع تتطور وتتغير عبر السنين، وقد تطورت هذه النظرية وأثارت جدلًا بين العلماء، وبعد مرور (١٦٢) عاما على نشوء هذه النظرية، قدم العلماء الأميركيون دليلا علميا على أن هذه النظرية كانت خطأ، وذلك بكشف فريق عالمي من علماء أصول الجنس البشري من جامعتي (كين ستيت) و(كاليفورنيا) النقاب عن أقدم أثر معروف للبشر على وجه الأرض، وهو هيكل عظمي إثيوبي يبلغ عمره حوالي أربعة ملايين وأربعمائة ألف سنة، وأثبت هذا الفريق أن البشر لم يتطوروا عن أسلاف يشبهون قردة الشمبانزي، مبطلين بذلك الافتراضات القديمة بأن الإنسان تطور من أصل قرد، وكان هذا الاكتشاف العلمي ضربة قوية لهذه النظرية.

وقد كانت هذه النظرية من شُبه الملحدين التي استدلوا بها على إلحادهم، أي ارتقاء المخلوقات وتطورها في خلقها من شكل إلى آخر تلقائيا، صحيح يوجد كثير من أوجه الشبه بين بعض الكائنات كالإنسان والقرد، ومع ذلك بقي كل كائن كما هو، وهذا لا يلزم من وجود الكائن الأول أن الكائن الذي يليه تولّد عنه، فلا يصح أن يقال: إن الإنسان تولد عن كائن آخر سبقه في الوجود، وإلاّ لزم التسلسل، واستمر هذا التطور والتغيير إلى اليوم، وهذا لم يحصل أبدا.

صحيح يوجد بعض الكائنات الحية تملك قدرة على التكيف مع الظروف؛ كظهور المناعة لمقاومة الأمراض في الأماكن البعيدة عن مراكز المدن، أو تغير لون الجلد بسبب الحرارة وأشعة الشمس، أو صلابة الأجسام والعظام في الأماكن الجبلية، لكن السبب في هذا التكيف يدل على قدرة خالق رحيم بهذا الكون وهذه المخلوقات لبقائها منتفعة بهذا التكيف وعدم انقراضها، فأي دليل للملاحدة في هذا على عدم وجود خالق؟ ولماذا لا يكون العكس؟

وهذه رغم دلالتها على وجود الخالق، إلا أنهم نظروا لها من جانب آخر بعيدا عن الفهم العلمي البيولوجي السليم، فزعموا أن أنواع الحياة قد وجدت نتيجة لهذه النظرية، ولو فرض وجود خالق لهذه الحياة فلا يمكن أن

يخلقهم على أشكال مختلفة تتطور في الحجم والنوع، سواء في الإنسان أو الحيوان أو النبات، بل يخلقهم مرة واحدة، كل صنف في تمام شكله ونوعه، بل زعموا أن المخلوقات تطورت بنفسها، وأن بقاءها يعود إلى قدرتها على التكيف مع الظروف التي تحيط بها على مر العصور.

إن ما يزعمونه من تطور المخلوقات بنفسها على مر العصور والأزمان.

إن هو إلا خرافات سخيفة.

فالإنسان الذي يعيش في المدن يعتمد على بناء البيوت من الإسمنت.

باستعمال المواد العازلة للحرارة والبرودة.

ولو كان هذا التطور صحيحا.

كنا وجدنا الإنسان (الأسكيمو) في القطب الشمالي.

وهو يبني بيته من الثلج !

ويبقى في حاله وشكله على مر العصور والأزمان.

لم يتحول إلى دبّ قطبي!

أو ينمو على جسده فرو أبيض يحميه من البرودة القاسية!

لو كان هذا التطور صحيحا؟

لأدى هذا إلى أن تصبح النملة في الصحراء جملا كبيرا !

أو تصبح الدودة في الغابة فيلا ضخما!

فما الذي يمنعها إذا كان قانون التطور يجيز ذلك؟

وقد مرت ملايين السنين ولا تزال النملة هي النملة، والجمل هو الجمل، والإنسان هو الإنسان، لم يتطور من قرد إلى إنسان إلا عند (داروين) الملحد الذي أصبحت نظرياته محل سخرية العقلاء.

أما إذا كان الارتقاء بمعنى أن الإنسان والحيوان يكون في أوله صغيرا ثم يكبر شيئا فشيئا إلى أن يكتمل؛ فهذا أمر حقيقي مشاهد، وهو يدل على وجود خالق عظيم، يرتقي بالمخلوقات حسب حاجتها ومصالحها، فالطفل المولود لو كان له أسنان حادة من أول يوم لما أرضعته أمه، ولو ولد شابا قويا لافتقد حنان أمه وأبيه، وانعزل عنهما من أول لحظة، ولكن الملاحدة قلبوا الأمر كله، فجعلوا ما كان دليلا على قدرة الخالق وحكمته في تطور الخلق، جعلوه دليلا على إنكار وجوده!!؟؟

إن الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء، وكل ما يقوم به الإنسان من سلوك هو عبارة عن شيء مكتسب من البيئة المحيطة به، يحمل في هيكل جسمه ختماً وطابعاً يستحيل تغييره من أصله، هكذا كان، وما زال، وسيظل.





قانون الجاذبية !

من شبهات الملحدين على نفي وجود خالق لهذا الكون؛ ما زعموه من أن هذا الكون محفوظ بقانون الجاذبية ومتماسك بسببها؛ أي منذ الانفجار العظيم حتى اليوم، منذ نحو (١٤) مليار سنة، لا بقدرة إله خالق! ولا شك أن هذا الفهم خاطئ!

هل قانون الجاذبية ينفي وجود خالق؟ أم أنه على العكس؟

قانون الجاذبية يدل على وجود خالق خلق الجاذبية نفسها لتعمل وفق ما أراد هذا الخالق؛ لا وفق ما تريد هي، إذ لا إرادة لها من ذاتها، وهذا الترتيب العجيب في الكون يفوق كل قدرة ويفوق كل تدبير، لقد حيّر العقول وضعفت عن إدراكه الأفهام.

كيف يُنسب هذا النظام العجيب المعقّد كله إلى الجاذبية؟

لماذا لا يُستخدم هذا القانون ولا يُستغل في الصناعات الثقيلة في وقتنا الحاضر؟

لماذا لا يُستغل في تسيير الشاحنات والقطارات والسفن والمراكب الفضائية؟

إن كثيرا من الملاحدة يعترفون بعجزهم عن الوصول عن طريق الأبحاث والتجارب إلى معرفة أسرار كثير من الحقائق المشاهدة في هذا الكون، وهذا الإقرار يُلزمهم أن يقرّوا أيضا بحقيقة إله خالق، بل وحقيقة وجود خالق يفسر كثيرا من الحقائق التي لا يصل العقل إلى معرفتها، لا عن طريق البحث ولا عن طريق التجارب؛ وقد عجز العلم عن معرفتها، ومع ذلك ينفون وجود إله خالق.





الخير والشر؟!

الحديث هنا عن شبهتهم حول وجود الإله، فالملحد لا يناقش إلا بمسألة وجود الخالق، وهذه لب المشكلة.

يسأل الملحد دائما عن وجود الشر والظلم في هذا الكون، يقول: وجود الزلازل والحروب والأمراض وآلام البشر، ووجود الأشرار والظلم، ألا يدل ذلك على عدم وجود الخالق؟

السؤال عن وجود الشر ليس سؤالا عن وجود الخالق، ولا علاقة له به، بل هو سؤال عن تصرفات الخالق، وبالتالي وجود الشر لا شأن له بعدم وجود الخالق بل بأفعال هذا الخالق، فهناك شر من جهة؛ لكنه بالمجمل يعتبر خيرا ومصلحة، مثلا: بكاء الطفل وألمه الشديد عند خلع طبيب الأسنان ضرسه؛ ظاهره شر!!

ما ذنب الطفل ليفعل به الطبيب ذلك؟!

أما لو نظرنا نظرة شاملة للموضوع، فسنرى أن عملية خلع الأسنان فيها مصلحة للطفل وراحة له بعد ذلك، وحتى الألم الذي عاناه ربما يدفعه لرعاية

أسنانه في المستقبل ليتجنب الذهاب للطبيب مرة أخرى.

لو نقلنا إنسانا بدائيا من إحدى الغابات المنعزلة، بعيدا عن الحضارة والتطور، إلى أعظم مستشفى في العالم اليوم، وجلس أمام لوح زجاجي يفصله عن غرفة العمليات ليشاهد طبيبا يرتدي اللباس الأبيض، ويرتدي كفوفا، ويضع على وجهه قناعا! ويحمل في يده سكينا يشق به بطن طفل صغير، ربما يشك في اللحظة الأولى أن هذا الطبيب مجرما!؟

كيف يمكن أن نقنع هذا الإنسان البدائي بأن هذا طبيبا وليس مجرما؟

وأن هذا القناع الذي يرتديه على وجهه هو كمامة طبية؟

وأن هذه الكفوف أدوات طبية؟

وأن كل ذلك من أجل المحافظة على سلامة هذا الطفل؟

كيف نستطيع أن نقنع هذا الإنسان البدائي بأن هذا طبيب وليس شريرا؟

لا يمكن أن يقتنع هذا الرجل البدائي بهذه الحقيقة أبدا.

إذن، أين الخلل؟!

هل يكمن هذا الخلل في الطبيب أنه مجرم حقيقة؟

أم أن المشكلة في نقص الفهم عند الرجل البدائي؟!

إن معرفة أمر الله في خلقه أمر لا يمكن أن نتصوره، لأننا إن عرفنا ذلك كله فقد شابه علمنا علم الله وهذا محال، نعم قد نبحث ونجتهد في معرفة حِكمة الله في أعماله وتصرفاته، لكن بحثنا هذا هو بحث المستفهم المتعلم لا بحث المناقش!

قال خالق الكون: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

لذا، قد يكون لوجود الشر حِكم أخرى لا نعرفها، ونظرنا لدقة الكون وعظمته يدلنا على أن صانعه حكيم، وأفعال الحكيم ليست عبثية وإن جَهِلْنا الحكمة من أفعاله، وقد يعيش الإنسان أمورا وأحداثا كثيرة وعظيمة في حياته يظن بأنها شرّ له، وهي في حقيقتها خير له، ومن ذلك قول الخالق الحكيم: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[٢].

ومن حِكمة الخالق من وجود الشر امتحان للناس؛ هل يقومون بواجبهم نحو الشرّ بإزالته ونشر الخير، ودحر الظلم ورفع المعاناة، وبسط العدل، أم لا؟!

---

(١) [البقرة: ٢١٦].

(٢) [النور: ١١].

فعدل الله مطلق، وهو شامل للدنيا والآخرة معا، وبهما معا يكتمل، فما وجدناه من حوادث فيها ظلم شديد أو شر في الدنيا، فقد يكون تمام تحقيق العدل في هذه الحوادث، ورفع الظلم فيها آجلا أم عاجلا.





مسلم: لو قلت لك أن الساعة في يدى قد وُجدت أجزاؤها على الأرض قد تجمعت على هذا الشكل دون أن يتدخل أحد في ذلك، هل تصدقني؟

كافر: بالتأكيد لا.

مسلم: لو قلت لك أن السيارة قد وجدتها متناثرة الأجزاء على الأرض، وفجأة تداخلت في بعضها مكونة شكل السيارة التي تعرفها دون أن يتدخل أحد في ذلك هل تصدقني؟

كافر: بالتأكيد لا.

مسلم: لو قلت لك أن جهاز الكمبيوتر كان في الأصل أشياء متنوعة موجودة في أماكن مختلفة، وفجأة وجدتها تتجمع بإرادتها، وتكوّن شكل هذا الجهاز! هل تصدقني؟

كافر: بالتأكيد لا.

مسلم: إذا كيف تريدني أن أصدقك في أن هذا الكون كان قد تجمع فجأة دون أن يخلقه أحد؟ كافر: بالتأكيد.

مسلم: فمن اخترع الكون؟ لابد أن له مخترع، وإلا أصبح قولك إن لكل حادث سبب لا قيمة له.





مسلم: هل لك جد؟

ملحد: نعم.

مسلم: أحيّ هو؟

ملحد: لا، بل ميت.

مسلم: هل شاهدته؟

ملحد: لا.

مسلم: هل سمعت منه كلاما؟

ملحد: لا.

مسلم: هل تحسّ به بأي شكل؟

ملحد: لا.

مسلم: إذا ليس لك جد.

ملحد: ولكن أبى شاهده وسمعه وأخبرني بذلك.

مسلم: إذًا فقد آمنت بوجود جدك عن طريق الخبر.

ملحد: بالتأكيد.

مسلم: لو كنت في مجلس واسع له بابان، باب يخرج منه الناس بارتياح وأمان، وباب آخر لا يخرج منه أحد، خوفا من خطر عظيم ينتظرك، وأنت لم تر هذا الخطر! إنما هو اتفاق الحضور على وجود هذا الخطر! هل كنت تجازف في الخروج من هذا الباب؟

ملحد: بالتأكيد لا.

مسلم: لماذا، ما هو السبب؟

ملحد: سماعي الخبر عن هذا الخطر.

مسلم: عليك إذا أن تؤمن بأن الخبر بوجود الله وصلنا كما وصل خبر وجود جدك، ووجود الخطر خلف الباب، وإلا أصبح عليك أن تنفى وجود جدك ووجود الخطر.





نظرية الصدفة ليست نظرية فلسفية بل هي مغالطة منطقية، لأنها ببساطة لا شيء.

حوار رقم (١): نظرية الصدفة!؟

لنفترض أنك دخلت منزلك فوجدت زجاج النافذة مكسوراً.

فسألتَ أمك: مَن كسر زجاج النافذة؟ فقالت: الصدفة.

أو سألتها: مَن رتب الخزانة؟ فقالت: الصدفة.

هنا الجواب غير منطقي؛ لأنك سألت من كسر زجاج النافذة؟ وليس كيف كُسر زجاج النافذة؟ أو كيف رتبت الخزانة؟ الجواب الذي يمكن ألا يبدو صاحبه مجنوناً، هو كَسَرَها أخوك صدفة، أو رتّبتها أختك صدفة.

حوار رقم (٢): خالق الكون!؟

مسلم: كيف وُجد الكون؟

كافر: عن طريق الصدفة!

مسلم: إذا فالصدفة هي الخالق!

كافر: ماذا تقول؟

مسلم: أقول أن الخالق هو الصدفة، فهو الذى خلق لنا الكون!

كافر: نعم صحيح، إن الصدفة هي الخالق.

مسلم: إذا فهناك خالق تعترف به هو الصدفة؟

كافر: قطعا.

مسلم: إذا فإلهك هو الصدفة كما تسميها، وهذا اعتراف منك بوجود إله خالق.

كافر: ربما !؟؟

مسلم: لا تقل ربما؟ فإذا لم تكن الصدفة هي الإله فهي مخلوقة! ومن ثم لابد لها من خالق! وعلى ذلك يلزمك أحد أمرين: إما الاعتراف بوجود إله هو الصدفة؟ وإما الاعتراف بوجود خالق للصدفة هو الله؟ وفى كلا الحالين أنت تعترف بوجود إله.

حوار رقم (٣): نشأة الكون!؟

مسلم: ما رأيك في نظريات نشأة الكون؟

كافر: ماذا تقصد؟

مسلم: هل تؤمن بأنها صحيحة؟

كافر: نعم

مسلم: إذا كيف تؤمن بشيء لم تشهده؟

كافر: وما هو؟

مسلم: نشأة الكون، فإنك لم ترها رؤية المشاهدة بالعين ومع هذا تؤمن بحدوثها، فإذا كنت أمنت بها دون أن تعرفها عن طريق حواسك، ومع ذلك لا تؤمن بوجود الله لأنك لم تعرفه عن طريق حواسك، فإذا نفيت إيمانك بالله بسبب ذلك، وجب عليك إنكار حقائق علمية وتاريخية أخرى كثيرة.

حوار رقم (٤): الموجات اللاسلكية!؟

مسلم: هل توجد موجات لاسلكية؟

كافر: طبعا.

مسلم: إذا فأنت تصدق بوجودها؟

كافر: نعم

مسلم: كيف تصدق بوجودها رغم أنك لا تراها ولا تحس بها؟

كافر: ولكن الأجهزة اكتشفتها!

مسلم: وأيضا الناس اكتشفوا وجود الله، فإذا آمنت بها لزمك أن تؤمن بوجود الله، وإن نفيت وجود الله لزمك نفي وجود تلك الموجات التي لا تُرى ولا تُحسّ.

حوار رقم (٥): الظاهرة المغناطيسية!؟

مسلم: ما رأيك في الظاهرة المغناطيسية؟

كافر: ماذا تريد قوله؟

مسلم: هل المغناطيسية موجودة فعلا؟

كافر: نعم.

مسلم: هل شاهدت المغناطيسية نفسها؟

كافر: لا، ولكنى شاهدت أثرها الممثل في الجذب.

مسلم: فكذلك الله لم تشاهده وشاهدت آثاره الممثلة في الخلق، فإذا أمنت بوجود المغناطيسية وجب أن تؤمن بوجود الله، وإذا نفيت وجود الله لزمك نفى وجود المغناطيسية.

حوار رقم (٦): قارة استراليا!؟

مسلم: ما رأيك في قارة استراليا؟

كافر: من أى جهة؟

مسلم: هل هي موجودة؟

كافر: قطعا.

مسلم: هل زرتها؟

كافر: لا.

مسلم: هل تراها أو تحس بها؟

كافر: لا.

مسلم: إذا فهي ليست موجودة.

كافر: كيف؟

مسلم: ما دمت لم ترها ولم تحسّ بها فهي معدومة غير موجودة.

كافر: ولكنها موجودة رغم ذلك.

مسلم: إذا فهي رغم أنها غائبة عن حواسنا فهي موجودة، كذلك الله غائب عن حواسنا! لماذا تؤمن بأستراليا ولا تؤمن بوجود الله؟ فإذا اعتبرنا استراليا موجودة وجب عليك اعتبار الله موجودا، وإلا لزمك نفى الاثنين معا لغيابهم عن حواسنا الآن.

حوار رقم (٧): الأشعة تحت الحمراء!؟

مسلم: هل الأشعة تحت الحمراء موجودة؟

كافر: طبعا

مسلم: هل الأشعة فوق البنفسجية موجودة؟

كافر: قطعا

مسلم: كيف تكون موجودة ونحن لا نراها ولا نحس بها؟

كافر: إن الأجهزة قد بينتها لنا

مسلم: ولكن حواسنا هي التي نستعملها في إثبات الأشياء ونفيها وما دامت

حواسنا لا تدركها فهي معدومة.

مسلم: ولكن حواسنا تدركها عن طريق الأجهزة.

مسلم: ولكن هذه الأجهزة ليست جزء من حواسنا حتى نصدقها، فإذا آمنت بوجود هذه لزمك الإيمان بوجود الله، وإذا نفيت وجود الله لزمك أن تنفى وجود الأشعة، أليست كل هذه الموجودات في الكون؟ في أرضه وسمائه، تبيّن وجود الله كما بيّنت وجود الأشعة؟

حوار رقم (٨): الذرة والفايروسات!؟

مسلم: هل الذرة والفايروسات والجراثيم موجودة؟

كافر: بالتأكيد؟

مسلم: كيف تكون موجودة ونحن لم نرها أو نحسّ بها؟

كافر: لقد ثبت وجودها عن طريق الميكرسكوبات.

مسلم: إن الذى تراه في الجهاز صورة مكبرة مئات الآلاف من المرات، ولو كان الأمر قبل مائة عام مثلا ما كنت لتصدق ذلك، فهل عدم رؤيتك هذه الكائنات سابقا يعني أنها لم تكن موجودة !!؟

حوار رقم (٩): التيار الكهربائي!؟

مسلم: هل تؤمن بوجود الكهرباء؟

كافر: طبعا.

مسلم: كيف تؤمن بها وأنت لا تراها حقيقة؟

كافر: عن طريق آثارها؛ كإنارة المصابيح وتشغيل الآلات...

مسلم: إذا كانت الكهرباء موجودة بسبب وجود آثارها، فكيف يمكن إنكار وجود الله مع وجود آثاره فينا وفى غيرنا من المخلوقات.

حوار رقم (١٠): القمر الصناعي!!

مسلم: لو قلت لك أن القمر الصناعي غير موجود هل تصدقني؟

كافر: لا.

مسلم: كيف لا تصدقني وحواسّك لا تدركه إطلاقا؟

كافر: لكنه موجود رغم أنه بعيد جدا، بدليل أثره في نقل الإرسال والموجات اللاسلكية والهاتف.

مسلم: كذلك الله موجود بدليل أثره الممثل فيك وفيّ، وفي كل شيء حولنا.

بناء على قولكم لا يوجد إله!!

هذا معناه أنه لا يوجد حلال ولا حرام!!

ومن ثمّ، فكل واحد يحق له أن يفعل ما يشاء.

يعتدي على الآخرين، يقتل، يسرق، ينهب...

يجامع أمّه أو ابنته أو أخته أو رجل أو أي شيء، ولو فكرتم في هذا لوجدتم بقية الكائنات لا تفعل هذا الجماع، فالحيوان لا يجامع أمه ولا أخته ولا ابنته، والحيوان الذكر لا يجامع الحيوان الذكر، والحيوان الأنثى لا يجامع الحيوان الأنثى، ومن ثم فهناك قانون تلتزمه الكائنات، ومن ثم فكل واحد يحق له أن يقتل كل من يقابله من الناس إذا خالفه في أمر ما، ولكننا نجد بقية الكائنات، خاصة أبناء النوع الواحد لا يقتل أفراده بعضهم البعض إلا نادرا، وهذا دليل على وجود نظام وقيود بالحرام والحلال عند كل الكائنات.

مثلا يحق لكل إنسان أن يأكل ما يريد، أوساخ ونجاسات، أو أفيون أو مخدرات، ولكننا نجد الكائنات كل نوع منها يأكل أطعمة معينة، فهو لا يأكل كل شيء، وهذا يعنى وجود حدود وأحكام في الطعام.

ولو صدقناكم أيها الملحدون في عدم وجود خالق يحلل ويحرم، لكانت الحياة كلها فوضى، عصابات وإجرام، فلا عقاب ولا ثواب، ومن ثمّ كل فرد

يفعل ما يريد.

إن دعوة الملحدين للحوار، ودعوتهم لعدم الإيمان بالله؛ هو نقض منهم لمذهبهم، فما دام الله ليس موجودا فلا يوجد حلال ولا حرام، ومن ثم فتحريمهم الإيمان بالله يعنى وجود خبل في نفوسهم، لأنهم بذلك جعلوا هناك حراما هو الإيمان بوجود الله ومن ثم حلالا هو الكفر بوجود الله، وهذا نقض لما قالوه.

ومن العجيب في دعوتهم أنهم جعلوا شروطا للحوار؛ مثل عدم السب وعدم الوعظ سواء في منتداهم الالكتروني (منتدى الملحدين) أو في كتبهم، مع أن عدم وجود الله يعنى عدم وجود شروط بين أي كائنات، لأنه لا يوجد منظم مشرع للكون؛ مما يعنى أن كل كائن منا يفعل ما يشاء، يشتم أو لا يشتم.

إن الكائنات لو قعدت منذ بداية وجودها لتتفق على حكم من الأحكام حتى تستطيع أن تتعامل مع بعضها؛ فلن تتفق أبدا، بسبب بسيط هو أن اللغة لابد لها من موجد خالق، والتجربة خير برهان أيها المنكرون.

ضعوا أطفالا مولودين في مكان ما.

واتركوهم دون تعليم أي شيء لمدة طالت أم قصرت.

فستعرفون أنه لا يمكن أن يتكلموا مثلنا!!

وسيضربون بعضهم ويتقاتلون؛ ما دام لم يعلمهم أحد الكلام، وهكذا المخلوقات كلها، فلابد لها من معلم أول؛ معلم يُشرّع لها طرق التعامل.





كيف تناقش ملحدا؟!

كثير من الأحيان نجد أن المشكلة لا تكمن في الملاحدة أنفسهم، إنما تكمن في بعض المسلمين ممن يتوهم أنه كلما جاءه ملحد بسؤال فإنه يتعيّن عليه أن يجد له الجواب المفصل الذي يفحمه!!

كما يجب إدراك أمر أخر، هو أنّ الإيمان بالخالق ليس مشروطا بمعرفة جواب كل شاردة وواردة يرميها الملاحدة في خواطر الناس، ولو جئناهم بعشرات التأويلات والتفسيرات والتعليلات والأجوبة فلن يكتفوا، لأن الغاية عندهم ليس الوصول إلى الحقيقة، وإنما البقاء على الإلحاد.

والملاحدة دائما يستخدمون أسلوب الهجوم والأسئلة، ولا يناقشون موضوع الإلحاد بقدر ما يتعرضون للإسلام، وهذا أسلوب بائس يدل على ضعف الطرح الإلحادي، مثلا هم يطرحون شبهة (خلق الشرّ)، ويطرحون شبهة التشكيك بأن القرآن وحي من الله!!

هل هذا الملحد هدفه إثبات عدم صحة القرآن؟

وأية علاقة بين هذا وبين الإيمان بوجود خالق؟

وكيف يكون الردّ عليه؟

لا تشغل نفسك بالردّ عليه، لأنك إن رددت عليه فسوف يعطيك شبهة أخرى، ثم أخرى، وهكذا، حتى يستهلك جهدك، أو يأتيك بشبهة يصعب عليك الردّ عليها، لهذا السبب لا تردّ على شبهته إلا عند الضرورة.

بماذا تردّ عليه؟

عندما يطرح الملحد شبهته أو أسئلته، راجع موقع حسابه على الفيسبوك لتتعرف على توجهاته بشكل أفضل، ثم استأذنه بطرح بعض الأسئلة، فإذا وافق بادره بالسؤال التالي:

هل أنت ملحد أم لا؟

هذا السؤال هو الذي يخصّ الإلحاد، وليس طرح الشبهات والرد عليها.

إن رفض الإجابة، فإن لديه إشكاليات قوية ونقاط ضعف يَخشى من نقاشها، ويمكنك حصاره وملاحقته في النقاش حتى يجيب.

فإن أجاب بأنه (ملحد)، فهو هنا قد وضع نفسه في موقف بائس، وهو أضعف موقف يمكن أن يضع الملحد نفسه به، بادره فورا بسؤال مثل:

أنت تقول: لا يوجد خالق؟ (ناقشه باستخدام لفظة "الخالق" وليس "الله")

فإذا أجابك بنعم، أو قال أرجّح ذلك، فقد وقع في مشكلة منطقية كبيرة، ويمكنك حينئذ أن تسأله بسؤال كهذا:

هل لديك دليل على عدم وجود الخالق؟؟ أم أنك تؤمن بذلك بلا دليل؟

الملحد المتمّرس في النقاش سيهرب أصلا إلى ادعاء (لا أدري)، فيجعل نفسه بلا موقف لكي لا يُلزم نفسه بأي إثبات أو نفي، وما عليه حينئذ سوى الاستماع وطرح الأسئلة.

ولكن عموما ما دام وصل إلى اعترافه بأنه ملحد؛ فسوف يجيب على سؤالك بقوله: إنه يرى عدم وجود خالق، لأنه لا يوجد دليل علمي أو مادي على وجوده، وهذا هو المطب المنطقي، لأن هذه مغالطة منطقية شهيرة اسمها مغالطة الاحتكام إلى الجهل (fallacy of ignorance)، وملخصها هو أن الاحتجاج بعدم وجود دليل لا يصح، بمعنى آخر: إن عدم وجود الدليل لا يعتبر دليل على العدم؛ ولو كان هذا الأسلوب في الاستدلال صحيحا فإن هذا يعني أن القارة الأمريكية لم تكن موجودة قبل ألف عام، لأنه لا أحد لديه دليل على وجودها في ذلك الوقت، وبهذا تكون قد أُسقطت دعواه بعدم وجود الخالق تماما.

الآن: لنفترض أنه لا يَعتبر نفسه ملحدا؛ وإنما أجاب على السؤال الأول بأنه (لا أدري).

فكيف تتعامل معه؟

هنا تسأله ببساطة: ما نسبة احتمال وجود خالق؟

وما نسبة احتمال عدم وجوده؟

فإذا قال: (٥٠٪ و٥٠٪) فهذا يعني أنه ليس لديه موقف، ولك أن تلزمه بعدم الاعتراض على وجود الخالق، وبالتالي فإن عليه أن يحزم أمتعته ويذهب ليقرر موقفا واضحا، وجواب الـ (٥٠٪) يأتي غالبا من الملاحدة أصحاب (لا أدري) المتمرسين في النقاش، والضالعين في المغالطات والمتاهات اللا منطقية، وإن شئت فإنك تستطيع أن تطالبه بدليل ال (٥٠٪) التي بنى عليها وجود الخالق، وتدخله في متاهات منطقية، لأن دليل الإثبات لا يتجزأ، إما أن يكون دليلا أو لا يكون.

ولكن في الغالب، ستجد أن من يناقشك من الملحدين العرب هم من الشباب الجدد الذين ليس لديهم أي عمق أو ممارسة في النقاش، وإنما تجد أحدهم يردد كالببغاء، ويظن في نفسه أن الناس جهلاء لا يفقهون، وستجد منهم يميل إلى ترجيح عدم وجود خالق، يحاول أن يبرر لنفسه الهجوم على الإسلام، ولا يعلم أنه وقع في المغالطة، بل إن عليه إحضار الدليل لإثبات دعواه.

فإن اتضح أنه يميل إلى ترجيح عدم وجود الخالق، اتّبعْ معه نفس الأسلوب، كل ما عليك هو أن تطالبه أن يخبرك ما سبب هذا الترجيح، لابد أن هناك دليلا منطقيا لهذا الترجيح، فإن عجز عن ذلك، فهو يرجح بناء على هواه ورغبته الشخصية وليس على أساس منطقي أو عقلي، وهذه ضربة قوية تهدم طرحه كاملا.

ستلاحظ خلال النقاش أنه سيتذمر ويطرح أسئلة خارجة عن الموضوع، أو يتهمك بأنك تحقق معه! ولهذا حاول الاستئذان منه أولا بطرح الأسئلة حتى لا يكون لديه مجال للهروب من النقاش.

ستجد مثلا أنه سيطالبك بإثبات وجود الخالق، هنا لا تتجاوب معه، وقل إنك لم تدّع وجود الخالق حتى الآن، وإنما أنت من يدّعى عدم وجود الخالق، إذن عليك دليل الإثبات.





طريقة أخرى للنقاش

قد يسلك الملحد أسلوب الهجوم، ويطرح عليك هذا السؤال:

هل من دليل على وجود الله؟ تسأله: إي دليل تبحث عنه؟ فيرد عليك: أُريد رؤيته.فترد: ماذا لو رأيته؟ فيقول: ينتهي الأمر وأؤمن بوجوده.

وهنا يكون التساؤل منك: لو رأيته كيف ستعرف أنه إله؟

المشكلة إذن ليست في استحالة وجود إله وإنما في رؤيته.وكأنه بهذا النقاش يقول صراحة:

ليس لديّ مانع من الإيمان بوجود إله، ولكنني أريد أن أراه.

هنا تكون قد أسقطت إنكاره لوجود الإله، ويمكنك بعدها أن تستطرد معه في سؤالك:

لو رأيته فكيف تعرف أنه إله؟

وسترى كيف يرتبك ويحتار؟!

وقد يبدأ الملحد النقاش بسؤاله مثلا:

أثبت أنت أن إلهك على العرش في السماء؟ من خلال قوله هذا فهو مؤمن بالله وهو لا يدري، فكيف يكون ذلك؟ قل له: هذا يعني أن مشكلتك في تصوره لا في وجوده، وهذا جيد.والإلحاد هو "لا إله"، أي لا وجود لله بالكلية، وليس لا صفات لله!

فالاعتراف بوجود إله ورفض الصفات هو إيمان مسبق بالإله.

يمكنك أيضا أن تسأله:

ما قولك لو أخبرك (شخص ما) بأنه هو إلهك الذي خلق الكون؟!!سيخبرك: أنه لن يصدقه.

ولو سألته: لماذا؟

سيقول: إن الإنسان لا يستطيع فعل ذلك.فهو الآن قام بلجم نفسه من حيث لا يدري!

فكون الملحد رفض ذلك الشخص بأن يكون إله؛ لأنه عاجز عن خلق الكون وما فيه، فهو بالتالي لا يستطيع استبدال هذا الإله الذي يمتلك قوى خارقة بشخص عاجز، وهذا اعتراف ضمني بوجود إله عظيم له صفات الربوبية.





وماذا إن كان ربوبيا؟

الملحد الربوبي: هو الذي يؤمن بوجود الخالق لكنه لا يؤمن بالأديان ولا بالأنبياء ولا بالتعاليم، وهو من أغبى خلق الله، حيث يمكنك بسهولة أن تهدم أفكاره؛ فهو شديد الحيرة في الرد على الأسئلة، ولهذا تجد أكثرهم يدعي أنه لا يهتم بمعرفة شيء عن الخالق لكي يريح نفسه من الرد على الأسئلة المحرجة.

وتكمن الصعوبة في النقاش مع الربوبي في أن له اعتقاداته الخاصة التي يؤلفها من رأسه، والسبب هو عدم وجود إجابات محددة لديه على أسئلة محددة، اسأله مثلا:

ما هي صفات الخالق؟

فإذا أعطاك صفة من الصفات اطلب منه الأدلة عليها، وخصوصا الصفات الغيبية.

ويمكنك أن تطرح عليه أسئلة محرجة جدا ولا يوجد لها إجابة إلا عند المسلمين، مثل سؤال: وجود الشرّ؟

وهل هناك آخرة أم لا؟

وإذا لم تكن هناك آخرة وعقاب وثواب، فكيف تتحقق صفة العدل عند الرب، والعدل غير متحقق في هذه الدنيا؟

أما إذا كان لا يعرف أي صفات عن الخالق فهو إذا يؤمن بمجهول، وهذا يكفي لإسقاط إيمانه المزعوم.

ويمكنك أيضا أن تنطلق من أسئلة مثل:

هل الربوبية تقوم على وجود الخالق ومعرفته، أم الجهل به؟

هل يكفي العقل لمعرفة هذا الخالق أم يلزم الوحي؟

ويجب أن نؤكد على السؤال المهم:

هل يتفق مع حكمة الخالق أن يهبنا عقلا ليس لديه عن الخالق سوى الأسئلة، ثم لا يعطينا مصدرا يخبرنا عن تلك الصفات؟

لقد خلقَنا الخالق بكل احتياجاتنا ثم وفرها لنا، ومن المنطقي عندما خلق لنا عقولا تسأل أن يوفر لها الإجابة من خلال الوحي، ومن هنا يأتي التكامل:

العقل يدرك وجود الخالق.

والوحي يعرّفنا به.

وندرك الهدف والغاية من خلْقِنا.

هنا تظهر أهمية الدين؛ والعدل الإلهي، وماذا بعد الموت؟





قد يطرح الملحد شبهة لم يسبق لك أن عرفتها، وكل شبهاتهم تقوم على المغالطات والتدليس، فإذا احترت في شبهة فما عليك إلا أن تفتح محرك البحث (Google) وتبحث عن الردود عليها، فهناك ردود عديدة على جميع الشبهات تقريبا، وهي ردود تكشف المغالطات والتدليس في تلك الشبهات، اكتب كلمة (شبهة كذا أو شبهة كذا) يظهر لك إجابات لما تريد.

كثير من الملحدين أَتَوْا بشبهات واعتراضات، وما يأتي به هَؤُلَاءِ لا يخرج عَنْ كونه محْضَ مغالطاتٍ، كما سأل كبار المُلْحِدِينَ:

إِذَا كَانَ الله موجودًا من غير سببٍ موجِدٍ؛ فلماذا لا يكون العالمَ أَيْضًا موجودًا من غير سبب موجد؟

والإجابة: لأن الله تعالى أزلي، بينما الكون حادث، وهذا منهم ومن غيرهِم تخَلِيطٌ غَفَلَ أصحابُه عَن الفرق الكبير بين طبيعة الكون الحَادث والخَالِق الأزلي.

والنبيُّ ﷺ أخبرنا أن السؤال عمّن خلق الله هو من إيحاء الشيطان؛ فقد روى

البخاري في صحيحه، أن رَسُول الله ﷺ قال: **(يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فيقُولَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ من خلق كَذَا؟ حَتَّى يَقُول: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَه؛ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلْيَنْتَهِ).**

فليت الإسلاميين المعاصرين يُسَمُّون أمثالَ هَؤُلَاءِ ب(أهلِ الأهواء) لأن هذا هو الوصفُ المناسِبُ لحالهم، ولأن وصفهم بالماديين و(العقلانيين) قد يزيدهم غرورًا وشرًا؛ فيظنون أن العقل معهم، وأن غيرهم عاطفيون.

شبهة أخرى وقولٌ آخر يردده كثير من الْفَلَاسِفَة المُلْحِدِينَ، ويأخذه عَنْهُمْ ويردده على الطلابِ فِي الجامعاتِ بعضُ الأساتذة:

أن فكرة الإله القادر على فعل كل شيء؟!

يستحيل أن يكون أحدٌ قادرًا على فعل كل شيء؛ لماذا؟

يجيبون بأنه إِذَا كَانَ قادرًا على فعل كل شيء؛ فلْيَقْدِرْ على فعل كذا وكذا؟!

هل يستطيع الله أن يخلق دائرة مُرَبّعَةً؟!!

هل يستطيع أن يخلق حَجَرًا لا يمكنه تحريكه؟!!

الله تعالى قادر على فعل كل شيء، وقدرته لا تتعلق بالمستحيلات، ولَكِن علماءنا كَانوا أعظمَ دقةً وأكثرَ أَدَبًا، ولم يقولوا إنه لا يَقْدِرُ على فعلها؛ لأن الله

تعالى قادر على فعل كل شيء.

وأما المستحيل؛ فليس بشيء أصلًا؛ لأنه معدوم!!

هب أن رجلا من الناس اتُّهِمَ بحادث سرقة، فجيء بشاهد أمام القاضي، فجرى بينه وبين القاضي الحوار التالي:

القاضي: ما اسمك؟

الشاهد: ليس لي اسم، لَكِن اسمي بطرس.

القاضي: هل رأيت هذا اللص من قبل؟

الشاهد: نعم رأيته.

القاضي: منذ متى؟

الشاهد: منذ الغد!!

القاضي: هل رأيته يسرق؟

الشاهد: رأيته؛ لَكِني لم أره أبدا!!

ماذا يفهم القاضي من هذه الأجوبة البطرسية؟!!

لا شيء.

هل عدم فهم القاضي راجع إِلَى نقصٍ فِي عقله، بحيث إِذَا جئنا بقاض آخر أذكى منه؛ يستطيع أن يفهم ما لم يفهم هو؟

الجواب: كلا.

لماذا؟

لأن كلام الشاهد لا يفهم منه شيء، والفهم إنما يكون لمعنىً يُدْرَكْ، لِذَلِكَ اختار علماؤنا ذَلِكَ التعبير الدقيق فقالوا: إن قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيلات العقلية، ولم يَقُولوا: إِنَّهُ لا يقدر على فعله؛ لِأَنَّهُ ليس بشيء يُفْعَلُ أصلًا؛ فهذا المستحيل معدوم.

يقولون لنا: أنتم تقولون: إن الله قادر على كل شيء؟

فيقول المؤمن: نعم.

فيقول: هل يستطيع الله أن يخلق دائرة مربعة؟

إِذَا كَانَ المقصود به: هو أن تجعل الشيء دائريًا ومربعًا فِي الوقت نفسه؛ فهذا كلام متناقض.

يقول لنا هذا المنكر لوجود الله: هل يستطيع ربكم أن يخلق حجرًا لا يستطيع تحريكه؟ وهو يظن أن سؤاله هذا يَضْطَرُّنَا إِلَى القول بأن الله ليس قادرًا على كل شيء.

لقائل أن يَقُول: هذه كلها من الشبهات التي يثيرها الملاحدة، ولَكِنها ما زالت تَزْحَفُ أو تطير حتى تقع على أُولَئِكَ (المُخَابِيلِ) من الَّذِينَ يُدَرِّسُون فِي الكليات الشرعية، ثم يَفِرُّون عن الإجابة منها كالجُبَنَاءِ!!

عَنْدما يأتي الملحد بهذا السؤال؛ يظن أن سؤاله يضطرنا إِلَى القول بأن الله ليس قادرًا على كل شيء؛ لِأَنَّهُ يظن أننا مضطرون أن نجيب؛ إما ب(نعم) أو ب(لا)، وفي كلا الحالين يتحقق له ما يريد.

فإن قلنا: نعم، يستطيع؛ قَالَ: إِذًا هُنَالِكَ شيء لا يستطيعه، وهو تحريك هذا الحجر الَّذِي خلقه!!

وإن قلنا: لا؛ قَالَ: إِذًا هُنَالِكَ شيء لا يستطيعه، فهو ليس قادرًا على كل شيء!!

لَكِننا لن نجيب بهذا ولا بذاك، بل نقول له: إن سؤالك ينطوي على تناقض، فهو أمر مستحيل عقلًا، قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيلات، وإنما بالممكنات العقلية؛ لأن المستحيل عقلًا هو ليس فِي الحَقيقة بالشيء حتى يقال: إِنَّهُ يقدر عليه أو لا يقدر عليه، فالمستحيل عقلًا هو: المعدوم، عدمه

لذاته من حيث هي، فإذا وُجد؛ فإنه لا يكون مستحيلًا، وإنما يصير ممكنًا.

السؤال معناه: هل يستطيع القادر على كل شيء ألا يقدر على بعض الأشياء؟!

هذا سؤال متناقض!!

فإذا سألَنَا هذا السؤال صفعناه على قفاه!!

ثم إن حجرًا لا يستطيع الخَالِقُ تحريكه؛ هو أمر غير متصور عقلًا؛ لماذا؟

لأن الخَالِق ما دام قادرًا على كل شيء؛ فمعنى ذَلِكَ أَنَّهُ ليس لقدرته حدّ، قدرةٍ هي أكبرُ من القدرةِ التي لا نهايةَ لها.

هل يستطيع الإنسان مثلًا أن يبني بناء لا يستطيع تحريكه؟

نعم؛ لِأَنَّهُ لا استحالة عقلية فِي هذا السؤال.

الذي جعل هذا ممكنًا عقلًا في حال الإنسان، هو أن الإنسان ينقل حجرًا يستطيع حمله، ثم يضيف إِلَيْهِ حجرًا آخر مثله، وهكذا، فإذا تجمعت هذه الحجارة في بناء كبير؛ لم يقدر على تحريكه، لأن تحريكه يحتاج إِلَى قوةٍ فوقَ قوته.

لَكِن الخَالِق هو خالق كل شيء، فلا يمكن أن يعجزه شيء.

فالإجابة يسيرة كما ترى؛ لأن السؤال متناقض، وكذَلِكَ فِي سائر هذه الشبهات التي يأتي بها أُولَئِكَ القوم.

فهَؤُلَاءِ متلاعبون!!

هَؤُلَاءِ حمقى مخرِّفون!!

وأكثرهم يعلمون أَنَّهُم ضالون مضلون!!





إذا سب أو شتم؟!

أغلب بضاعة الملاحدة هي الشتائم والسبّ، والسخرية بالله والأديان والأنبياء والكتب السماوية عموما، ولكن:

هم يخصّون الإسلام دون غيره من الأديان الأخرى.

هم يخصّون القرآن دون غيرة من الأناجيل أو التوراة.

ويخصّون الرسول الكريم محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء والرسل.

فإذا لاحظت أن المناقش بدأ يمارس هذه العادة البغيضة أثناء النقاش، نبهه منذ البداية إلى أن يناقش باحترام.

أما إذا لاحظت أنه بدأ بالسخرية والسباب، فلا أنصحك أبدا بمواصلة النقاش معه، وإنما كل ما عليك هو حظره، لأنه في الغالب يلجأ لذلك عندما يتورط، وهو يتوقع ويعلم، بل ينتظر أن تنهي النقاش وتحظره، وذلك أفضل عنده من انكشاف جهله.





الآثار المترتبة على انتشار ظاهرة الإلحاد

ظاهرة الإلحاد لها آثارٌ سيئةٌ على الأفراد والمجتمعات، يمكن أن نوجزها في الأمور التالية:

١- كثرة انتشار القلق النفسي والاضطراب، والحرمان من الاستقرار والطمأنينة: قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾(١).

كيف لا يصيب الملاحدةَ الحزن والهم والقلق؟

وفي داخل كل إنسان منهم أسئلة تحيّرة؟!

ويتآكل في داخله؟

مَن خلَق الحياة؟ وما نهايتها؟

وما سرّ هذه الروح التي لو خرجت لأصبح الإنسان جمادًا؟

مَن يجيب عن تلك التساؤلات؟!

---

(١) [طه: ١٢٤].

وهذه الأسئلة قد تهدأ في بعض الأحيان بسبب مشاغل الحياة، إلا أنها ما تلبث أن تعود، وما نراه اليوم من البحث عن محاولات للخروج من هذا الواقع، وكثرة الذهول وإدمان المخدِّرات، والإدمان على شرب الخمور، إلا دليلٌ على ذلك.

٢- العزلة والأنانية والتفرّد؛ نظرًا لاشتغال كل فرد في المجتمع الملحد بنفسه؛ فلا رحمة ولا شفقة، ولا عطف ولا حنان!

أين ذلك كلُّه من الرحمة والتماسك في الإسلام؟

أين ذلك من قول النبي ﷺ: **(لا يُؤمنُ أحدُكُم حتى يحبَّ لأخيه ما يحُبّ لنفسِه)**[1].

٣- اللجوء إلى الجريمة، وهذا لا يحتاج إلى دليل؛ فواقع الحياة في دول الغرب، ومعدَّلات السرقة فيها، والخطف والاغتصاب، وكافة أنواع الجرائم الدموية شاهدٌ على ذلك.

جاءت نتائج الدراسات بشكل مثير للاهتمام، حيث تصدرت الحضارة المسيحية كأكبر من تسبب في حصاد أرواح البشر، وتبعتها مباشرة في المركز الثاني حضارة الملحدين بحصاد للقتلى يفوق الى (١٠٠) مليون

(١) متفق عليه.

قتيلا، وقد يصل العدد إلى (١٥٠) مليون قتيلا![1].

٤- تفكك نظام الأسرة؛ وذلك أن الأسرة الملحدة تعيش في تباعد وضياع، وهذا يؤدي إلى فساد المجتمع.

وكم من نصوص وردت في الإسلام تدعو للتماسك بين ذوي القربى؟

٦- الرغبة في الانتحار تخلُّصًا من الحياة، والغريب في الأمر أن أكثرية المنتحرين ليسوا من الفقراء حتى يقال بسبب فقرهم، بل من الأكاديميين والأغنياء والأطباء، بل ومن الأطباء النفسانيين الذين يُظن بهم أنهم يجلبون السعادة للناس!

والغريب أن ظاهرة الانتحار في بعض البلدان الغربية لها مؤيِّدون، وهناك كتب تُعِين الذين يريدون الانتحار، وتبين لهم الطرق المناسبة!

وقد أكدت الدراسات العلمية المتعلقة بالانتحار؛ أن أكبر نسبة للانتحار كانت في الدول الأكثر إلحاداً، وعلى رأسها السويد التي تتمتع بأعلى نسبة للإلحاد، أما الدانمرك فكانت ثالث دولة في العالم من حيث نسبة الإلحاد؛

(١) راجع مقالة: الإلحاد والعنف.. كيف صنع ملحدون أهم مجازر العالم وحروبه؟ موقع الجزيرة نت.
https://www.aljazeera.net/midan/intellect/sociology/2018/9/12

حيث تصل نسبة الملحدين (واللادينيين) إلى (٨٠%)[١].

٦- إرادة الانتقام، والظمأ النفسي للتشفِّي من كل موجود، وانتشار الكراهية والبغضاء بين أفراد المجتمع.

٧- ناهيك، انعدام الثقة بين الناس؛ فكل شخصٍ تجده يترقب حدوث ما هو أسوأ، ويخاف مِن أقرب الناس إليه[٢].



(١) موقع: إعجاز القرآن والسنة، المهندس عبد الدائم الكحيل. الأحد/ ديسمبر/ ٢٠١٩
https://quran-m.com

(٢) راجع: كتاب الإلحاد، عبدالرحمن عبدالخالق (ص: ١٨-٣١)، أيضا: رسائل محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة: (ص: ٣١-٣٣).

الرد على الملحدين بالحقائق العلمية
الماء واحد والأرض واحدة والنبات مختلف

نقول للذين ينكرون وجود الله: انظروا أيها المشككون، ينزل المطر من السماء على الأرض، فيخرج منها ثمرات مختلفة الألوان والطعم والروائح، يأكل الإنسان منها، وتخرج أيضًا أعشابٌ وحشائش متنوعة تأكل منها سائر الحيوانات.

نسألكم أيها الملاحدة؟

هل الطبيعة هي التي جعلت التراب واحدا والماء واحدًا؟

بينما النباتات مختلفة الألوان والطعم والروائح؟!

أم أن هذه الأشياء أوجدت نفسها بنفسها؟!

أم أن هذا الاختلاف الناتج عن شيء واحد،

دليلٌ واضحٌ على وجود إله خالقٍ لهذا الكون، يستحق التعظيم؟!

يقول هذا الخالقُ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(١)]. تسيمون أي: ترعون مواشيكم.

وقال أيضا للدلالة على هذا المعنى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[(٢)].



(١) [النحل: ١٠، ١١].

(٢) [الرعد: ٤].



مراحل نمو الجنين في بطن أمه

أثبَت علماء الطب الحديث أن تكوين الجنين في بطن أمه يمر بعدة مراحل متتابعة، بانتظام دقيق

فيكون أولًا نطفة.

ثم تتحول النطفة إلى علقة.

ثم تتحول العلقة إلى مضغة تامة الخلقة وغير تامة.

ثم تتكون في العلقة بعد ذلك العظام.

ثم تغطى باللحم حتى بدايات الحركة والحياة قبل الخروج إلى العالم.

نقول للمنكرين لوجود الله:

هل الطبيعة أو الصدفة هي التي جعلت الجنين في بطن أمه يمر بهذه المراحل الدقيقة المختلفة قبل خروجه إلى الدنيا؟!

قال الله الخالق: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾[1].



---

(١) [الحج: ٥].



أغشية الجنين

نقول للمنكرين لوجود الله الخالق:

أثبت علماء الطب الحديث أن الجنين في بطن أمة محاطٌ بثلاثة أغشية، وذلك من أجل الحفاظ على سلامته، وهذه الأغشية تظهر بالعين المجرد كأنها غشاء واحد.

وبعد ثبوت هذه الحقيقة العلمية، نسأل الملحدين:

هل الطبيعة أو الصدفة هي التي أحاطت الجنين بهذه الأغشية الثلاث؟!

العقلاء من العلماء يقولون: لا، إن وجود هذه الأغشية الثلاث حول الجنين دليلٌ واضحٌ على وجود خالق عظيم بالغ الحكمة.

قال سبحانه: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾(١).



---

(١) [الزمر: ٦].



إذا كان الله موجودًا، فلماذا لا نراه؟؟!

يقول المنكر لوجود الله: إذا كان الله موجودًا، فلماذا لا نراه كما نرى الشمسَ والقمر والجبال والبحار وغيرها؟!

ونحن نسأل هذا الملحد:

هل لك رُوحٌ في جسدك، وعقل في رأسك؟!

لا بد للملحد أن يقول: نعم، إن لي رُوحًا في بدني، وعقلًا في رأسي!

فإن كان هكذا، فهل رأيتَ رُوحك وعقلك؟

نسأل الملحد: هل يوجد بكتيريا وفايروسات تسبب الأمراض؟

لا بدّ أن يقول نعم.

نقول: هذه لم تكن معروفة قبل مائة عام، هل هذا يعني أنها لم تكن موجودة؟

هل يمكن للبشر إنكارها في ذلك الوقت؟!

هل يمكن للبشر إنكار وجود التيار الكهربائي؟!

هل يمكن إنكار خاصية المغناطيس في المعدن الحديدي؟!

هل يمكن إنكار الإشارات الكهرومغناطيسية أو موجات الراديو؟

أو الإشارات اللاسلكية التي تبثها الأجهزة الإلكترونية؟!

هذا الملحد قد أقرَّ بوجود ما لم يرَه، واعترف بثبوت ما لم يشاهِدْه، وإنما أقر واعترف بوجود هذه الأمور كلها لظهور أثرها، فإن كان الأمر هكذا، فلا بد له أن يعترف بوجود الله؛ لأن كل المخلوقات الموجودة في هذا الكون مِن آثار قدرته، ودلائل عِلمه وحكمته.

وإذا لم يستطِعْ هذا الإنسان الجاحد لوجود الله رؤيةَ رُوحه التي في جسده، وأثرها الواضح في هذا الجسد، فكيف يستطيع أن يرى الله العظيم الذي خلق هذه الرُّوح؟؟!!





لكل إنسان رائحة خاصة به

أثبت الطب الحديث أن لكل إنسان رائحة خاصة به تميّزه عن غيره من سائر البشر، من أجل ذلك تستخدم الشرطة الكلاب البوليسية في تعقُّب المجرمين.

نسألكم أيها الملحدون:

هل الطبيعة أو الصدفة هي التي جعلت لكل إنسان؟

من مليارات البشر!

رائحةً خاصة به؟ بحيث لا تشبه رائحة إنسانٍ إنساناً آخر؟!

ننتظر منكم جوابًا؟

فإن قلتم: نعم، الطبيعة هي التي جعلت لكل إنسان رائحة خاصة به.

قلنا لكم: لماذا لا تتكلم الطبيعة وتعلن أنها هي التي فعلت ذلك؟!

لقد أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية منذ أكثر من مئات السنين، وقد

جعل الله سبحانه معرفة هذه الحقيقة كرامةً اختَصَّ بها نبيَّه يعقوب ﷺ.

يقول الله الخالق: ﴿ وَلمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾[1].



(١) [يوسف: ٩٤].



لكل إنسان بصمات أصابع خاصة به

أثبت العلم الحديث كما هو معروف للجميع، حقيقة عدم تشابُهِ بصمات إنسان مع بصمات إنسان آخر؛ ولذا فقد استخدمت الشرطة هذه البصمات في الكشف عن المجرمين.

نسألكم يا من تنكرون وجود الله تعالى؟

هل الطبيعة أو الصدفة هي التي جعلت لكل إنسان، من مليارات البشر، بصمات لأصابعه خاصة به، بحيث لا تشبه بصمات إنسانٍ آخر؟!

لماذا لا تتكلم الطبيعة وتعلن أنها هي التي فعلت هذا؟!

إن عدم تشابه بصمات إنسان مع بصمات إنسان آخر دليلٌ واضح لكلِّ إنسانٍ عاقل على وجود خالقٍ عظيمٍ لهذا الإنسان وهذا الكون، وصدق الله الخالق حيث يقول: ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[1].



(١) [القيامة: ٤].



الحيوان المنوي الذي يتكون منه الإنسان

نقول للذين ينكرون وجود الله الخالق: إنكم تصدِّقون الاكتشافات العلمية، نقول: اكتشَف الطب الحديث أن هذا السائل من منيِّ الإنسان يحوي حيوانات صغيرة تسمى (الحيوانات المنوية)، وهي لا تُرى بالعين المجردة، إنما ترى بالمجهر، وكل حيوان منها له رأس ورقبة وذيل، يشبه دودة العلق تماما في شكلها ورسمها، وأن هذا الحيوان يختلط بالبويضة الأنثوية فيلقحها، فإذا ما تمّ اللقاح انطبق عنق الرحم فلم يدخل شيء بعده إلى الرحم، وأما بقية الحيوانات فتموت.

نسأل الذين ينكرون وجود الله تعالى:

هل الطبيعة هي التي جعلت الحيوان المنوي يشبه العلق في الشكل والرسم؟!

لماذا لم تتكلم الطبيعة وتقُلْ: أنا التي فعلت ذلك؟!

إن وجود الحيوان المنوي، على هذه الصورة، لا يمكن أن يوجد صدفة، وإنما هو دليلٌ على وجود خالقٍ عظيمٍ قادرٍ على صُنع ذلك.

قال الله الخالق: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[1].



(١) [العلق: ١ – ٢].



البعوضة



نقول للذين ينكرون وجود الله:

اكتشف العلماء أن البعوضة لها مائة عين في رأسها، ولها في فمها ثمانية وأربعون سنًّا، ولها ثلاثة قلوب في جوفها، ولها ستة سكاكين في خرطومها، ولكل واحدة وظيفتها، ولها ثلاثة أجنحة في كل طرف، ومزودة بجهاز حراري يعمل مثل نظام الأشعة تحت الحمراء، وظيفته أن يعكس للبعوضة لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه، والبعوضة مزودة أيضًا بجهاز تخدير موضعي يساعدها على غرز إبرتها دون أن يحس الإنسان، وما يحس به الإنسان كالقَرْصة هو نتيجة مص الدم منه، والبعوضة مزودة أيضًا بجهاز تحليل دم؛ فهي لا تستسيغ كل الدماء، ومزودة بجهاز لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جدًّا، ومزودة بجهاز للشم تستطيع البعوضة من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من مسافة تصل إلى كيلو متر(١).

(١) موسوعة الرد على الملحدين، الدكتور هيثم طلعت (ج ١ / ص ٦٠).

وهنا سؤال للملحدين الذين ينكرون وجود الله:

هل الطبيعة هي التي وضعت هذه الأجهزة داخل البعوضة؟!

فإذا أجبتم بـ: نعم، قلنا لكم: لماذا لمتخبرنا الطبيعة بذلك؟!

قال الله تعالى: ﴿إن اللهَ لَا يَسْتَحى أن يَضربَ مَثلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَهَا فأما الَّذيَنَ امَنُوا فَيَعْلمُونَ اَنَّهُ اْلحَق مِنْ رَبهِم وأما الَّذيَن كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أراد اللهُ بِهذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثيراً وَيَهدِى بِه كَثيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إلا الفَاسِقيَن﴾[1].

وقد أخبرنا الله الخالق: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمطْلُوبُ، مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[2].



(١) [سورة البقرة: ٢٦].

(٢) [الحج: ٧٣-٧٤].



الماء المالح لا يختلط بالماء العَذْب

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾[١].

نقول للذين ينكرون وجود الله: أنتم تصدّقون الاكتشافات العلمية؟

سيقولون: نعم.

فنقول لهم: أثبت العلم الحديث خاصية الانتشار الغشائي (الأسموزي)، التي تدفع جزيئات الماء العذب إلى الانتشار داخل الماء المالح، وليس العكس، عبر السطح الفاصل بينهما (الحاجز أو البرزخ).

وفي هذا الصدد أيضًا تجدر الإشارة إلى معجزة بقاء ماء البحار والمحيطات دون تجمُّد؛ إذ يطفو الثلج المتجمد فوقها ليحفظ بقية الماء من التجمد، ويحفظ حياة الأسماك والأحياء البحرية، ولتستمر الملاحة فيه، ويرجع ذلك لخاصيةٍ وهَبها الله الخالق للماء دون سائر المواد الأخرى، إن كثافته تقل (ولا تزيد كغيره) بالتجمُّد؛ (كثافة الثلج أقل من كثافة الماء السائل).

---

(١) [الفرقان: ٥٣].

نقول للذين ينكرون وجود الله:

هل الطبيعة هي التي فعلت ذلك؟!

لماذا لم تتكلم الطبيعة وتقُلْ: أنا التي فعلت كل هذا؟!





عسل النحل



قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

للنحلة معدتان: واحدة للعسل وأخرى لطعامها الذي تأخذ منه الطاقة، أما معدة العسل أو ما يسمى كيس العسل فإنها تخزن به رحيق الأزهار التي تجمعها و تفرز عليه الإنزيمات (الخمائر) إلى الرحيق وخاصة خميرة (الإنفرتيز)، حيث تقلب سكر القصب (السكروز – السكر العادي)، الذي نستخدمه إلى سكر عنب (الجلوكوز) وسكر فواكه (الفركتوز)، ونتيجةً لهذا التحول يتبدَّل الرحيق إلى عسل غير ناضج، وحين تعود النحلة إلى الخلية فإنها تسلِّم ما عندها من رحيق إلى نحلات أخريات في الخلية وتذهب إلى جني حمولة أخرى، وهذا العسل الذي يخرج من بطون النحل يعتبر طعامًا ودواءً شافيًا، وهو مختلف الألوان، منه الأبيض والأصفر،

---

(١) [النحل: ٦٨-٦٩].

والأحمر والأسود، وغير ذلك، بإثباتات علمية باتفاق العلماء جميعهم.

نسأل الذين ينكرون وجود الله سؤالًا:

هل الطبيعة هي التي فعلت ذلك؟

وإذا كانت الإجابة بـ: نعم، نقول:

هل يمكن أن يشارك الذباب النحل فيأكل من نفس الأزهار لينتج العسل؟

هل الصدفة هي التي فعلت ذلك؟

وإن كانت الصدفة، لماذا لا تتكلم وتقول بأنها هي التي فعلت ذلك؟





لبن الحيوانات

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾[1].

وقول الخالق: ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا ﴾ أي: إذا نضج الغذاء في معدته، تصرّف منه دمٌ إلى العروق، ولبنٌ إلى الضرع، وبولٌ إلى المثانة، ورَوثٌ إلى المخرج، وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازِجُه بعد انفصاله عنه، ولا يتغير به.

نسأل الذين ينكرون وجود الله:

مَن الذي خلق هذه المصفاة في بطون الإبل والأبقار والأغنام والماعز؟!

من الذي خلق هذه المسالك لكل واحدة منها؟!

هل هي الطبيعة أم الصدفة؟!

ونحن نعلم أن الطبيعة لا ترى ولا تسمع ولا تنطق.

(١) [النحل: ٦٦].

وأنها ميتة.

وإذا كانت غير ذلك، لماذا لم تتكلم وتقُلْ: أنا خلقتُكم؟!





سقف المنزل والأعمدة!

نقول للملحدين الذين ينكرون وجود الله:

أليس سقفُ المنزل يدل على وجود أعمدة وقواعد في علم الهندسة المعمارية؟

سيقولون: نعم.

فنسألهم السؤال التالي:

من الذي رفع السماء بدون أعمدة؟

هل الطبيعة أو الصدفة؟

ولماذا يُبنَى سقف المنزل بالأعمدة؟

أليس كما تقولون بالطبيعة أو الصدفة؟!

إذا كان كذلك.

يجب أن يكون السقف بلا أعمدة مثل السماء.

أو تكون السماء بأعمدة مثل السقف.

ولكن السماء بدون أعمدة.

نقول للملحدين: الله هو الذي رفع السماء بقدرته من غير أعمدة، كما ترونها.

قال الله سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾[1].



(١) [الرعد: ٢].



التيار الكهربائي!!

الكهرباء غير ملموسة ولا محسوسة، ولا يمكن رؤيتها، وضوء المصابيح يدل على وجودها، وكل الأشياء التي تعمل بالكهرباء تدل عليها، وإذا لمسها الإنسان تعرَّض لصدمة كهربائية.

نسأل الذين ينكرون وجود الله:

أتؤمنون بوجود الكهرباء؟

سيقولون: نعم، مع أنهم لم يروا الكهرباء، ولكنهم شاهدوا آثارها أمام أعينهم!

فنقول لهم: اتفقنا نحن وأنتم على أن الأَثَرَ يدل على الشيء الموجود!

نقول لهم: ألا يدل وجودُ السموات والأرض، وتتابُعُ الليل والنهار، ونزول المطر، والطيور التي تحلق في السماء، والحيوانات التي تسير على الأرض، وهذه الجبال، وغير ذلك من عجائب الكائنات؛ على وجود إلهٍ عظيمٍ قديرٍ قد خلق هذه الأشياء؟!

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[1].



(١) [آل عمران: ١٩٠- ١٩١].



الطبيعة خالقة أم مخلوقة؟!

نقول للملاحدة الذين ينسبون وجود الأشياء إلى الطبيعة:

هل هذه الطبيعة خالقة أم مخلوقه؟!

فإن قالوا: الطبيعة خالقةٌ للأشياء، نقول لهم:

لماذا لاتخلق هذه الطبيعة الآن جبالًا وأنهارًا وحدائق وكواكب جديدة؟!

ولماذا لاتخلق هذه الطبيعة الآن حيوانات وأشجارا من نوع آخر؟!

وصدق الله تعالى حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[1].

معناه: أخُلِقوا من غير شيءٍ خلَقهم، فوجدوا أنفسهم هكذا بلا خالقٍ؟

وذلك مما لا يجوز أن يكون.

لأن تعلُّق الخَلق بالخالق من ضرورة الاسم.

(١) [الطور: ٣٥].

فإن أنكروا الخالق لم يجُزْ أن يوجَدوا بلا خالقٍ.

﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي لأنفسهم، وذلك في البطلان أشد!

لأن ما لا وجود له كيف يخَلق؟

فإذا بطَل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقًا، فليؤمنوا به.[1]



(١) تفسير البغوي (ج ٧ ص ٣٩٢).



الكائنات.. هل هي التي أوجدت نفسها؟

سؤال هام للذين ينكرون وجود الله تعالى:

هل الكائنات هي التي أوجدت نفسها؟

فإن قال أحد الملحدين: نعم، الكائنات هي التي أوجدت نفسها.

قلنا: هذا مستحيلٌ عقلًا!

لأن هذه الكائنات في أصلها كانت عدَمًا ثم أُنشئت.

فكيف تكون موجودة وهي معدومة؟

والمعدوم ليس بشيء.

فهي لا يمكن أن توجِد نفسها؛ لأنها في الأصل معدومة.

والمعدوم لا يوجد نفسه، فكيف يوجد غيره؟

فإن قال أحد الملحدين: هذه الكائنات وجدت هكذا صدفة.

قلنا: هذا يستحيل عقلًا أيضًا.

فهل ما أنتج من الطائرات والسفن العملاقة؟

والصواريخ والسيارات والآلات بأنواعها... وُجد صدفة؟

فلا بد أن يقول الملحد: لا يمكن أن يكون ذلك.

قلنا: وكذلك هذه الجبال والشمس والقمر والنجوم والشجر والرمال والبحار وغير ذلك لا يمكن أن توجد صدفة!

ولا يتصور أن هذا التقدم الحضاري الذي يمر به العالم الآن؛ وُجد هكذا صدفة.

سئل بعض الأعراب: بمَ عرفتَ ربك؟

قال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير؛ فسماءٌ ذات أبراجٍ، وأرضٌ ذات فِجاجٍ، ألا تدل على اللطيف الخبير[1].

قيل لرجلٍ: بم عرفت ربك؟ قال: عرفته بنحلةٍ، بأحد طرفيها تعسل، والآخر تلسع![2].



(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني - (ج ١ / ص٢٧٢).

(٢) تفسير الرازي (ج ٢ / ص ٣٣٤).



التأمل في خلق الإنسان

قال الله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1]. قال أحد السلف: يأكل الإنسانُ ويشرب من مكانٍ واحدٍ، ويخُرج من مكانين، ولو شرب لبنًا محضًا لخرج منه الماء ومنه الغائط، فتلك الآية في النفسِ.

وقيل في معنى﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾[2]: أي خلقكم من ترابٍ، وجعل لكم السمعَ والأبصار والأفئدة ﴿ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾[3].

قال الحسن البصري: في الهَرَمِ بعد الشباب، والضعف بعد القوة، والشَّيب بعد السواد.[4].

قال الإمام ابن القيم مخاطبًا كل إنسان:

ارجع الآن إلى نفسك، وكرر النظر فهذا يكفيك.

---

(١) [الذاريات: ٢١].

(٢) [الذاريات: ٢١].

(٣) [الروم: ٢٠].

(٤) تفسير القرطبي (ج ١٧/ ص ٣٩).

وتأمَّل أعضاءك وعجائبها.

الفم: للغذاء والكلام والجمال.

ثم رتب الخالق مجاريَ وطرقًا يسوق بها الغذاء إلى كل عضو.

وجعلها أبوابا لإدخال ما ينفعك وإخراج ما يضرك.

وجعل الأوعية المختلفة خزائن تحفظ مادة حياتك.

فتأمل حال الطعام في وصوله إلى المعدة؟

وكيف يسري منها في البدن!

ثم يبعث ما بقي من الفضلات إلى مصارف قد أعدت لها!

فمن ذا الذي تولَّى ذلك كله؟ وأحكمه ودبّره وقدّره أحسن تقدير؟! [(١)].



(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (جـ١ / صـ٢٩٨).



إذا كان الله قدّر عليَّ أعمالي، فلماذا يحاسبني؟

سؤال قد يسأله بعض الملحدين، يقول: إذا كان الله قدّر عليَّ أعمالي، فلماذا يحاسبني؟

قال ابن عثيمين رحمه الله:

أفعال العباد كلها مخلوقة لله، ولكن ليس ذلك حجَّة للعاصي على فعل المعصية؛ وذلك لأدلة كثيرة، منها:

١- أن الله أضاف عمل العبد إليه، وجعله كسبًا له فقال سبحانه: ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾[1]. ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرةٌ عليه ما نُسب إليه.

٢- أن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع؛ لقوله تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾[2]. وقوله سبحانه: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[3]، ولو

(١) [غافر: ١٧].

(٢) [البقرة: ٢٨٦].

(٣) [التغابن: ١٦].

كان مجبَرًا على العمل ما كان مستطيعًا على الفعل أو الكف؛ لأن المجبَر لا يستطيع التخلُّص.

٣- أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري، وأن الأول يستطيع التخلص منه.

٤- أن العاصي قبل أن يُقدِم على المعصية؛ لا يدري ما قُدّر له، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك.

فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتجّ بالقدر المجهول؟

أليس من الأحرى أن يسلُكَ الطريق الصحيح ويقول: هذا ما قُدّر لي؟!

٥- أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة؛ قال سبحانه: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾(١).

ولو كان القدر حجةً للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل، ونعلم أن الله ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعةٍ؛ قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٢).

(١) [النساء: ١٦٥].

(٢) [البقرة: ٢٨٦].

وقال سبحانه: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾[١].

فدل على أن للعبد فعلًا وكسبًا يُجزى به، بالثواب أو بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.[٢].



(١) [غافر: ١٧].

(٢) شرح لمعة الاعتقاد، ابن عثيمين (صـ: ٩٣- ٩٤).



علاج ظاهرة الإلحاد

يمكن أن نوجز علاج ظاهرة انتشار الإلحاد في الدول الإسلامية بالأمور الآتية:

١- الاهتمام بترسيخ عقيدة توحيد الله في نفوس المسلمين على اختلاف أعمارهم، باستخدام الوسائل العلمية الحديثة، كمشاهدة آيات قدرة الله تعالى في الكون، والتعليق على هذه الآيات من الناحية العلمية؛ لكي يزداد المؤمنون إيمانًا مع إيمانهم، وتزول عنهم الشبهات التي يثيرها الملاحدة المنكِرون لوجود الله تعالى.

٢- الاهتمام بالتربية الخُلُقية للمسلمين على اختلاف أعمارهم، وذلك عن طريق القرآن الكريم، وسيرة النبيّ محمد ﷺ.

٣- الذنب يولّد ذنبا، ولا تأتي الكبيرة إلا من صغيرة، فما أوصلنا إلى حالنا اليوم إلا بسبب معصية قد عصينا بها الله، ومن أمثلة هذه المعاصي وأهمها هي النظر، ووسائله المتاحة، فهو يلهي عن ذكر الله، ويولد في القلب الران، والران يولد الشكوك، والشكوك نهايتها كفر وإلحاد.

إن التربية الفاضلة هي أفضل الوسائل المؤثرة في نفوس الناس، فينبغي أن نضع أمامهم شخصياتٍ صالحةً يقتدون بهم، ويسيرون على نهجهم في جميع أمور حياتهم، ليسير الناس عليه، فيسعدوا في الدنيا والآخرة.

روى أحمد عن سعد بن هشامٍ قال: سألت عائشةَ فقلت: أخبريني عن خُلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: **(كان خُلُقُه القرآنَ)**[1].

لقد كان نبينا محمد ﷺ أكبرَ قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان نبينا ﷺ مربِّيًا وهاديًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به.

٤- التصدي بكلِّ قوة علمية للردِّ على جميع الشُّبهات التي يثيرها الذين ينكرون وجودَ الله تعالى؛ وذلك عن طريق استخدام جميع وسائل الإعلام المختلفة؛ ويقوم بهذا العمل مجموعةٌ من العلماء المتخصصين في جميع المجالات.

٥- ينبغي أن تتضمن مناهج التعليم كتابًا يتحدث عن الأدلة والمعجزات الكونية التي تثبت وجودَ الله تعالى، بحيث يكون هذا الكتاب بأسلوب بسيط، ويناسب مراحل التعليم المختلفة، ومزودًا بالصور الطبيعية، وتعليقات العلماء المتخصصين، وهذا سوف يؤدي إلى تربية أجيال

(١) مسند أحمد، حديث صحيح.

صالحة، تؤمن بالله تعالى، وتعمل جاهدةً على تقدم بلادها في جميع مجالات الحياة المختلفة.[1]



(١) من كتاب: معجزة الخالق في الكون والحياة، عبد العزيز العمراني (ص٢٢٢-٢٢٣).



لا للإلحاد!



انتشرت في الفضائيات في الفترة الأخيرة مناظرات مع الملحدين.

وتكررت لقاءات تحدثوا فيها عن شبهاتهم.

ونخشى ما نخشاه أن تجد لها قبولا عند كثير من رقيقي الثقافة والمراهقين؟
علينا جميعا محاربة هذا الداء الخطير.

كلُّ ما هبّ ودبّ أصبح ملحدا بالقول أو بالفعل!

خصوصا الشباب

تناقشهم يقول: لا أدري؟!

عجبا للملحدين، ناقشناهم في منتدياتهم ليس معهم إلا الجهل!!

سؤال واحد: إذا كنتم أنكرتم لهذا الكون خالقا؟؟

أقنعونا من الذي أوجده؟

يقولون الطبيعة!!

وحين تحاججهم بأن الطبيعة لا تستطيع أنتخلق شيئا.

يقولون: الصدفة.

وهذا قمة الجهل!

الصدفة لا يمكن أنتخلق شيئا!

حتى عقول الأطفال لا تقبل بذلك!

وبالتالي تأتي كلمة (لا أدري)، وهي قمة الانهزام!

إن ناقشت أحدهم قال: لا أدري من خلق، ولكن ليس هناك خالق!

هكذا ببلادة وبدون علم؟!





الرد على الملحدين

إذا ما تأملنا في المخلوقات التي تولد في كل يومٍ؛ من إنسان وحيوان، جعلها الله في هذا الكون، وتفكرنا في كل ما يحدث في الوجود من رياح وأمطار وليل ونهار، ونظرنا إِلَىَ ما يجري في كل حينٍ من حركات منتظمة للشمس والقمر والنجوم والكواكب، إِذَا تأملنا في هذا وغيره من التغيرات التي تجري في الوجود فِي كل لحظة؛ فإن العقل يجزم بأن هذا كله لا يمكن أن يكون من صُنْعِ العدم؛ لأن العدم لا وُجُود له.

العدم لا يخلق شيئًا.

العدم الذي لا وجود له لا يستطيع أن يصنع شيئًا.

لِأَنَّهُ غير موجود.

قال الله الخالق: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقونَ﴾[1]. فالتفكر فِي المصنوع يدل على وُجُود الصانع؛ بل وعلى صفاته، فكل شيء يوجد فِي المصنوع يدل على قدرةٍ أو على صفةٍ عَنْد الصانع، فلا يمكن أن يوجَد شيء

(١) [الطور:٣٥].

فِي المصنوع إِذَا كَانَ الصانع لا يملك قدرة ولا صفةً مَكَّنَتْهُ من فعل ذَلِكَ الشيء؛ فضلًا عَنْ أن يكون هذا المصنوع وُجِدَ بغير صانع.

يعني: أنت إِذَا رأيت بابًا من خشب قد أُتْقِنَ صُنْعُهُ؛ فإنك ستعلم أن الصانع مَلَكَ هذا الخشب، واستطاع أن يقطعه بانتظام وإحكام، ويمتلك الأدوات التي يستطيع أن يفعل بها ذَلِكَ، وهو يمتلك القدرة أيضا على تثبيت أجزاءِ هذا الباب بالوسائل الممكنة، وأن لديه علمًا بصناعة هذا الأمر، وله خبرة، وأن لديه إحكامًا فِي عمله، حتى جعله على هذا النحو، وكذَلِكَ نجد كل شيء فِي المصنوع يدل على وُجُود صانعه ابتداءً، ويدل على قدرته، ويدل على علمه وعلى إرادته؛ لِأَنَّهُ يخصِّص هذا الممكنَ ببعض وجوهه الممكنة.

فلا يمكن أن يوجد شيء فِي المصنوع، إلا إِذَا كَانَ الصانع يمتلك قدرة أو صفة تمُكِّنُه على صنع ذَلِكَ الشيء.

ومن هنا نعرف أن التفكر فِي المخلوقات يدل على بعض صفات الخَالِق؛ وإذا تأملنا وتفكرنا فِي المخلوقات؛ نجد أنها دليلٌ مادي على وُجُود هذا الخالق، وإذا أردنا أن نبدأ بالأدلة المادية على وُجُود هذا الخالق؛ فلا بد أن نبدأ بالخلق؛ لِأَنَّهُ الدليل الَّذِي نراه جميعًا أمام أعيننا ليلًا ونهارًا، ونَلْمَسُهُ لأننا نعيشه.

البداية هي: أن هذا الكون بكل ما فِيه قد وُجد أولًا قبل أن يُخلق الإنسان، وتلك قضية لا يستطيع أحد أن يجادل فِيها، فلا أحد يستطيع أن يقول:

إن خلق السماوات والأرض قد حدث بعد خلق الإنسان!!

بمعنى أن الإنسان جاء ولم تكن هُنَالِكَ أرضٌ يعيش عليها، ولا شمسٌ تُشْرِقُ عليه، ولم يكن هُنَالِكَ ليل ولا نهار، ولا هواءٌ يَتَنَفَّسُهُ، أو طعام يأكله، إِلَى غير ذَلِكَ من مفردات هذا الوجود! لا، أبداً، الإنسان جاءَ وكلُّ شيء قد أُعِدَّ له قبل أن يوجد، لِتَخْدُمَهُ وتُعْطِيَهُ كل متطلبات الحياة بدون مقابل، وأشياء أخرى تعطيه ما يشاء؛ ولَكِنها محتاجة إِلَى جُهد الإنسان وعمله، وذَلِكَ حتى تَتِمَّ عِمَارةُ الْأَرْض.

فالله الخالق جعل الشَّمْس في هذا الكون تمَدُّه بالطاقة، وهي لا تميز بين مؤمن وكافر، وكذَلِكَ جعل الله الخالق الْأَرْض لزراعتها؛ ولَكِنْ هذا يحتاج إِلَى جُهْدٍ إنسانيٍّ وعمل، ولَكِن لا أحد يستطيع باستخدام العقل وحده أن يجادل أن هذا الكون قد خلق وأعد لحياة الإنسان قبل أن يُخْلَقَ الإنسان نفسه، قَالَ الله لنا: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْض جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[1].

---

(١) [البقرة:٢٩].

فلا يستطيع أحد بعد ذَلِكَ أن ينكر أن الكون قد تم خلقه قبل خلق الإنسان.

فكيف يكون للإنسان عملٌ فيه قبل أن يُوجد ويخُلق؟!

فتأكد أن الكون أُعدّ للإنسان قبل أن يخُلق، وهذه قضية يؤكدها العقل، ولا يستطيع أحد أن يجادل فِيها، فإذا وصلنا إِلَى هذه المسألة نعلم أننا البشر جميعًا قد جئنا إِلَى كون مُعَدٍّ لنا إعدادًا كاملًا؛ ولَكِنَّ قدرة هذا الكون لا تخضع لنا ولا لقدراتنا، بل هي أكبر، فالشمس مثلًا أقوى من قدرة البشر جميعًا، وكذَلِكَ الْأَرْض والبحار والجبال.

إذًا؛ فلا بد أن تكون هذه الأشياء قد أُخضِعت لنا بقدرةٍ من خالقها، ولم تخْضَعْ لنا بقدرتنا نحن، خلقها لنا قبل أن يخلقنا، ولا تستطيع أن تعصي أمره.

فالشَّمْس مثلا...

لا تستطيع أن تشرق يومًا وتغيب يومًا على حسب هواها.

أو تعطي الدفء ووسائلَ استمرار الحياة لمن تريد، وتمنعه عمن تريد.

الهواء لا يستطيع أن يرتفع عن الأرض مترا فتموت جميع الكائنات.

المطر لا يستطيع أن يمتنع عَن الْأَرْض، فتنعدمَ الحياة ويهلكَ الناس.

الأرض لا تستطيع أن تمنع نفسها عَنْ إنبات الزرع.

لا تستطيع البشرية كلها أن تدَّعي أن لها دخلًا في خلق هذه الأشياء.

ولا فِي مُهَمَّتِها، ولا فِي استمرارِها فِي عملها.

وإذا جئنا إِلَى الإنسان.

وجدناه هو الآخر لا بد أن يشهد بأن له خالقًا وموجدًا.

فلا يوجَد من يَدَّعِي أَنَّهُ خَلَقَ إنسانًا!

ولا مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ خلق نفسه!

ولَكِن إِذَا جاء بعض الناس فقال: إن هذا الكون خُلِقَ بالمصادفة؛ فهو مُقِرٌّ بأن له خالقًا؛ ولَكِنه أخطأ فِي إثبات هذا الخَالِق، وادعى أن المصادفة هي التي أَوْجَدَت كل شيء!

إذًا؛ هو يُقِرُّ بأن هذا الكون لا بد له من موجد.

ولكنه يقول: أَوْجَدَت المصادفةُ هذا الكونَ!!

فيقال لهم: إن المصادفة لا تُنْشِئُ نظامًا دقيقًا بالدقيقة والثانية؛ كنظام الكون الَّذِي لم يَخْتَلَّ رَغْمَ مرورِ أربعة عشر مليار سنة!

وإذا جاء بعض المُلْحِدِينَ ليدعي أَنَّهُ كَانَت هُنَاكَ ذرات ساكنة، ثم تحركت وتكثفت واتحدت، ثم حصل الانفجار العظيم قبل مليارات السنين... إِلَى آخر ما يَقُولون.

يقال لهم: ومن الَّذِي أوجد هذه الذرات بدءًا؟!

ومن الَّذِي حركها من السكون؟!

ومن الذي أحدث هذا الانفجار العظيم؟

وكيف حصل!؟

ومن الذي أحدث الحياة بعد ذلك على الأرض؟!

العقل يقضي بأنه لا يمكن أن يوجد حركة من غير محرك، أو موجود من غير موجد، ولا يمكن أن يكون خلق بغير خالق.

فإذا قيل: إن الحياة بدأت بخلية واحدة فِي الماء نتيجةَ تفاعلات كيمياوية... إِلَى آخر ما يَقُولون؛ فيقال لهم:

ومن الَّذِي أوجد هذه التفاعلات لتصنع هذه الخلية؟!!

هذه التفاعلات فِيها دقة شديدة، وفيها نظام محكم؛ فكيف كَانَت على هذا النحو؟!

ومن الَّذِي أنشأ هذا النظام المحكم؟!

فضلًا عَنْ السؤال الأول، وهو:

من أوجد هذه الخلايا التي وقعت فِيها تلك التفاعلات؟!

كما أن العاقل لا يَدْخُلُ فِي جدل عقيم مع أمثال هَؤُلَاءِ، وإنما يَقُول لهم: إن من إعجاز الخَالِق: أَنَّهُ أنبأنا بمجيئكهم قبل أن تكونوا، وأنبأنا أنكم ضائعون ومضِلون، وفي ذَلِكَ يَقُول الله الخالق للكون والحياة: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [1]. فهذا دليل على وُجُود الله، وأنه هو الخَالِق، وأنه علام الغيوب؛ لِأَنَّهُ أخبرنا عَنْ هَؤُلَاءِ قبل أن يكونوا، وذكر لنا بأنهم سيقولون على هذا النحو من الكلام الفارغ.

إذا جاء من هؤلاء لِيُضِلَّ الناسَ بنظريات كاذبة عَنْ أصل خلق الإنسان، فيدعي مثلًا أن الجد الأعلى للإنسان فِي آخر مراحل التطور الإنساني إنما هو قرد شامبانزي!!

فيقال له: أصله قرد؛ فمن الَّذِي أوجد القرد الأول؟!!

---

(١) [الكهف:٥١].

وكذَلِكَ أنت، إِذَا ما انتقلت إِلَى أنواع الموجودات: الثمرة الأولى من كل فاكهة، حبة القمح الأولى، وكل ما أنتجته الْأَرْض؛ من الَّذِي أوجد هذه الأشياء أول مرة؟ ثم بعد ذَلِكَ استمر وُجُودها فِي الكون إلى الآن.

قد يقال مثلًا: إنَّ هُنَالِكَ تَهْجِينًا بين الأنواع لِتُنْتِجَ نوعًا أكثرَ جودة على حسب قواعد الهندسة الوراثية كما هو فِي هذا العصر.

قد يدّعي بعض الْعلماء أَنَّهُم حَسَّنوا أو استنبطوا أنواعًا جديدة!!

فيقال لهم: هذا لا ينفي الوجود الأول، وإنما هم استخدموا ما خلق الله، ولَكِنَّ أحدًا لا يستطيع أن يدّعي أَنَّهُ أوجد أي شيء فِي الْأَرْض من عدم، فكل هذه الاكتشافات الْعِلْمية هي من موجودٍ لا من عدم.





أكذوبة الاستنساخ وسرّ الخلق!

وفي هذا أَيْضًا الرد على الَّذِينَ انبهروا بِسَبَب ظهور الاستنساخ؛ لِأَنَّهُم قَالوا: إن الاستنساخ كَأَنَه خَلْقٌ!

قالوا: قد عرفنا سِرَّ الخلق!

فهم يأخذون خلية من الخلايا ولو كَانَت من ميتٍ منذ عشرات السنين، ويتم التعامل مع هذه الخلية وفق معالجات معينة، ثم بعد ذَلِكَ يمكن أن تُزرع هذه الخلية فِي رحم امرأة إِلَى أن تتم الولادة، كما حدث فِي النعجة (دُلِّي)، وكما وقع فِي بعض الأجنة الإنسانية، إِلَى غير ذَلِكَ، وانبهر الناس انبهارا عظيما، وقالوا: لقد عُرِفَ سِرُّ الخلق !!

أين هي المعرفة بسرّ الخلق؟!!

هم أخذوا ما خلقه الله،

فجعلوه فِي الظروف التي خلقها الله،

وبالأدوات التي خلقها الله،

وغَذَّيْتَ ذَلِكَ بالغذاء الَّذِي خلقه الله،

إِلَىَ أن وصلت إِلَىَ خلق الله.

فأي خلق هذا؟!!

دع هذا كله جانبًا، واخلق من العدم كائنًا؟

هل هذا أمر يُستطاع؟؟!





ذبابة؟!!



هنا، تأتي حقيقة قرآنية عظيمة تتحدى الخلق أجمعين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[1].

هذا هو التحدي الإلهي الَّذِي سيبقى قائمًا إِلَىٰ يوم القيامة.

لن يستطيع علماء الدنيا مهما بلغوا ولو اجتمعوا أن يخلقوا ذبابة.

مخلوق حقير؛ ليدل على عجز هَؤُلَاءِ؛ بل إن الأمر بلغ فِي التحدي إِلَىٰ ما هو أعلى من ذَلِكَ، بل تحداهم الله الخالق أن يسترجعوا حبة سكر من الذباب الَّذِي امتصه واستلبه منهم؛ هذا التحدي الإلهي سيبقى قائمًا إِلَىٰ يوم القيامة لن يستطيع علماء الدنيا **(وَلَوِ اجْتَمَعُوا)** فعلا، لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة!

لقد وصل الإنسان إِلَىٰ القمر وإلى المريخ.

وقد يصل إِلَىٰ كواكب أخرى أكثر بعدا.

---

(١) [الحج:٧٣].

كل هذا بابُ الاحتمالات فِيه مفتوح؛

ولَكِنَّ الإنسان مع هذا التقدم الْعَظِيم سيظل عاجزًا عَنْ خلق ذبابة!!

فيا أيها الَّذِينَ صنعتم ما صنعتم، واخترعتم ما اخترعتم، وجاوزتم ما جاوزتم فِي أنحاء الفضاء، وغُصتُم فِي أعماق البحار والمحيطات، إِلَى غير ذَلِكَ مما وصلتم إِلَيْهِ؛ لن تستطيعوا أنتخلقوا ذبابة ولو اجتمعتم!!

ولا يمكن لأحد أن يخلق شيئًا من العدم مهما صَغُرَ شأنه، فمهما حاول البشر بكل قدراتهم، فإنهم لن يستطيعوا أن يكتشفوا أسرار الله فِي كونه، أما أن يخلقوا ذبابة فهم عَنْ ذَلِكَ أَحَطّ وأحقر.

وهذا من إعجاز الله؛ لِأَنَّهُ وحده الَّذِي خلق كل شيء، ولِذَلِكَ يَقُول الله الخالق: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾[1].



(١) [الأنعام: ١٠٢].



طلاقة القدرة



طلاقة القدرة تعني: أن وراء الأشياء كلها من كائنات وغيرها، إلهٌ قادر حكيم فاعل، لأن اضطراد الأحداث يُنْسِي أحيانًا مَنْ أحدَثَها؛ كاطِّرادِ النِّعَمِ يُنْسِي أحيانًا مَنْ أَنْعَمَ بها، فإن الإنسان إِذَا ما تحققت له العافية فإنه لا يتذكر المرض، والنعمة إذا ألفها الإنسان باستمرار وصارت عادة له فإنه لا يحس بها.

فالمرء إِذَا كَانَ صحيح البصر؛ فإنه لا يحس أن له عينين، ولَكِنه إِذَا ما أصابه التهاب في عينيه وفقد من بصره شيئا؛ فحينئذ يعرف أن الله قد خلق له عينين.

كما أن الشمس تشرق ثم تغيب، وينتج عن ذلك الليل والنهار، إِلَى غير ذَلِكَ من مظاهر الكون المتكررة باستمرار دون انقطاع، وإِلْفُ الإنسان لها يُنْسِيه خالقها، وهذا من الخلل الكبير من الناحية العقلية، فعلى الإنسان دائمًا أن يتأمل في هذا.

وقد جعل الله طلاقة القدرة فِي الظواهر المألوفة في كونه، وجعل الله في هذه الظواهر أَنَّهُ إِذَا التقى الذكرُ والأنثى؛ كَانَ بينهما ولد، وقد يلتقي الذكر والأنثى

ولا يكون بينهما ولد ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾[1]، وهذا من بعض الحكمة التي يستجليها كثير من علماء الاختصاص اليوم، فِيما تجده فِي الخلق من بعض الأمور التيتختل فِيها أعضاؤهم الظاهرة!

فإنك ترى بعض الناس على صفة معينة من حيث الخلق، ويَعجب الإنسان من هذا، وبعض الناس يتفلسف فيقول: ما ذنبه إذ وُلِد بغير يدين، أو وُلد أكمه لا يرى، إِلَى غير ذَلِكَ من هذه الأشياء!!

أنت عندما تنظر إِلَى هذا؛ تعلم أن ما تراه في الخلق من أدوات ليست فاعلةً بذاتها، وليست بمحض عملية طبيعية إلزامية تكون من التقاء الذكر بالأنثى بإنزال المنيّ فِي الرحم، فيأتي هذا الكائن الإنساني، وإنما يتوقف هذا العضو أحيانًا عن أداء وظائفه، لِيُخْرِجَ الإنسانَ قَسْرًا من إِلْفِ العادة فِيما يتعلق بأعضائه وصحته إِلَى معرفة أن هذا من محض النعمة والفضل عليه من مؤثر آخر وهو خالق هذا العضو أو هذا الأعضاء.

وأما إِذَا ما كَانَ الأمر مطردًا في الجميع؛ فإن ذَلِكَ يكون أدعى لنسيان نعمة الله.

---

(١) [الشورى:٥٠].

فالله الخالق جعل في قوانين الأَسْبَاب؛ أَنَّهُ متى تزوج الذكر والأنثى يأتي الولد، ولَكِن أبقى لنفسه طلاقة القدرة، فجعل هُنَاكَ ذكرًا وأنثى يتزوجان أعوامًا طويلة ولا يُرْزَقَانِ ولدًا!

قد يستعمل مريضٌ علاجا معيّنا فيُشفى به،

وقد يستعمل مريضٌ آخر يعاني من نفس هذا المرض،

وقد لا يشفى، أو قد يموت!

إن طلاقةُ القدرة لم يجعلها الله عامة، بل جعلها في أمثلة قليلة؛ لِتَلْفِتَنَا إِلَى طلاقة قدرته؛ حتى لا نحسَبَ أننا نعيش بالأَسْبَاب وحدها، ولا تجد هذا في الإنسان وحده؛ بل إِنَّهُ لَيَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ جميعَ الخلق في جميع الأوجه في هذا الوجود.

فالأصل فِي الإيجاد من ذكر وأنثى؛ ولَكِنَّ الله بطلاقة القدرة:

خلق إنسانًا بدون ذكر أو أنثى، وهو آدم أبو البشر!

وخلق إنسانا من ذكر بدون أنثى، وهي حواء! خلقها من ضِلَعِهِ!

وخلق إنسانًا من أنثى بلا ذكر، وهو عيسى بن مريم!

هذا كله يدلنا على أن الأمر ليس مطّردًا، فإذا شاء الخالق أن يُخَالِفَ هذا القانونَ المطرد؛ خالفه، وهذا يَلْفِتُنا إِلَىَ أن الله مطلق القدرة في الخلق يخلق ما يشاء، وأنه ليس لقدرته من حَدٍّ تقف عَنْده، فهي قدرة طليقة بلا قيد ولا حدّ.

الله خالق الأَسْبَاب، وقدرته فوق الأَسْبَاب، يفعل ما يشاء.

لو نظرنا إِلَىَ المطر مثلًا؛ لوجدناه سبحانه قد جعل فِي الكون مناطق ممطِرة، ومناطق لا ينزل فِيها المطر، ثم وضع متخصصوا علم الطقس في نشراتهم المعتادة فِيما يعرف بالأرصاد الجوية حسب صور الأقمار الصناعية، خرائط تحدد مناطق هطول المطر والثلج، والمناطق التي لا مطر فِيها ولا ثلج؛ ولَكِنْ قد يحدث العكس! فالمطر والثلج حينما ينزل من السماء ليس خاضعًا للأسباب وحدها؛ ولَكِنَّ الَّذِي يحكمه طلاقة قدرة الله حسب علمه وحكمته؛ حتى لا نعتقد أننا أخذنا الدنيا وملَكناها بالأَسْبَاب.





هل هي الصدفة؟!

عنْدما ندرس الكون؛ نرى فِيه نظاما دقيقا كاملا بالدقيقة والثانية، من أصغر ذراته إِلَى أكبر أجرامه، من أبسط أشكاله إِلَى أعقد مظاهره؛

فما هو تعليل ذَلِكَ؟

كيف وُجد ذَلِكَ؟

وكيف استمر ملايين السنين؟

وكيف ثبت منذ أربعة عشر مليار سنة؟

هُنَالِكَ جواب واحد يقدمه العقل على ذَلِكَ، وهو وُجُود ذاتٍ مسيطرة، إنه الله.

لا يمكن أن يعلَّل مثل ذَلِكَ إلا بوجود الله.

لو أنك نظرت إِلَى ثعبان الماء؛ متى اكتمل نموه؟ هاجر من مختَلَفِ الأنهار قاطعًا آلاف الأميال فِي المحيط، قاصدًا جنوبِ بَرْمُودَا، حيث الملتقى من كل أنحاء العالم، فتبيض الإناثُ وتموت، وأما صغارها فإنها تعود أدراجَها

من حيث أتت!

كيف تجد طريقها إِلَى الشاطئ الَّذِي جاءت منه أمهاتها؟

من الَّذِي دل هذا على هذا؟!!

ومن الَّذِي علمه؟!!

ومن الَّذِي أرشده؟!!

عالم بيولوجي أراد التفريخ في (فقاسة) آلية حسب معطيات حسابية!

نصحه فلاحٌ أُمِّيٌّ أن يُقَلِّبَ البيض؛ لِأَنَّهُ رأى الدجاجة تفعل ذَلِكَ!

سخر منه العالم، وأفهمه أن الدجاجة إنما تقلب البيض لتعطي الجزء الأسفل من البيضة حرارة جسمها، كما هو الحال في الأعلى.

استمر العالم فِي عمله، ولم تفقس بيضة واحدة!

أعاد التجربة مقلداً الدجاجة، حتى إِذَا أتَى موعد الفَقْسِ؛ خَرَجَت الفَرَارِيجُ.

ما هو التعليل الْعِلْمي لهذا؟

ترسب المواد الغذائية فِي الجزء الأسفل من البيضة، وبالتالي في جسم الكتكوت.

فإذا بقي بدون تحريك لأوعيته؛ أدى ذَلِكَ إِلَىٰ هلاكه!

هذه الدجاجة؛ فمن الَّذِي عَلَّمها؟!

هذه العمليات المعقدة التي تؤدي إِلَىٰ بقاء الأجناس المختلفة فِي الْأَرْض، في الدجاج، والأفاعي، والطيور المهاجرة في أنحاء القارات.

من الَّذِي عَلَّمها؟! ومن أين أتت به؟!

هل أتى ذلك كله عن طريق الصدفة!؟

لا يمكن أبدًا لأي عاقل أن يتصور حدوث ذَلِكَ عَنْ طريق المصادفة!

وإن كان ذلك عن طريق الصدفة؟

لماذا لا تتحدث الصدفة وتعلن عن نفسها بأنها هي الخالق؟!

لو أنك نظرت إِلَىٰ ترتيب الأذن فِي الإنسان والحيوانات الأخرى؛ ذبذبات صوتية تؤثر فِي ثلاث عظام دقيقة مرتبة ترتيبًا معينًا، والضغط ينبغي أن يكون متساويًا، يوصِلُ إِلَىٰ تجويف الأنف؛ لِذَلِكَ إِذَا ركبت الطائرة واختلف ضغط الهواء؛ يقال لك: افتح فمك، تنفس من فمك، وإلا تمزقت الطبلة، وهي تؤدي وظيفة أخرى هي الحفظ على التوازن، ولِذَلِكَ الَّذِينَ يدورون ويدورون يختل هذا السائل فِي الأذن الداخلية، وهذا يفعله الأطفال عَنْدما

يدورون، ثم لا يستطيع الواحد منهم أن يحفظ توازنه فيسقط! وبهذا السائل تتميز الأنغام المختلفة على حسب الذبذبات عَنْد نقلها إِلَى المخ، أنت تعرف صوت فلان من فلان وأصواتَ المخلوقات بعضَها من بعض، كيف تُرْجِمَتْ هذه الاهتزازات إِلَى شيء أنت تسمعه وتدركه؟

هل أتى ذلك كله عن طريق الصدفة!؟

لا يمكن أبدًا لأي عاقل أن يتصور حدوث ذَلِكَ عَنْ طريق المصادفة!

وإن كان ذلك عن طريق الصدفة؟

لماذا لا تتحدث الصدفة وتعلن عن نفسها بأنها هي الخالق؟!

ناهيك عن البصر ووظائف الخلايا في العين، عَنْدما ينعكس الضوء على الأشياء، ويُنْقَلُ عَنْ طريق العصب البصري إِلَى مركز الترجمة فِي المخ، مع ميّزة تكبير ما تشاهده؛ لأنك إِذَا رأيت جملًا؛ فعينك صغيرة، ومخُّكَ ليس بحجمِ الجمل!

يعني كلما رأيت شيئًا، هل يكون مخُّكَ مثلَ ما رأيت؟!

فكيف تعطيه أنت نسبة التكبير التي تجعله على حقيقته؟!

هل أتى ذلك كله عن طريق الصدفة!؟

هل هذا كله من لا شيء؟!!

هل هذا كله خلقه الإنسان بنفسه لنفسه؟!!

لا يمكن أبدًا لأي عاقل أن يتصور حدوث ذَلِكَ عَنْ طريق المصادفة!

وإن كان ذلك عن طريق الصدفة؟

لماذا لا تتحدث الصدفة وتعلن عن نفسها بأنها هي الخالق؟!

نظرية الاحتمالات فِي العلوم الرياضية تنفي المصادفة نفيًا قاطعًا، وقد تَحْدُثُ فِي الكائنات الحية أشياءُ عجيبةٌ جدًا، لا تعد ولا تحصى، فما كشفه الإنسان منها وما وصل إِلَيْهِ لا شيءَ بالنسبة لحقيقة وُجُودها، وهذه كلها تَدُلّ على وُجُودِ مَنْ رَتَّبَ وقَدَّرَ لاستمرار بقاء هذه الكائنات.

والباحث المتأمل فِي كل خلق، يجد الكثير من الدلائل التي يدحض بها مزاعم المُلْحِدِينَ وافتراءاتِهم؛ سواءٌ فِيما يزعمون من نشأة الحياة بالصدفة، أو ما ينسبونه للطبيعة من قدرة على الاختيار والانتقاء، وإعمالِ القوانين في حركة الكون والحياة، أو ما يزعمون من تطورٍ للمخلوقات أدى إِلَى ارتقاء الجماد والحيوان، أو انحدار الإنسان من أصل مشترَك بينه وبين القِرَدَةِ!!

وهذه كلها مزاعم فلسفية، هذه ليست بالمزاعم الْعِلْمية!

هذه خيالات!!

والمنطق الْعِلْمي نفسه يرفض تلك المزاعم، ويكشف غاياتها الخبيثة فِي تزيين الْكُفْر والإِلحْاد.

إذا بحثنا في جسم الإنسان على سبيل المثال؛ فإننا نجد العديد من التوافقات المذهلة والتنظيمات العجيبة التي تؤكد أن الإنسان لم ينشأ نتيجة صدفة عمياء، ولم يتطور من جماد أو حيوان بفعل قوى الطبيعة المزعومة، بل هو من صنع إله يملك القدرة المطلقة على التدبير والتخطيط، وهذه القوة هي قوة القصد الإلهي التي تؤكد أهمية الغاية والهدف من وراء خلق الكائنات مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1] ولقوله أيضا: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

كثير من آيات القرآن المجيد؛ تدعو إِلَى إعمال العقل فِي إثبات وُجُود الإله الواحد والخَالِق كضرورة حتمية لوجود هذا الكون، واستمرارِ حركتِهِ منذ بداية خلقه، وحتى يقضي الله فِيه أمرًا كَانَ مفعولًا؛ لَكِنَّ المُلْحِدِينَ والكافرين لا يعلمون، أو لعلهم لا يريدون أن يعلموا أو يعرفوا!

(١) [الدخان: ١١٥].

(٢) [الدخان:٣٩].

وبالرغم من اعتراف بعض الملحدين بوجود النظام فِي الكون، وسريان الحكمة والروح فِي الوجود؛ فهم عاجزون عَنْ أن يشعروا بوجود خالق لهذا الكون؛ لِأَنَّهُم استسلموا لأوهام الفكر، وبالغوا فِي تقديس العقل وما يستنبطه من علم، ونَسَوْا أو تَنَاسَوْا وُجُود خالقِ العقلِ وخالقِ الْعِلْم وخالقِ كل شيء فِي هذا الوجود؛ ليقوم بوظيفته التي هيأه وأعده لها على أكمل وجه.

لقد تمادى هَؤُلَاءِ المُلْحِدُونَ فِي الضياع عبر الأزمان والعصور، وحاولوا أن يبدلوا قانون الله الذي لا يتبدل، وأن يُثبتوا أن الله غير موجود، ولم يستطع أحد منهم أن يقدم دليلًا واحدًا يؤيد إنكارهم لوجود الله.

فالَّذِي يجحد وُجُود الخَالِق، ويطلب من المؤمن أن يأتي بالدليل على وُجُوده، فليقل له المؤمن:

فلتأت أنت بدليل واحد على أَنَّهُ غير موجود!!

لا يملكون دليلًا أبدًا؛ بل الأدلة كلها تثبت عكس ذلك، ولَكِنْ عبثًا يمكن إقناعهم؛ لأن لديهم بقعة عمياء فِي عقولهم تمنعهم من تصور الله، تجعلهم لا يستمعون إِلَى كلام الله، ولا إِلَى كلام الأنبياء والرسل، ولا ينصتون لحقائق البحث الْعِلْمي فِي مختلف ظواهر الكون والحياة؛ وبالتالي فهم

تماما كما وصفهم الله الخالق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

والْعِلْم المادي الصحيح يقدم لنا الأدلة الكثيرة على وُجُود الخالق، ويدحض مزاعم المُلْحِدِينَ والكافرين، ويقف بقوة مع دعوة الدين إِلَى إعمال العقل بعيدًا عَنْ الهوى والتعصب؛ لكشف حقائق الوجود، والاهتداء إِلَى الإيمان الخالص بالخَالِق على هدى وبصيرة،

فليس من المعقول أن يفكر الجماد فِي تطوير نفسه!؟

أو أن تمنح الطبيعة الجامدة نفسها روح الحياة؟!

أو أن تحكم المصادفةُ حركةَ الكون؟!

أو يتولدَ النظام تلقائيًا من الفوضى والعشوائية!!

من المستحيل أَيْضًا أن تتكرر المصادفة، لتتخذ شكل ظاهرة عامة تسري على ملايين الكائنات الحية فِي النبات والإنسان والحيوان، وعلى ملايين الظواهر الكونية فِي السماوات والأرض؛ التي تعمل فِي توافقٍ عجيب وتعاون مذهل لاستمرار هذه الحياة.

---

(١) [البقرة:٦-٧].

لقد اكتشف الْعِلْم الحَدِيث أن الْأَرْض التي شاء الخالق أن يجعلها مقرًا للإنسان، واحتضان الحياة والأحياء، وتتخذَ صورًا عديدة من التوافقات الرائعة التي لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية؛

فكيف تعرف الأرض موقعها الدقيق من الشَّمْس والكواكب الأخرى!؟؟

لا بد أن يتحدد بهذه الدقة العجيبة التي تنسجم انسجامًا معجِزًا مع كل مقومات الحياة عليها؟!!

كيف يمكن أن ينشأ هذا البناء الكوني المحكم عَنْ طريق الصدفة؟!





الروح



يبقى بعد هذا كلِّه أن نتحدث عن سِرُّ أسرارِ الحياة، إنها الروح التي جعلها الله مصدر الحركة والإحساس، فقد خلق الله الإنسان خلقًا يجمع بين المادة والروح، وهو بجسمه المادي مشدود إِلَىَ مستوى الْأَرْض، لا إلى السماء مثل أنواع الطيور، ولا إلى قعر المحيطات مثل أنواع الأسماك، وله دوافعه وشهواته ومطالبه الحيوانية، وبروحه الشفافة يتطلع إِلَىَ السموّ، أما النفس؛ فلها طبيعة مزدوجة تحتوي على معنويات الخير والشر.

مسلم: هل أنت إنسان؟

كافر: نعم، بالتأكيد.

مسلم: هل الميت إنسان؟

كافر: نعم بالتأكيد.

مسلم: ما الفرق بينكما؟

كافر: الفرق بيننا، أنا حيّ أتحرك وأتكلم، والميت لا يتحرك ولا يتكلم.

مسلم: ماذا تسمي ذلك؟

كافر: هل تقصد وجود الروح؟

مسلم: نعم، هل يمكنك إضافة روح للجسد الميت؟

كافر: هذا مستحيل، لأن الروح مخلوق عجيب يزرع الحياة في البدن لا يمكن مشاهدته.

مسلم: يعني آثار الروح واضحة في الجسد.

كافر: هذا أكيد.

مسلم: أنت تؤكد بأنك تشاهد هذه الآثار، ثم تؤكد بنفسك وتقول لا يمكن مشاهدة المؤثر، بل يستحيل، ثم تنكر بعد ذلك بأن هذا المؤثر موجود!

ورغم أن الْعِلْم قد تعرّف على التركيب المادي لجسم الإنسان بعناصره ومركباته، وذَلِكَ عَنْ طريق التحليل الكيميائي؛ إلا أَنَّهُ لا يزال عاجزًا، وسيظل كذلك أمام عالم الروح، ولن يُقَدَّرَ للعلم البشري أن يصل إِلَىَ سرّ الحياة الَّذِي استأثر به خالق الكون والحياة، فالإنسان يكون أمام المحتضَر وهو فِي آخر مراحل النزع معلقًا بين الحياة والموت، ثم فجأة يصير ميتًا.

ما الَّذِي جرى؟!

لقد كَانَ منذ قليل يحب ويكره!

يأكل ويشرب، يتحرك ويسكن، ثم مات، ما الَّذِي دهاه؟!

ثم هذه الجثة ما هي؟!

أي شيء هذه؟!

وما تكون؟!

وما الَّذِي استُلب منها؟!

وما الَّذِي تحتاجه أن يعاد إِلَيْهِا حتى تعود إِلَى سالف عهدها؟!

هذا كله سرّ الأسرار فِي الروح التي استأثر بعلمها الله الخالق؛ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]

وغالبا ما يربط الملحدون الروح بالأديان، وأن الأديان هي من اخترعت هذه الفكرة من وحي الخيال، بل وأعطتهم هذا الوهم الخرافي عن مصيرهم بعد الموت، وهكذا ارتاحوا وأراحوا عقولهم !!يتصور الملحد أنه بمجرد أيمانه بوجود الروح، فهذا يعني أيمانه في الدين والإله!!

---

(١) [الإسراء: ٨٥].

ويعتقد أيضا، بما أن العلم لم يؤكد فكرة الروح فإنها غير موجودة، ولأن الأديان تعترف بالروح فإنما هي مجرد خرافة لا أكثر، وذلك بفضل المشعوذين الذين استغلوا إيمان الناس لممارسة شعوذتهم وسيطرتهم على البشر من خلال الأديان، واستمر هذا الاعتقاد إلى يومنا هذا!!

هل الأرواح كائنات مادية!

أم هل هي كائنات أثيرية ليس لها حجم ولا وزن!؟

كم روح منذ بداية الخلق ذهبت وإلى يومنا هذا!!

أين تذهب بعد الموت؟!

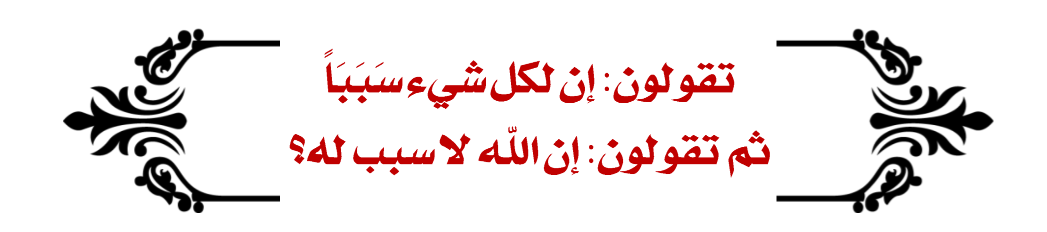
هل هذا الكون الفسيح قادر على استيعابها!؟

هل تذهب إلى عالم آخر مختلف عن عالمنا؟

وله أبعاد أخرى مختلفة؟!أيها الملحدون، إنكم تنكرون وجود الروح لأنها الدلالة على وجود الخالق، وأنتم أنفسكم من جسد وروح، والروح هي الأساس، فأنقذوا أنفسكم من الغرق في بحر المادة، وابحثوا بشكل مختلف لعلكم تصلون إلى حقيقة الروح بشكل لا يدع مجالا للشك في وجود

الخالق العظيم، خلق الإنسان جسدا وروحا في أحسن تقويم ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، وأنتم حائرون بين إحساسكم الحقيقي بأرواحكم، وبين نكرانكم لها، ليس لسبب منطقي، إلا أنكم تبحثون عن وهم عظيم، وهو إنكار وجود خالق، هو الله.





يطرح الفيزيائيون الملحدون سؤالا:

كيف تقولون: إن لكل شيء سَبَبَاً، ثم تقولون: إن الله لا سبب له؟

أحدهم هو نفسه يعترف بأن هُنَالِكَ صيغًا مختلفة للدليل الكوني، والصيغة التي اختارها للمناقشة تقول: " كل حادثة لا بد لها من سبب".

وبما أنه لا يمكن أن تكون هُنَالِكَ سلسلة غير متناهية من الأَسْبَاب، إذًا يلزم قطعا أن يكون هُنَالِكَ سبب أول لكل الأشياء، وهذا السبب هو الله.

الصيغة الصحيحة تقول: " كل حادثة لا بد لها من سبب".

لَكِنه جعل الصيغة هكذا: "كل شيء لا بد له من سبب"!!

وشتان بين الصيغتين!!

فالصيغة التي تقول: " كل حادثة لا بد لها من سبب، أي كل حادث لا بد له من محْدِث، أي كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد".

وأما القانون الآخر فيقول: " كل شيء لا بد له من سبب"، وكأنه يقول: الله لا بد له من سبب!! والفرق بين الصيغتين كبير؛ فالحْادثة لها بالضرورة بداية؛ لَكِن ما كل شيء حادث، وما كل شيء يلزم أن تكون له بداية، فالله تعالى شيء؛ ومع ذَلِكَ فهو أزلي.

وعلى ذلك؛ فليس هُنَالِكَ من تناقض في قول القائل: " كل شيء حادث لا بد له من سبب".

وأما الأشياء التي ليست حادثة وليس لوجودها بداية؛ فلا يمكن أن يكون لها سبب.

قال بعضهم: " إِنَّهُ إِذَا كَانَ الكون بحاجة إِلَى سبب؛ فالله كذَلِكَ بحاجة إِلَى سبب!! "

وقد يُقال أيضا: حتى لو سلمنا إِلَى حد القول بأن للكون سَبَبَاً؛ فهُنَالِكَ مشكلة منطقية فِي عزو ذَلِكَ السبب إِلَى الله؛ لِأَنَّهُ يمكن حينئذ أن يقال: وما الَّذِي سَبَّبَ الله؟

الإجابة: هي أن الله لا يحتاج إِلَى سبب، لِأَنَّهُ واجب الوجود، ولا سبب له إلا نفسُه.

ثم يقولون: إِذَا سلمنا بأن الله يمكن أن يكون موجودًا من غير سبب خارجي؟!

لماذا لا يكون الكون أيضا موجودًا من غير سبب خارجي؟!!

وإذا قلنا بأن الله خلق نفسه؟!! ما المشكلة إذا قلنا بأن الكون خلق نفسه؟!

ولماذا لا نسير فِي هذه السلسة؟!!

لماذا لا نقول من البداية: إن الكون هو سبب نفسه، فيكون سَبَبًا ومسبَّبًا فِي آن واحد، وخالقًا ومخلوقًا فِي آن واحد؟!!

هذه الحجج كلها في تأييد الْإِلحْاد، وهي حجج في غاية التهافت؛ لَكِنها وجدت طريقها إِلَى قلوب أعداد كبيرة من المفكرين الغربيين المعاصرين، ويقلدها المفكرون في البلاد العربية والإسلامية من غير نظر ولا تفكير.

فالدليل الكوني لا ينتهي إِلَى القول بأن الله خلق نفسه؛ بل بأن الله أزلي ليس له بداية، والأزلي لا يكون له خالق.

كذَلِكَ لا يمكن أن يُتصور أن إنسانًا مفكرًا عاقلا يمكن أن يتساءل:

من خلق الله؟

هل يَعرف المعنى الذي تَدُلّ عليه هذه الكلمة؟

إنَّهُ سؤال من لا يتصور ما يَقُول!!

قول القائل: من خلق الله؟ يساوي قوله:

ما الَّذِي سبق الشيءَ الَّذِي لا شيء قبله؟!

أو: ما بَعْدَ الشيء الَّذِي لا شيء بعده؟!

فهل تجد لمثل هذا السؤال من معنى؟!

إذا أخبرك إنسان بأن فلانًا كَانَ أول الفائزين في السباق؛ فهل يصح أن يُقال: نعم؛ ولَكِن من الَّذِي سبقه؟!!

قام الدليل على أن الله هو الأول الَّذِي لا شيء قبله؛ فكيف يقال: من قبله؟!!

أو: من خالقه؟!!

ومن العجب العجاب أن هؤلاء يجزمون:

" كل شيء يجيء إِلَى الوجود يكون قد أوجده شيء".

هناك حقيقة أن الله ليس مخلوقا لنسأل من خلقه.

لو قلنا أن الله مخلوق فإن لخالقه خالق،

ولخالق الخالق خالق آخر

وهكذا...

وهذا يؤدي في التسلسل في المؤثر، وهذا ممنوع عقلا لأنه لا تسلسل في المؤثر، فقانون السببية لا يعمل في مسألة الخالق؛ إنما هو متعلق بالمخلوقات فقط، وقد ثبت منطقيا وعلميا أن الكون له بداية، وهذا لم يثبت على الخالق، فلا مبرر لهذا السؤال أصلا.

ماذا لو أن الشيء لم يجئ إِلَى الوجود أبدًا، بل كَانَ دائمًا موجودًا؟

هو موجود أزلًا، لم يكن غير موجود فِي أي وقت من الأوقات؟

ولا معنى للسؤال بعد ذَلِكَ عَنْ موجد لهذا الخَالِق الأزلي.

يقول الملحد: إِذَا كَانَ الله موجودًا من غير سببٍ موجِدٍ؛ فلماذا لا يكون الكون أَيْضًا موجودًا من غير سبب موجد؟

الإجابة: لأن الله أزلي لا بداية له، ولا شيء قبله، بينما الكون حادث، أوجده الله قبل نحو أربعة عشر مليار عاما، وذلك حسب التقديرات الجيولوجية والفلكية(١).



(١) جاء ذلك في ورقتين علميتين لفريق دولي من العلماء في جامعة (كورنيل) الأميركية (Cornell University) ونشرتها دورية (Journal of Cosmology and Astro particle Physics) في عددها الصادر يوم ٣٠ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٢٠، ووفقا للبيان الصادر من جامعة (كورنيل) في ٤ يناير/ كانون الثاني عام ٢٠٢١، فإن الملاحظات الجديدة تشير إلى أن عمر الكون يبلغ (١٣,٧٧) مليار سنة.
أنظر موضوع بعنوان: (علماء الفلك يحسمون الجدل، عمر الكون يقارب ١٤ مليار عام)
موقع الجزيرة نت https://www.aljazeera.net/news/science/2021/1/11/



الإيمان بالله مجرد تصديق شخص أخبر عنه؟!

يقول كاتب ملحد: " إن الإيمان بالله لم يأت نتيجةً لبحثٍ علمي أو تحليلٍ منطقي، وإنما أن إنساناً ما وهو النبي قال للناس: إن هناك إلهاً وهذه هي صفاته، وهذه هي أحكامه وتشريعاته، فالمؤمن لم يتوصل إلى ذاك (الله) بمحض عقله، بل إن إيمانه جاء عن طريق تصديق ذلك الشخص وهو النبي فيما قاله.

إذاً الإيمان ما هو إلا نوع من تصديق شخص ما أخبر عنه وليس أكثر من ذلك، بهذا التبسيط الساذج، يقرر الملاحدة قضية الإيمان بالله، ليس هناك من دليل على وجوده، سوى شخص جاء وأخبر عنه، وأمر الناس بطاعته، فالإيمان لا يعدو أن يكون تصديق شخص ما، لا أقل ولا أكثر!

فهل رأى أحدٌ سخرية من العقل والمنطق كهذه السخرية !!؟؟

وهل يمكننا اليوم، أو في أي وقت، أن نخبر عن خالق جديد لهذا الكون؟

وأن صفاته كذا وكذا!؟

ويجب على ملايين البشر تصديق ذلك؟!

لماذا اتفق جميع هؤلاء الأنبياء على مرّ آلاف السنين

أن الإله الخالق هو (الله) وحده، ولا أحد غيره!!

هل اتفقوا على هذا القول فيما بينهم؟!

مع وجود فوارق زمنية بين الواحد والآخر قد تصل إلى مئات السنين؟!

هل اتفقوا على ذلك؟!

أم أنهم تآمروا فيما بينهم على هذا القول!!!؟

إن الإيمان بالله خالق الوجود، أعظم وأجل من أن يقال فيه هذا، ووجوده أعظم من أن يقتصر في الاستدلال عليه على خبر النبي، بل أدلة وجوده أوسع وأعمق، فهي تتسع لتشمل كل ذرات الكون من فرشه إلى عرشه، فما من مخلوق في هذا الكون إلا وهو ينادي بالدلالة على خالقه، وهي دلالة لا تقتصر على إثبات الوجود فقط، بل تتسع لتدل على صفات هذا الخالق العظيم.

ورغم سعة هذه الدلالات وعظمتها، فقد وُجد من شواذ البشر،

من زعم أنه (لا إله)!!

وأن الحياة مادة صماء لا تعقل ولا تنطق،

وهي مع ذلك قد أوجدت نفسها بنفسها عن طريق التلقائية والمصادفة !!

وهي ذاتها تسيّر نفسها عن طريق نظام الطبيعة وقوانينها، دون أن يتدخل أحد لا في إيجادها ولا في تسييرها!! في منطق يعجز العقل عن تصوره!

كيف لمادة صماء أن توجد نفسها؟

فضلا على أن تهب الحياة لغيرها؟!!

كيف؟! والعقل يقضي بأن الموجود لابد له من موجد؟

وأن المخلوق لا بد له من خالق؟

كما نطق بذلك لسان الفطرة عند أعرابي، عندما سئل عن دليل وجود الله؟ فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير!!؟؟





شبهات كونية أثارها الملاحدة!؟

ومع وضوح دلائل وجود الخالق سبحانه، إلا أننا نرى أن لا بد من الإتيان على ما يتشبث به الملاحدة من شبه بالنقض، ليعلموا أن ليس معهم من الأدلة العلمية شيءٌ يستندون إليه في إنكار خالقهم ورازقهم.

فمن شبهات الملاحدة قولهم: إن العقول عاجزة عن تصور كنه هذا الإله وحقيقته، وما عجزت العقول عن إدراكه وتصوره فهذا دليل على عدم وجوده!

ونحن نجيب على هذه الشبهة نقول: إن المقدمة الأولى من هذه القضية صحيحة بلا شك، فالبشر عاجزون عن معرفة حقيقة هذا الإله العظيم، ومن مأثور كلام أهل العلم في ذلك، قولهم:

(كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك،

وعجزك عن الإدراك إدراك،

والبحث في كنه ذات الله إشراك)

لكن المقدمة الثانية غير صحيحة، إذ ليس كل ما عجزت العقول عن معرفة حقيقته وكنهه عدم، وإلا للزم أن تنكر العقول كثيرا من أسرار هذا الكون لعجزها عن معرفة حقيقتها وكنهها.

فقد وقف العلماء عاجزين عن معرفة حقيقة الأرواح في الأجسام الحية، فهل يمكن إنكارها؟

كما عجزوا عن معرفة حقيقة التيار الكهربائي، كيف تصدر عنه حركة سريعة وطاقة كبيرة، فهل يمكن إنكاره؟

كما عجزوا قديما عن معرفة حقيقة وجود الجراثيم والبكتيريا والفايروسات المسببة للأمراض، فهل يمكن إنكارها؟

وعجزوا أيضا عن معرفة حقيقة الأشعة تحت الحمراء وأشعة إكس وهو الإشعاع الكهرومغناطيسي، والأشعة السينية والفوق البنفسجية، وموجات الراديو والفضائيات والموبايلات... الخ، فهل يمكن إنكارها؟

كما أن حقيقة خلايا المادة التي بين أيديهم، لا يمن رؤيتها بالعين المجردة، سواء كانت من الحجارة وأنواع المعادن أو خلايا أنواع الطعام، وخلايا الماء والثلج، فهل يمكن إنكارها وهم يرون حقيقتها بأعينهم، ويذوقونها بألسنتهم، ويشمّونها بأنوفهم؟

فإذا كان هذا العجز في معرفة حقيقة أقرب الأشياء من الإنسان وألصقها به!

فهل يطمع الإنسان أن يصل بعقله إلى معرفة حقيقة الله تعالى؟

وهل يطمع الإنسان الذي لا يعرف، كيف يعرف؟

ولا يدرك كيف يدرك؟

ولا يعقل كيف يعقل؟

أن يعقل حقيقة الله تعالى !!

إن العلم لا يزال عاجزاً عن معرفة الطريقة التي يتم بها الإدراك، والوسيلة التي يتم بها الاتصال بين المادة والعقل، والكيفية التي يتلقى بها العقل الروحاني الإحساس بالشيء المادي فيدركه، فهل يطمع بعد ذلك أن يعرف كنه ذات الله؟

إن عدم اقتداركم أيها الملاحدة على تصور حقيقة الله لا يعني استحالة وجوده، ويكفي العقول أن تستدل على وجود الله بآثاره من نظام وإتقان وإحكام في هذا العالم، أما التطلع إلى إدراك حقيقة ذاته، فهذا ما لا سبيل للإنسان إليه.

وفي هذا يقول أحد الفلاسفة الكبار: إنه لا يوجد عالم من علماء الطبيعة

يستطيع أن يعرف كل شيء عن حقيقة ذبابة واحدة وخواصّها، فضلا عن أن يعرف كنه ذات الله.

الشبهة الثانية، قولهم: إن عقولنا لا يمكن أن تتصور حصول شيء من لا شيء، أي استحالة خلق المادة من العدم، فكيف يخلق الإله الأشياء من العدم؟

الجواب: أن قولهم لا يمكننا أن نتصور حصول شيء من لا شيء مبني على قولهم بقدم المادة وأزليتها، وهذا عين المحال، إذ كيف للمادة الصماء أن توجد نفسها!!

وإذا كنتم ادعيتم عجز العقول عن تصور خلق شيء من لا شيء، فإن العقول أعجز عن تصور قدم المادة وأزليتها، والعقل السليم يقطع بأن كل صورة تقوم في المادة هي حادثة لأنها تزول وتتغير، ولا يخفى أن كل ما يطرأ عليه العدم يستحيل عليه القدم.

كما قد تعجز العقول عن تصور أمور كثيرة وهي ثابتة، كعجزها عن تصور حقيقة خلايا المادة رغم أنها ملامسة مشاهدة، فإذا كان هذا الشأن في معرفة أقرب الأشياء من الإنسان وألصقها به، فهل يطمع الإنسان أن يُخضع بعقله أفعال الله لقوانين البشر وقدراتهم؟؟!!

إن منشأ شبهة إنكار الخلق من العدم هو قياس التمثيل، فعندما رأوا أن المخلوق لا يمكن أن يصنع شيئا إلا من شيء آخر، نفوا أن يكون شيئا مصنوعا من لا شيء، وإبطال هذا القياس بإيضاح الفرق بين الخالق والمخلوق، فالمخلوق لا يمكنه أن يصنع شيئا من لا شيء، أما الخالق فقدرته ليس لها حدود، فهو على كل شيء قدير ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شيئا أَنْ يقولَ لهُ كُنْ فَيَكُون﴾[1].

الشبهة الثالثة قولهم: لو كان نظام الكائنات مخلوقا من إله حكيم، لكان موضوعا بقصد وحكمة، ولكانت علامات القصد والحكمة تامة في كل شيء، إلا أننا نرى في العالم أشياء لا تنطبق على القصد والحكمة، منها وجود الحروب والأمراض والظلم والفقر والضعف، والصراعات بين البشر.

والجواب على هذه الشبهة: أن جهلنا بحكمة وجود نظام ما في هذا الكون، ليس مبررا على الإطلاق أن ننكر خالقه، ذلك أننا نشاهد من أسرار الله في مصنوعاته الحكم الباهرة، ولم تزل تظهر لنا يوما بعد يوم حكمة بعد أخرى، مما كان خافيا علينا دهورا طويلة، فليس عدم إدراكنا للحكمة يعني انتفاءها وعدم وجودها، فقد تظهر لنا في يوم من الأيام، كما ظهر سواها.

---

(١) [يس: ٨٢].

تخيل لو كان البشر كلهم في هذا الكون أغنياء، أو كانوا كلهم فقراء؟!

تخيل لو كان البشر كلهم أقوياء، أو كانوا ضعفاء؟!

تخيل عدم وجود حروب أو أمراض أو أية أسباب للموت والوفيات؟!

ماذا سيكون حال طبيعة الحياة في هذا الكون؟!

وإذا تأملتم أيها الملاحدة قصور العقل البشري وعجزه عن إدراك كثير من الأمور المادية المشاهدة لنا، وقارنتم بين هذا العجز وبين قدرة الله العظمى وحكمته، لم تستغربوا اختفاء حكمة وجود بعض الأشياء عن عقولنا، ورأيتم أن من الأولى قياس القليل النادر مما لم تظهر حكمته، على الكثير المستفيض الذي لا يُعدّ ولا يحصى من شواهد حكم الله الظاهرة في مخلوقاته، لا أن تتخذوا من هذا القليل النادر الذي خفيت حكمته دليلا على إنكار وجود الله الخالق.

الشبهة الرابعة: قولهم: إذا كان لكل مخلوق خالق فمن خلق الله؟

والجواب على هذه الشبهة، أن إيراد هذا السؤال خطأ، ذلك أن هذا الإله الذي سيخلقه الله سيكون مخلوقا، وإذا كان مخلوقا فبالضرورة لن يكون خالقا، وبالتالي لا يصلح أن يكون إلها.

كما أننا لو قلنا بصحة السؤال، لأفضى ذلك إلى التسلسل، وهو محال عقلا، فإذا أجبنا على سؤال من خلق الله بالقول: إن له خالقا آخر، فسوف يرد نفس السؤال على الخالق الآخر، فيقال من خلق الخالق الآخر، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية!!





كثيرا ما يحاول الملاحدة أن يظهروا بمظهر الباحثين والمفكرين، وأن يستندوا في إنكارهم للخالق إلى الفلسفة والمنطق، ولكنهم في حقيقة الأمر من أجهل المخلوقات على الأرض، ذلك أن الدين والعلم والفلسفة كلها قد اتفقت على الإيمان بوجود الله، وأنه موجد الكون ومدبره، ولكن كما قال بعض الفلاسفة: القليل من الفلسفة يبعد عن الله، لكن الكثير منها يردّ إلى الله.

يقول (أفلاطون- Plato) [1]: " إن العالم آية في الجمال والنظام، ولا يمكن أن يكون هذا إلا نتيجة صنع عاقل عظيم، رتب كل شيء عن قصد وحكمة ".

ويقول (ديكارت - Descartes) [2]: " إنيِّ مع شعوري بنقصٍ في ذاتي، إلا أني أُحسُّ في الوقت نفسه بوجود ذاتٍ كاملة، وأراني مضطرًّا إلى اعتقادي؛ لأنَّ الشعور قد غَرَسَتْه في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحليَّة بجميع صفات

---

(١) (أفلاطون- باللاتينية: Plato)عاش (٤٢٧ – ٣٤٧) ق.م، فيلسوف كلاسيكي، رياضياتي يوناني قديم، يعد من أشهر الفلاسفة عبر التاريخ.

(٢) (رينيه ديكارت – René Descartes) ولد عام ١٥٩٦، عالم وفيلسوف ورياضياتي وفيزيائيّ فرنسي، لُقّب بأبي الفلسفة الحديثة.

الكمال؛ وهي الله".

ويقول (أناكساغورس – Anaxagoras) [1] أحد فلاسفة اليونان الأوائل: " من المستحيل على قوة عمياء أن تبدع هذا الجمال وهذا النظام اللذين يتجليان في هذا العالم، لأن القوة العمياء لا تنتج إلا الفوضى، فالذي يحرك المادة هو عقل رشيد، بصير حكيم ".

ويقول ديكارت أيضاً: " أنا موجود فمن أوجدني ومن خلقني؟ إنني لم أخلق نفسي، فلا بد لي من خالق، وهذا الخالق لا بد أن يكون واجب الوجود، وغير مفتقر إلى من يوجده، أو يحفظ له وجوده، ولا بد أن يكون متصفا بكل صفات الجمال، وهذا الخالق هو الله ".

ويقول (باسكال – Pascal) [2]: كان يمكن أن لا أكون، لو كانت أمي ماتت قبل أن أولد، فلست إذا كائنا واجب الوجود، ولست دائما ولا نهائيا، فلا بد من كائن واجب الوجود، دائم لا نهائي، يعتمد عليه وجودي، وهو الله".

---

(١) (أناكسوغوراس – Anaxagoras): فيلسوف يوناني، عاش ما بين (٥٠٠–٤٢٨) ق.م.

(٢) (بليز باسكال – Pascal Blaise) ؛ (١٦٢٣ – ١٦٦٢)، عالم رياضيات، فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي.

وبهذه الشواهد من أقوال الفلاسفة، وبما سبق من أدلة عقلية جليّة، يتبين أن الإيمان بوجود الخالق قضية ضرورية بديهية، لا يخالطها ريب ولا شك، ولا تحتاج لبرهان إلا لمن فسدت فطرته.





لا إله! فمن الموجد؟

السؤال: كيف يمكن إقناع أحد المادّيين بوجود الله؟

الجواب: لابدّ لمن يريد أن يقنع الآخرين بوجود الله أن يكون على مستوى عال من المعرفة والثقافة بالعقيدة، حتّى يمكنه أن يؤثّر ويقنع، وأن يكون له القوّة على ردّ الشبهات، والاعتراضات الواردة حول هذه العقيدة المنحرفة التي يريد طرحها، باعتبار أنّ المادّي لا يؤمن بالأدلّة النقلية من الكتاب والسنّة على وجود الله، ولابدّ من ذكر الأدلّة العقلية، حينذاك يمكن أن نثبت له من خلال الأدلّة النقلية والعقلية على وجود الحياة البرزخية، والحياة الأخروية.

يقول المادّيون: لا إله، فمن الموجد؟

نرى الأبناء يولدهم الآباء، ونرى النبات ينبته الماء والتربة والشمس، ونرى الحيوان يخلق من ذكر وأنثى، و... أمّا قبل ذلك فلم نر شيئاً!

إذاً، كلّ قول يؤيّد وجود إله أو يؤيّد عدم وجود إله، يحتاج إلى منطق غير حسّي.

المادّي الذي يقول: لا إله، والمؤمن الذي يقول: يوجد إله.

ومن الهراء أن يقول أحد: إنّ الصناعة الحديثة دلّت على عدم وجود الإله!

هل اختراع القمر الاصطناعي يدلّ على عدم وجود إله؟

هل اكتشاف الذرّة يدلّ على عدم وجود إله؟

هل اكتشاف الكهرباء والصاروخ والطائرة يدلّ على عدم وجود اله؟

ولنا أن نقول:

نفرض أنّ الإله غير موجود، فما حال القمر الاصطناعي؟

يصرف عليه الملايين، ويجهد في صنعه آلاف العلماء؟

وله بداية ونهاية، وصيانة على مرّ الأيام والسنوات!

وله شركة مصنعة تديره، وتمتلك وحدها حق استخدامه!

ثمّ لا ينتفع منه إلاّ قليل من البشر.

أليس تدلّ النجوم العملاقة كالشمس مثلا على وجود إله خالق للكون!؟؟

كيف لهذه الأقمار الصناعية شركات مصنعة، وليس للفضاء العظيم صانع؟

إنّ من يطلب منّا الإذعان بعدم وجود إله للكون، ثمّ هو يذعن بوجود صانع للصاروخ والطائرة، مثله كمثل النعامةتخفي رأسها في الرمال، بينما يظهر ذيلها ليكشف مدى حماقتها.





حوار بين داعية وملحد

قال الملحد: الحواس خمس: البصر، والسمع، والذوق، واللمس، والشمّ، وكلّ شيء في هذا العالم لابدّ وأن يُدرك بإحدى هذه الحواس، لا شيء غيرها.

فمن أين نثبت وجود الله والحال أنّا لم نره؟

كيف نثبت وجود الله ولم نسمع صوته؟

كيف نثبت وجود الله ولم نذق طعمه؟

كيف نثبت وجود الله ولم نلمس جسمه؟

كيف نثبت وجود الله ولم نشمّ ريحه؟

الداعية: صنع كرتين؛ إحداهما من حديد والأُخرى من خشب، وصبغهما، ثمّ أتى بهما إلى الملحد، وقال: أنا أخبرك عن هاتين الكرتين، أنظر إليهما وحاول أن تعرف أيهما حديد وأيهما خشب؟!

نظر الملحد إليهما، وعجز عن معرفة ذلك بالنظر.

قال الداعية: استمع وحاول أن تعرف؟

أصغى الملحد وعجز عن ذلك عن طريق حاسة السمع.

قال الداعية: تذوّق إذاً وحدّد؟

ذاق الملحد وعجز عن معرفة ذلك عن طريق حاسة اللسان.

قال الداعية: اشمم وحاول معرفة ذلك؟

شمّ الملحد وعجز عن التعيين بالأنف.

قال الداعية: ألمس وعيّن؟

لمس الملحد وعجز عن التعيين باللمس.

ثمّ وضعهما العالم في يد الملحد.

وحينذاك أدرك أنّ الأثقل الحديد، فقال: هذا هو الحديد، وهذا الأخف هو الخشب.

قال الداعية: كيف عرفت؟

قال الملحد: عقلي هو الذي أرشدني إلى ذلك.

قال الداعية: إذن المعلومات ليست منحصرة بالحواس الخمس كما قلت، وإنّ للعقل دورا هاماً هو أعظم من الحواس، والله الذي نقول به إنّما هو معلوم للعقل، وإن لم يكن مُدْرَكاً للحواس.





الطالب: لا وجود لله إطلاقاً !

الزميل: من أين تقول هذا؟ ومن علّمك؟

الطالب: الأستاذ في المدرسة هو من أوحى إليّ بهذه الفكرة، كما أني لم أر الله مطلقا كي أعترف بوجوده.

الزميل: لكن من الجهل الفاضح أن ينكر الإنسان شيئاً لم يره، كان بعض الناس قبل اختراع الطائرة والتلفون والتلفزيون، ثم ما جاء بعدها من وسائل الاتصال الإلكترونية المتقدمة، إذا سمعوا بها أقاموا الدنيا وأقعدوها، إنكاراً على من يقولون بهذا واستهزاءً بهم، وكانوا يجعلونهم مثار ضحك وسخرية!!

كما أن من الحماقة أن ينكر الإنسان شيئاً لم يره، حيث كان أغلب الناس قديما قبل اكتشاف البكتيريا والفايروسات والجراثيم المسببة للأمراض، لو قيل لهم عن ذلك أنكروا وجودها!

فهل كان لهم الحقّ في ذلك؟

إنّهم كانوا يقولون: لم نر هذه الأشياء!

ثم وجدوها حقيقة واعترفوا بوجودها!

وأنت الآن مثلهم، تقول: لمْ أرَ الله !





محمد وأحمد وأستاذ الفيزياء!؟

كان محمد - وهو متخصص في علم الفلسفة - وصديقه أحمد، يتناظران في وجود الله، فكان أحمد يسرد الأدلّة على الإثبات، ومحمد يردّها، ولما طالت المجادلة بينهما، قال أحمد: هيا نحتكم إلى جارنا أستاذ الفيزياء!

قَبِل محمد هذا الطرح وذهبا معاً إلى دار هذا الأستاذ.

محمد: أنا وصديقي أحمد نتباحث حول وجود الله، وأنا لم أقتنع بأدلّته، فهل الحقّ معي أم معه؟

وأقول قبل كلّ شيء: إنّي لا أقتنع بالقول المجرّد، وإنّما أريد الإثبات، ولن أقبل شيئاً إلاّ بعد المناقشة والجدال، وأن يكون محسوساً ملموساً.

أستاذ الفيزياء: هل لك في دليل بسيط جدّاً تقتنع به، بدون لفّ ودوران؟!!

محمد: ما هو؟ هات به، أنا أنتظر مثل هذا الدليل منذ زمان !!

أستاذ الفيزياء: أنا أخيّرك بين قبول أحد هذه الثلاثة، فاختر إحداها...

أنت الآن موجود بلا شكّ:

هل أنت صنعت نفسك؟

أم وجدت نفسك موجودا ولم يصنعك شيء؟

أم صنعك إله يمتلك قدرات خارقة؟

احتار محمد بماذا يجيب، إن أول إجابتين مخالفة للحقيقة، لأنّ التدابير المتخذة في خلق الإنسان فوق العقول، فكيف يركّب هذه الأعضاء والأجهزة المعقدة بهذه الكيفية المحيّرة.

هل يقول: أنا صنعت نفسي؟!

أم يقول: لم يصنعني شيء؟!!

أم يعترف بوجود صانع عظيم؛ عالم وقادر، وحينئذ ينهار كلّ ما بناه من الأدلّة المزعومة لعدم وجود إله خالق!؟

وبعد أن فكر طويلا رفع رأسه وقال: لابدّ لي من الاعتراف؛ أنا مخلوق ولا بد من وجود خالق.

أحمد: ومن هو ذلك الخالق؟

محمد: لا أدري.

أحمد: ولكن ذلك واضح، إذا كان البشر عاجزون عن هذا الخلق وهم أرقى الكائنات في هذا الكون، من يكون سواهم هو الخالق في رأيك؟!

محمد: (ينسحب وينقل الحديث إلى جلسة أخرى)!!





نصائح... كيف تناقش الملحدين؟

كي تناقش إنسانا ملحدا، لأبد أن تكون شخصا قارئا جيدا، ليس في الدين فحسب؛ بل في معظم المجالات.

كما لابد أن تتمتع بشيء من الذكاء والفطنة أثناء حديثك.

وأن تكون شخصا هادئا وصاحب أخلاق.

وأنتختار كلماتك بعناية؛ كون حسن الأدب وجمال الأداء في عرض الأفكار له تأثير قوي على النفس، ولهذا أمر الله سيدنا موسى عليه السلام أن ينهج هذا النهج مع أعتى طاغية عرفته البشرية، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1]. أي أن يكون كلاما رقيقا لينا سهلا رفيقا، ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ وأنجع.

لكن هذا القول لا يعني الليونة المائعة، والاستجداء والتنازل عن الحق بدعوى تبليغ الدعوة، فإنّ بعض النماذج لا يليق معها إلا الشدة والغلظة في القول.

(١) [طه:٤٤].

كما يلزم التعمق بقدر المستطاع في العلوم الشرعية وكل ما تفرع منها على يد علماء متعمقين وأهل ثقة، ودراسة الفكر الإسلام المعاصر.

كما لا يعني هذا القول دراسة الدين بنيّة إفحام الملاحدة وحسب، بل يجب أن تكون الدارسة أولًا وآخرًا لتنوير العقل، وفهم مراد الله ورسوله ﷺ، والعمل بتعاليم القرآن والسنّة.

فالواجب في الدعوة هو دعوة نفسك قبل دعوة الآخرين، مع ضرورة التوسع في الثقافات والمعارف والعلوم بقدر المستطاع، مما ينتج عنه زيادة بصيرة بدينك، ومكامن القصور والخلل عند خصمك.

كما يتطلب أن توسّع دائرة اهتماماتك لتشمل الثقافات والعلوم المعاصرة: علم النفس، وعلم الاجتماع، والتاريخ والحضارة، والفلسفة، والفيزياء.. إلخ. فإذا كانت علوم الشريعة هي الأساس؛ فإنّ هذه الثقافات لا شك أنّها تفسح لك مجالات في علوم كثيرة.

وعليك أن تحرص أيها المؤمن على عدم الانخداع بالعموميات، لأن فكرة تخطيط الملاحدة هي التشغيب على العقل المسلم والتشويش عليه، وهى طريقة يستخدم فيها الملحدون كلمات بمعناها العام المقبول لدى جمهور

الناس، ويرفضون تحليلها والدخول في تفاصيلها؛ فمداهم قصير؛ وهم يدركون أنّ هذا التفصيل سيهدم عليهم أفكارهم وبناءهم الإلحادي.

على المسلم الذي يناقش الملحد ألاّ يغتر بالمصادر التي يذكرها، فهو دائما يأتي بأحاديث ضعيفة وموضوعة لتشوية الدين.

ومن مميّزات الإلحاد المعاصر، أنّ مروّجيه يقدمون لنظريتهم الإلحادية على أنّها (حتميّة تاريخيّة وضرورة وجوديّة)، وأنّ العلم والزمن كفيلان بإسقاط الإله من على عرشه!

وبالتّالي كشف الخرافات الدينيّة التي تأسست على فكرة وجود إله!

وبالتّالي سيحل العقل والعلم في تنظيم شؤون الحياة بدلا من الأديان!

وبالتالي تتحقق السعادة للإنسان بصورة جميلة، محل العقائد الدينيّة!

هذه تصوراتهم وأوهامهم التي يخططون لها من طرف واحد، وكأن الطرف الإيماني المضاد لا يعمل من أجل التصدي لهذه المخططات أو إحباطها.

وفي النهاية: إن هزيمة الملحد في أية مناقشة لهو أمر بسيط للغاية، فكل ما في الأمر أن تكون مستعدا بشكل جيد، وألا يخدعك هذا الملحد بكلامه

وكلماته ومفرداته ومصطلحاته؛ مثل المادة والعقل وقانون السببية وغيرها، فكلها مصطلحات فارغة يحاول الملحد بها المراوغة.





السنة النبوية.. افتراءات؟!

السنة النبوية تمثل المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وتبرز أهميتها بحتمية الدفاع عنها ضد أكاذيب وافتراءات يبثها المشككون ضد الإسلام، كما أن كل الشبهات التي أثارها المستشرقون ضد السنة النبوية لا يمكن قبولها، لأنها ضعيفة واهية بالأدلة العلمية.

هناك حقيقة يجب أن نعترف بها، أن معركة الإسلام مع أعدائه لا زالت مستمرة منذ يومه الأول وحتى يومنا هذا، وقد حشد الأعداء كل طاقاتهم لغزو المسلمين فكريا وثقافيا، وتشويه صورة الإسلام في عيون أبنائه، وتشويش عقولهم، ولكن الله يحفظه، وقد أوجد لهذا الدين في كل زمن من يحفظه ويحميه.

وقد تعرضت السنة النبوية لافتراءات من قبل بعض المستشرقين الذين درسوا كافة العلوم الإسلامية؛ بُغية أن يجدوا ثغرات فيها؛ ليثبتوا للناس أن السنة ليست من كلام الرسول ﷺ، وليست محفوظة مثل القرآن، وقد دخلها التحريف والوضع من قبل الكذابين، وكل ذلك من أجل ضرب الدين في ثاني أهم أصل من أصول التشريع.

وقد اهتم المسلمون بالسنّة وقدموا في سبيل خدمتها جهدًا كبيرا، ومن ثمّ دفع شبهات المشككين العرب الذين كان لهم عدة محاولات تهدف إلى العبث بها ونبذها، ومحاولة إلغائها وجعلها قابلة للطعنِ والردِّ.

وهذا في حقيقته يمثّل امتدادًا للاستشراق الغربيِّ، فقد ردد المشككون العرب شبهات الغرب حول السنة وزادوا عليها أحيانًا، فأنكروا صفة الوحي عن السنة وادّعو عدم حجيتها، وشككوا في طرق تدوينها، وزعموا أنها سبب تخلُّف المسلمين، وطعنوا في الرواة ومصنفاتهم، وانتقصوا من علم مصطلح الحديث، ولم يكتف المشككون العرب بذلك، بل تطاول بعضهم على مقام الرسول ﷺ، ووصفوه بأوصاف شنيعة.





دوافع الاستشراق

اختلف الباحثون في تحديد بداية نشأة الاستشراق، واتفقوا على أن بداية ظهوره بشكل رسمي حين قرر مجمع (فيينا) الكنسي عام ١٣١٢م إنشاء عدد من دارسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، مع العلم أن الغرب أو الشرق ليسوا كلهم معادين للإسلام.

وقد بحث العلماء المسلمون في دوافع الكتابة في الطعن في القرآن والحديث، وذكروا مجموعة منها، أبرزها:

١- **الدافع الديني:** فقد بدأ الرهبان بالتحريض على الإسلام من كل اتجاه، واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر، وهؤلاء كان يهُمُّهُمْ أنْ يطعنوا في الإسلام ليثبتوا لشعوبهم التيتخضع لزعامتهم الدِّينيَّةِ أنَّ الإسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية، وأنه دين لا يستحق الانتشار، وأنَّ المسلمين قوم هُمَّجٌ لصوص سفَّاكُو دماء، يحثّهم دينهم على الملذات الجسدية دون السمو الروحي والخلقي. ثم اشتدَّتْ حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر، لصرف أنظار الغربيِّين عن نقص أو نقد ما عندهم من الكتب المقدسة، وهم يعلمون ما تركته نفوس الأوروبيين من خوف بسبب قوة هذا الدين وكرهٍ لأهله.

٢- **الهدف التبشيري:** فاتجهوا إلى تشويه سُمعة الإسلام في نفوس أهله لإدخال التشكيك في العقيدة، وكل ما يتَّصل بالإسلام من علم وأدب وتراث.

٣- **الدافع الاستعماري:** لما انتهت الحروب الصليبية، لم ييأس الغَرْبِيُّونَ من العودة إلى احتلال بلاد العرب ثم بلاد الإسلام، فاتَّجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها ليتعرَّفوا إلى مواطن القوة والضعف فيها، ثم إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس شعوبها، ونشر التشكيك والارتباك في تفكيرها، وما لديها من عقيدة وقِيَمٍ إنسانية ليرتموا في أحضان الغرب، ويستجدوا منه المقاييس الأخلاقية العقائدية.

٤- **الدافع التجاري:** وهذا يعود إلى رغبة الأوروبيين في التعامل مع أوطاننا لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية بأقل الأثمان، وقتل صناعتنا المحلية التي كانت مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين.

٥- **الدافع السياسي:** وهذا يتجلَّى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، بحيث نجد لدى هذه الدول ملحقا ثقافيا يحسن اللغة العربية، ويتواصل مع رجال الفكر والصحافة والسياسة، ويبثّ فيهم ما تريده دولته، وكثيراً ما يبُثُّون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، أو بين الدول العربية والدول الإسلامية، أو مع دول الجوار، بعد أنْ عرفوا نقاط الضعف في سياستهم العامة والخاصة.

٦- **الدافع العِلْمِيّ:** صحيح أن من المُسْتَشْرِقِينَ نفرا قليلا جِدًّا درسوا حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها بأمانة وإخلاص، وكانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛ ولم يكونوا يتعمَّدون الدَسَّ والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق والحقيقة، بل إنَّ منهم من اهتدى إلى الإسلام. ومع أنَّ أبحاث هؤلاء كانت مجُرَّدة عن الهوى والأهواء، إلا أنها لم تلق رواجاً عند رجال الدين المسيحيين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الأوروبيين، ولا في أوساط المُسْتَشْرِقِينَ.





أهداف الاستشراق

الهدف العام للاستشراق والمستشرقين هو التشكيك في الدين الاسلامي نفسه، لم يتركوا نقيصة إلا وألصقوها بالإسلام، ولا حقيقة من حقائقه إلا وحاولوا طمسها أو تشويه ملامحها، فهم يقولون: إن الدين الإسلامي ليس دينا مُنْزلا من عند الله، بل هو دين مستمد من الديانتين اليهودية والمسيحية!!

وتنقسم أهداف المُسْتَشْرِقِينَ إلى أقسام أبرزها:

١- **هدف عِلْمِيٌّ مشبوه:** ويهدف إلى التشكيك بصحَّة رسالة النبي ﷺ، وإنكارهم أنْ يكون الإسلام ديناً من عند الله، والتشكيك في صِحَّةِ الحديث النبوي والفقه الإسلامي، وفي قُدْرَةِ اللُّغة العربية على مسايرة التطوُّرَ العِلْمِيّ، تلك هي الأهداف التي يعمل لها جَمْهَرَتُهُمْ الساحقة.

٢- **هدف دينِيٌّ وسياسي:** ويتلخَّص في إضعاف ثقة المسلمين في دينهم وتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قِيمٍ وعقائد، وإضعاف روح المقاومة في نفوسهم؛ ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ليكونوا عبيداً له.

٣- إضعاف روح الأخوّة بين المسلمين في مختلف الشعوب عن طريق إحياء القوميات التي كانت قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين هذه الشعوب.

٤- **أهداف علميَّة خالصة:** وهذه لا يقصد منها إلاَّ البحث ودراسة التراث العربي والإسلامي، وهذا الصنف قليل جداً، وهذه الفئة أسلم الفئات الثلاث في أهدافها وأقلّها خطراً؛ ويلقون انتقادا لاذعا ممن يتَّهمونهم بالانحراف والانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرُّب إليهم، كما فعلوا مع (توماس أرنولد) حين أنصف المسلمين في كتابه (الدعوة إلى الإسلام)؛ هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع الغربية في تاريخ التسامح الديني في الإسلام، ومن هؤلاء من يُؤَدِّي بهم البحث إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه، كما فعل المستشرق الفرنسي (دينيه) الذي عاش في الجزائر، وتَسَمَّى باسم (ناصر الدين دينيه)، وألَّف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول ﷺ، وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونُقل جثمانه إلى الجزائر ودُفن بها.

ولعل أخطر خطة استعمارية حاول المستشرقون وأتباعهم تنفيذها، هي محاولة القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن؛ وأحد المقومات الأساسية للوحدة العربية الإسلامية، فلقد تعرضت هذه اللغة إلى محاولات

عديدة كادت أن تعصف بها وتطمسها في أجزاء كثيرة من بقاع العالم العربي في عهد الاستعمار الفرنسي، وفي الوقت الحاضر يقوم المستشرقون في كثير من الجامعات الغربية باستبدال الفصحى إلى العامية، وتعميق البحث في اللهجات المحلية، هذا كله يهدف إلى قطع التواصل مع لغة القرآن الفصحى، وبالتالي خلق فراغ بين المسلمين ومصدر دينهم الأول.

إن الدافع الذي دفع هؤلاء المستشرقين لدراسة الإسلام هو العداء، والحقد المتراكم على دين الإسلام منذ ظهوره؛ وبُغضهم له؛ فقد درسوه بعقلية أوروبية، وحكموا عليه معتمدين على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الفهم القاصر والمغلوط الذي يجهل حقيقة هذا الدين العظيم، باعتمادهم على الأحاديث الضعيفة والشاذة، بعيدا عما هو صحيح وثابت، ناهيك عن الانسياق مع الهوى والانحراف عن الحق، والاستنتاجات الخاطئة والوهمية، مما جعلها أحكاما ثابتة حتى كادت أن تكون حقائق عندهم، ثم نزعتهم الصليبية التي طغت على أفكارهم، فكان لهم ارتباط وثيق بالمؤسسات الكنسية التنصيرية.





وسائل الاستشراق لتحقيق هذه الأهداف

تنوعت وسائل المستشرقين للنيل من الإسلام وأهله، واختلفت باختلاف الزمان والمكان، وهي ما يأتي:

١- تأليف الكتب: كتبوا في الدراسات القرآنية والحديث والفقه والفلسفة، والتصوف واللغة والأدب وغيرها، وقد وصل عدد الكتب التي تناول فيها المستشرقون الإسلام ورسوله، وما يتعلق بمنهجه، إلى ستين ألف كتاب، وذلك في مائة وخمسين عاما، ومعظمها أو جميعها تلصق الكثير من التهم والأفكار المسيئة للإسلام وأهله.

٢- إصدار المجلات: منها العلمية التي تحتوي على كثير من البحوث والدراسات حول الإسلام وحول الشرق عموما، ومن أخطر هذه المجلات ذات الطابع الاستشراقي والإلحادي مجلة (العالم الإسلامي) التي أنشأها عميد التبشير العالمي (صمويل زويمر) عام ١٩١١م.

٣- إمداد الإرساليات التنصيرية: محاولين بذلك وقف نشر الإسلام وتوسّعه، ولعله من الصعب جدا الفصل بين الاستشراق والتنصير،

فالمستشرقون هم تلاميذ المبشرين بلا خلاف، لأن زعماء حركة الاستشراق هم أيضا أعضاء بارزون في حركة التنصير، يسيران بتوجيه وخط سير واحد، ويتلقيان مواردهما المالية من مصدر واحد.

٤- إلقاء المحاضرات في الجامعات والندوات العلمية: خصوصا في الجامعات العربية والإسلامية، ليتحدّثوا عن الإسلام في ديار الإسلام بروح بعيدة عن الإسلام!!

٥- نشر المقالات في الصحف العربية والإسلامية: فقد استطاع المستشرقون أن يستأجروا عددا من هذه الصحف التي تصدر في كثير من البلاد العربية والإسلامية لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم.

٦- التسلل إلى عضوية المجامع والمؤسسات العلمية الهامة في البلاد العربية والإسلامية، كالمجمع اللغوي في مصر، كان من أعضائه المستشرق (جب- Gib) والمستشرق (ونسنك- Wensink) والمستشرق (ماسينيون- Masinyon) وكذلك في المجمع العربي العلمي بدمشق، وكان من أعضائه المستشرق الدنماركي (بيدرسون- Pedrson) والمستشرق الإيطالي (آيتاني- Ketani) والمستشرق الكولومبي (جيتهل- Jotihel) .

٧- عقد المؤتمرات الاستشراقية: بدأت منذ عام ١٨٧٣م، ولا تزال تعقد دوريا إلى الآن في أماكن مختلفة من العالم.

٨- كتابة الموسوعة الإسلامية بلغات مختلفة، بعد أن وجد المستشرقون ميدانا شاغرا واسعا لا يزاحمهم فيه أحد، فأنشأوا دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات، واستطاعوا أن يبثوا فيها ما شاءوا من أفكارهم وسمومهم، ورغم ذلك فإن هذه الموسوعة تعتبر مرجعا هاما لكثير من مثقفي الأمة العربية والإسلامية حتى هذه الساعة.

٩- إعداد المعاجم العربية والقواميس اللغوية: ولهم في ذلك باع طويل، من أشهرها (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن) للمستشرق الألماني (فلوجل) الذي طبع عام ١٨٤٢م، و(المعجم المفهرس لألفاظ الحديث) الذي ألفه جماعة من المستشرقين منهم (ونسنك).

١٠- الاستيلاء على المناصب الهامة للدراسات العليا في الجامعات العربية والإسلامية، وهذا له دور خطير في تربية الأجيال، جيلا بعد جيل.





الاستشراق، ماذا يعني؟!

معنى كلمة (الاستشراق- Orientalism): طلب علوم أهل الشرق.

ومفهومه: ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن معرفة كل ما يتعلق بالشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته.

وقيل بأنه: أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله، وممارسة السلطة عليه.

ويقصدون بالشرق أهل آسيا وأفريقيا، الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم واستعمارهم.

وثمة تعريف هو أكثر شمولية من التعريفات السابقة، وهو أن الاستشراق: دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وثقافة، وشريعة، وتاريخاً، ونُظُما، وثروات، وإمكانيات؛ بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية

بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق.

ويعمل في هذه الدراسات مئات من الباحثين من غير المسلمين، وهدفهم في ذلك ليس إظهار المحاسن للدين الإسلامي؛ بل إظهار المساوئ المزعومة له، وإلقاء الشك في قلوب المسلمين، وإبعادهم عن دينهم وعقيدتهم، ومنع غير المسلمين من أبناء دينهم ووطنهم عن الدخول في الإسلام، اللهم إلا أن قلة قليلة منهم، وإن الاستشراق قد غيّر اسمه في الآونة الأخيرة، وبدأ يطلق على نفسه اسم (الدراسات الإقليمية) أو (الدراسات الاجتماعية) بدلا من الدراسات الاستشراقية، لكن أعماله ونشاطاته قد بقيت على ما كانت عليه.

يقول المسيو (كيمون) في كتابه: (ميثيولوجيا الإسلام): " إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هو مرض مروّع، وشلل عام، وجنون ذهني يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء، وما قبر محمد في مكة!! (مع أنه في المدينة) إلا عمود كهربائي يبث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع والذهول، وتكرار لفظة: (الله.. الله) يقصد بذلك إلى الصوفية!!!"





إنكار المستشرقين للسنة النبوية

نقصد بالسنة: ما ينقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

وأما الأصوليون فبحثوا في السنة عن القواعد التي تُبنى عليها الأحكام فقط؛ وأما الفقهاء فبحثوا في السنة عن الأحكام الشرعية المكلف بها العباد.

حكمها: يُثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها.

منكرها: من أنكر السنة فهو كافر وخارج عن دائرة الإسلام.

أهميتها: للسنة النبوية مكانة عظيمة في التشريع الإسلامي، فهي الأصل الثاني بعد القرآن الكريم، والتطبيق العملي لما جاء فيه، وهي الكاشفة لغوامضه، المجليّة لمعانيه، الشارحة لألفاظه ومبانيه، وإذا كان القرآن قد وضع القواعد والأسس العامة للتشريع والأحكام، فإن السنة قد عنيت بتفصيل هذه القواعد وبيان تلك الأسس، وتفريع الجزئيات.

ويمكن تحديد مفهوم السنّة عند المستشرقين، بأنها عادات وتقاليد موروثة صبغت بالصبغة الشرعية لموافقة النبي لها، وأنها شرح لألفاظ القرآن الغامضة.

ونجد في شبهات المستشرقين أن السنة النبوية مأخوذة من اليهودية والنصرانية!! وأنها مقتبسة منهما!! واستدلوا على ذلك بوجود تشابه بين ما جاء به محمد ﷺ وما جاء به موسى وعيسى، بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها كما قال المستشرق (جولد تسهير) في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام)!!

وكذلك زعم المستشرق (بروكلمان) أن النبي ﷺ استقى تعاليمه من خلال لقاءاته ببعض اليهود والنصارى في رحلاته، في فترة مبكرة جدا من حياته!!؟

المستشرق (ريتشاردر بل) مؤلف كتاب (مقدمة القرآن) يقول: " الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ومسيحية، وكانت فرصته في المدينة أفضل من مكة في الحصول على المعلومات، فقد كان على اتصال بالجاليات اليهودية التي كانت تضم مثقفين، وهناك دلائل على أنه انتفع بهذه الفرصة".

وممن زعم هذه الأكاذيب أيضا المستشرق (أندرسون) حيث قال: " ليس من شك أن محمدا اقتبس أفكاره من مصادر التلمود وكتب الأساطير اليهودية والمصادر المسيحية".

وذكر المستشرق (تور أنديه): " لا شك أن الأصول الكبرى للإسلام مستقاة من الديانتين اليهودية والمسيحية".

المستشرق اليهودي (فنسنك) يقول: " النبي كان يبشر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثم كان يردّد قصص الأنبياء المذكورين في التوراة والإنجيل؛ لينذر قومه بما حدث لمكذبي الرسل قبله، وليثبّت أتباعه القليلين حوله".

وللرد على هذه الشبهة:

لا شك أن الإسلام يشترك مع اليهودية والنصرانية في بعض التشريعات؛ وذلك لأن هذه الديانات جميعا مصدرها من عند الله وحده، جاءت إلى البشر عن طريق الرسل عليهم السلام، وتتفق هذه الديانات السماوية بأنها تدعو إلى عبادة الله وحده، ونشر العدل وتحريم الظلم، وتؤكد على وجود مبدأ العقاب والثواب، وتختلف فقط في المضمون والتطبيق حسب كل زمان.

وهذه الديانات السابقة لم يتعهد الله بحفظها كما تعهد بحفظ القرآن؛ ولذلك أصابها التحريف والزيادة والنقصان؛ ومع ذلك بقي منها بعض التشريعات التي توافق القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولو افترضنا أن النبي ﷺ اقتبس الإسلام من تلك الأديان؛ لمَا جاء في القرآن الأمر بمخالفتهم و محاربتهم، وعدم موالاتهم ونصرتهم.





الطعن في رواة الحديث

حاول المستشرقون في كتاباتهم مرارا وتكرارا على الطعن في رواة الأحاديث، ووضعوا بعضهم موضع الشبهة؛ في محاولة منهم لتقويض الركيزة الأساسية التي قام عليها علم الرواية، واعتمدوا في ذلك على الخلافات التي نشبت بين المسلمين في ذلك العصر، وكان على قائمة المتهمين: الصحابي الجليل (أبو هريرة) رضي الله عنه، والإمام (محمد بن شهاب الزهري) رضي الله عنه.

ومن الشبهات التي أثيرت حول الإمام (الزهري) على سبيل المثال، أثارها المستشرق (جولد تسيهر) وهو مستشرق يهودي مجري لقب ب(شيخ المستشرقين) لكثرة التعرض للإسلام والتحامل عليه، فقد زعم بأن الأمويين استغلوا الإمام الزهري بدهائهم في سبيل وضع الأحاديث الموافقة لأهوائهم.

وزعم أيضا: أن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحجّ أيام فتنة ابن الزبير، وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحجّ الناس إليه ويطوفوا حوله بدلا من الكعبة، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليه، فوجد الزهري وهو

ذائع الصيت في الأمة الإسلامية، مستعدا لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث، منها حديث: **(لا تُشدّ الرّحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى)**.[1] والدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث، أنه كان صديقا لعبد الملك، وكان يتردد عليه، وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طرق الزهري فقط.

وللرد على هذه الشبهة:

إن الإمام الزهري ﵀ كان من التابعين، ومن كبار أئمة الحديث، وهو أول من دوّن السنة، وأول من دعا إلى الأخذ بسند الحديث والالتزام به؛ مما جعله مستهدفا للطعن والتشكيك من قبل المستشرقين المشككين؛ لأنهم ظنوا أنه بافترائهم عليه يُذهبون الثقة بكتب السنّة كلها، وسيكون من السهل الطعن في جميع رواة الحديث ممن هم دونه.

نحن لا ننكر اتصال (الزهري) بالأمويين، ولكن هذه الصلة ما كانت لتؤثر أبدا على دينه وأمانته، وقد أثبتت كتب التاريخ مدى جرأته وصلابته في الحق، وعدم مداهنته أو سكوته عن الباطل مهما كان قائله.

---

(١) متفق عليه.

والمعروف من ترجمة الزهري أنه نشأ بالمدينة، وأخذ عن شيوخها، وعلى رأسهم إمام التابعين في عصره سعيد بن المسيب، فقد لزمه حتى مات، وأخذ عن الزهري الإمام مالك في كل مرة يأتي بها إلى المدينة، حيث ظل يتردد بين المدينة والشام خمسا وثلاثين سنة، فلماذا لم يبغضه علماؤها أو يحذّروا منه أو يكذّبوه إذا كان بالفعل يكذب ويضع الأحاديث لصالح الأمويين؟!!

وهب أن الخوف من الأمويين كان هو الحامل لأولئك العلماء على عدم انتقاده، فلماذا لم ينتقده العلماء في دولة بني العباس، كما هاجموا خلفاء بني أمية وأمراءهم وأعوانهم؟!

لماذا سكت عنه أئمة الحديث وعلماء الجرح والتعديل في عصره؛ كأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والبخاري ومسلم، وابن أبي حاتم، وأمثالهم ممن كانوا لا يخافون في الله لومة لائم؟

وكان أحدهم ربما جرح أباه أو أخاه إذا كان فيه ما يستحق الجرح؟

بل رأيناهم على العكس من ذلك يشيدون به، وبحفظه وأمانته، ويخرّجون أحاديثه في كتبهم.

كما أن الذي عليه أكثر المؤرخين، أن الذي بنى قبة الصخرة إنما هو الوليد بن عبد الملك وليس عبد الملك بن مروان، وحتى على افتراض ثبوت القصة

التي تفيد بأن عبد الملك هو الذي بناها، فليس فيها على الإطلاق ما يفيد أنه كان يريد من ذلك أن يحجّ الناس إليها ويتركوا الحج إلى الكعبة؛ لأن مثل هذا الفعل فيه كفر صريح، ولا يمكن أن يسكت عنه علماء الإسلام في ذلك العصر، ولم نر أحدا من أهل العلم ذكر ذلك، بل ولا من خصوم بني أمية الذين كانوا لهم بالمرصاد.

وأما حديث: **(لا تُشدّ الرّحال...)** الذي زعم بأنه موضوع مكذوب، فهو حديث صحيح مروي في أصح كتب السنة، فقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأصحاب السنن الأربعة والإمام أحمد وغيرهم، وقد روي من طرق مختلفة من غير طريق الزهري، فلم ينفرد الزهري ﵀ برواية هذا الحديث حتى يُتّهم بوضعه.

ثم زعم (جولد تسيهر) أن الإمام الزهري اعترف اعترافا خطيرا في قوله الذي رواه عنه معمّر: " إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث". فقال: إن هذا يُفهم منه أنه كان مُستّغِلا اسمه وشهرته في أن يخضع لرغبات الحكومة في كتابة بعض الأحاديث، وقد حرّف (جولد تسيهر) هذا النص الذي نقله تحريفا يقلب المعنى رأساً على عقب، ويوهم القارئ أن الزهري ﵀ كان له دور في وضع بعض الأحاديث، مع أن النص الصحيح الذي أثبته المؤرخون، كابن عساكر في تاريخ دمشق، والذهبي في السِّير وغيرهما: أن الزهري كان

يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس ليعتمدوا على ذاكرتهم، ولا يتّكلوا على الكتب، فلما طلب منه هشام وأصرّ عليه أن يملي على ولده ليمتحن حفظه، أملى عليه أربعمائة حديث، فلما خرج من عند هشام، نادى بأعلى صوته: "يا أيها الناس إنا كنا منعناكم أمرًا قد بذلناه الآن لهؤلاء، وإن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث، فتعالوا حتى أحدثكم بها، فحدثهم بالأربعمائة حديث". فيكون معنى العبارة: إنهم أكرهونا على كتابة أحاديث رسول الله ﷺ، أي بعد أن كنا نرويها من حفظنا.

هذه هي أهم الشُّبه التي أثارها هذا المستشرق المفتري حول إمام من أكابر علماء السنة والحديث، والتي أراد من ورائها إفقاد الثقة به لدى المسلمين، وبالتالي إفقاد الثقة بالحديث النبوي، وهي شُبه وأباطيل لا تستند إلى أية حقيقة تاريخية ثابتة، وإنما هي من نسج خياله.



الأحاديث وضعت نتيجة للتطور الديني والسياسي!؟؟

ذهب المستشرق (جولد تسيهر)[1] إلى شبهة أخرى جديدة؛ وهي أن القسم الأعظم من الأحاديث النبوية جاءت نتيجة لتطور الإسلام الديني والسياسي، والتاريخي والاجتماعي في القرن الأول والثاني الهجري، فالحديث في نظر هذا المستشرق لا يعدّ وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام.

وهكذا؟ تم اختراع كم هائل من الأحاديث في العصر الأموي؟!! عندما اشتدت الخصومة بين الأمويين والعلماء الصالحين، وراح هؤلاء العلماء يخترعون الأحاديث في سبيل محاربة الطغيان! وفي الوقت نفسه راحت الحكومة الأموية تعمل في الاتجاه المضاد، وتدعو إلى وضع أحاديث تدعم فيها وجهات نظرها، وقد استطاعت أن تجند بعض العلماء الذين ساعدوها في هذا المجال، حيث استمر هذا الحال في القرن الثاني أيضا!

---

(١) مستشرق يهودي مجري لقب ب(شيخ المستشرقين) لكثرة التعرض للإسلام والتحامل عليه.

ويقول (تسيهر): " إن كل فكرة وكل حزب، وكل صاحب مذهب يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل، وأن المخالف له في الرأي يسلك أيضا هذا الطريق".

ويقول (بروكلمان): " كان محمد وأصحابه يصلّون في مكة مرتين فقط في اليوم، وثلاث مرات في المدينة كاليهود، ثم جُعلت الطقوس فيما بعد متأثرة بالفرس، فزاد عدد الصلوات خمسا في اليوم"!!

وللرد على هذه الشبهة:

إن هذا الكلام الذي يقوله هؤلاء المشككون هو كذب وافتراء؛ لأن النبي ﷺ لم ينتقل إلى ربه إلا بعد أن بلّغ الرسالة كاملة، وأرسى قواعد الإسلام الكلية وأحكامه الثابتة، وترك الناس على طريق واضحة، ونزل قوله تعالى يبيّن اكتمال الدين في آخر حياة النبي ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1].

كما أن التطور الذي حدث بعد عهد الرسول ﷺ، مثل وقوع حوادث جديدة لا يوجد فيها نصّ في القرآن أو السنة؛ ألجأ علماء الفقه للاجتهاد فيها، والإجماع، والقياس، وغيرها من مصادر التشريع الإسلامي، مع ذكر مصدر كل قول وتوثيق قائله، وقد وقع بعض الاختلاف في الفروع؛ نتيجة اختلاف العقول والأفهام ولكنه اختلاف لا يضرّ.

(١) [المائدة:٣].

ولو افترضنا أن الأحاديث النبوية وُضعت نتيجة للتطور الديني في القرنين الأول والثاني، للزم حتما أن يختلف المسلمون في عباداتهم نتيجة لاختلاف بيئاتهم ولغاتهم، ولكن نجد المسلمين على مرّ العصور يتّحدون في أداء هذه العبادات، هذا القول يؤكده الواقع والتاريخ والأحاديث الصحيحة التي نُقلت عن النبي ﷺ، يتلقاها أئمة ثقات عبر العصور، حريصون على التثبت والتوثيق حتى تصل إلينا نقية سليمة.





الطعن في منهج المحدّثين !!

ادعى المستشرقون بأن المحدّثين اعتمدوا في نقدهم للأحاديث على الأسانيد فقط، مغفلين تمام النظر إلى المتون والألفاظ؛ مما نتج عنه تلاعب وتصحيح كثير من المتون.

يقول (شاخت)[1]: " إذا استقام سند الحديث فإن المتن يصحّح حتى ولو كان معناه غير واقعي "

ويقول (غوستاف ويت)[2]: " قد درس رجال الحديث السنة بإتقان، إلا أن تلك الدراسة كانت موجّهة إلى السند، ومعرفة الرجال والتقائهم، وسماع بعضهم من بعض..."

ثم يقول: " لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة، ثم جمعه الحفاظ ودوّنوه، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن؛ ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث

(١) (جوزيف شاخت – Schacht Joseph) ١٩٦٩ مستشرق وباحث ألماني في الدراسات العربية والإسلامية، متخصص في الفقه الإسلامي.

(٢) (كارل غوستاف ويت – Witt Gustav) (١٨٦٦ – ١٩٤٦ م) هو عالم فلك من ألمانيا، ولد في برلين.

وصلنا كما هو من غير أن يضيف عليه الرواة شيئا أثناء روايتهم، ومن الطبيعي أن يكونوا قد زادوا شيئا لأنه كان بالمشافهة ".

وللرد على هذه الشبهة:

إن كل منصف للجهد الذي بذله علماء الحديث، يعلم جيدا أنهم لم يألوا جهدا في نقد المتون والكشف عنها كما فعلوا تماما في الأسانيد، بل كان نقد المتون سابقا على نقد الأسانيد، وقد استعمله الصحابة ﭫ، ومثال ذلك: ما جاء في صحيح مسلم أن عمر ﭬ سمع حديث فاطمة بنت قيس، وأن زوجها طلقها ثلاثا فلم يجعل لها رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة، فقال عمر: " لا نترك كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لقول امرأة؛ لا ندري لعلها حفظت أو نسيت؛ لها السكنى والنفقة".

كما أن أنواعا كثيرة أخرى في معرفة علوم الحديث؛ تبحث في المتن من حيث درايته؛ كغريب الحديث ومختلفة، وأسباب وروده، وناسخه ومنسوخه، ومشكله ومحكمه، وكل ذلك يدخل في إطار نقد المحدّثين للمتون واعتنائهم بها.

وقد وضع علماء الحديث قواعد عامة لمعرفة الوضع في متن الحديث من غير الرجوع إلى السند، منها: ركاكة لفظه أو ضعف معناه، بحيث يدرك

استحالة صدور مثل هذا الكلام عن النبي ﷺ، ومخالفته لصريح القرآن الكريم، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي، ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عصر النبي ﷺ، أو موافقة الحديث لمذهب الراوي وهو متعصبٌ غالٍ في تعصبه، أو يكون الحديث خبرا عن أمر جسيم تتوافر الدواعي على نقله ثم لا ينقله إلا واحد، أو اشتمال الحديث على إفراط في الثواب العظيم على العمل القليل، والمبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير.

إن الباحث في كتب علوم الحديث يدرك ما بذله العلماء من جهود جبارة في نقد المتون وتمحيصها، وإرسائهم قواعد غاية في الدقة والموضوعية، وبعيدة كل البعد عن السطحيّة والشكلية، بما لا يدع مجالا لطعن طاعن أو تشكيك مغرض.





تأخير تدوين السنة

ومن أبرز شبهات المستشرقين التي أثاروها حول السنة النبوية، وعوّلوا عليها كثيرا في تحقيق أغراضهم، هي تأخير تدوين الحديث النبوي إلى القرن الثاني للهجرة؛ مما جعل هناك فرصة للمسلمين ليزيدوا فيه وينقصوا، ويضعوا بذلك أحاديثتخدم أغراضهم.

يقول (برنارد لويس)[1]: " إن جمع الحديث وتدوينه لم يحدثا إلا بعد عدة أجيال من وفاة الرسول، وخلال هذه المدة فإن الدوافع لتزوير الحديث كانت موجودة ومتاحة بلا حدود، فأولا لا يكفي مجرد مرور الزمن وعجز الذاكرة البشرية عن حفظ ذلك، ناهيك أنها تُنقل مشافهة مدة تزيد على مائة عام".

ويقول أيضا: " ثمة دوافع للتحريف المتعمد، لأن الفترة التي تلت وفاة الرسول شهدت تطورا في حياة المجتمع الإسلامي، فكان تأثر المسلمين

---

(١) **(برنارد لويس**- Bernard Lewis) من مواليد لندن ببريطانيا (١٩١٦-٢٠١٨) هو أستاذ فخري بريطاني- أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة (برنستون) وتخصص في تاريخ الإسلام، والتفاعل بين الإسلام والغرب، وتشتهر أعماله خصوصا حول تاريخ الدولة العثمانية.

عامّا شاملا بالشعوب المغلوبة، بالإضافة إلى الصراعات بين الأسر والأفراد، كل ذلك أدى إلى وضع الحديث".

وقد أراد المستشرقون من وراء هذه المزاعم إضعاف الثقة بالسنّة، والتشكيك في صحة الحديث، واتهام الرواة بالاختلاق والوضع، وأنهم لم يجمعوا من الأحاديث إلا ما يوافق أهواءهم.

وللرد على هذه الشبهة:

من المعلوم أن تدوين السنّة بدأ في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وكُلّف بذلك أهل العلم الثقة كالإمام الزْهري وغيره، وأما في زمن رسول اللهً ﷺ فإن السنّة لم تدون تدوينًا رسمياً، ولم يأمر النبي ﷺ أصحابه بذلك، وقد ذكر العلماء أسباب عديدة لذلك، منها: أن تدوين كل أقوال وأفعال النبي ﷺ مدة ثلاث وعشرين سنة فيه مشقة كبيرة، ويحتاج إلى تفرغ كثير من الصحابة لهذا العمل الجليل، والصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا جميعا يحسنون الكتابة، بل كان الكاتبون منهم أفرادا قلائل، وكان تركيز هؤلاء الكتبة من الصحابة في ذلك الوقت على كتابة القرآن دون السنّة حتى يؤدّوه لمن بعدهم تاما لا ينْقص منه حرف.

ثمة سبب آخر هام، وهو الخوف من حدوث اللبس عند عامة المسلمين فيختلط القرآن بغيره من الحديث، وخصوصا في تلك الفترة المبكرة التي لم يكتمل فيها نزول الوحي، وهذا لا يعني أبدا أن السنة لم يُكتب منها شيء في عهد الرسول ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تكتبوا عني، ومن كتب عنّي غير القرآن فليمحُه)**[(١)] ثم أذن بالكتابة، وهذه المرحلة جاءت بعد أن استقرت الدعوة، فعند ذلك أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الكتابة.

كما ثبت أن بعض الصحابة كانت لهم صحف خاصة يدوّنون فيها بعض ما سمعوه من رسول الله ﷺ، كصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التي كان يسميها بالصادقة، وكانت عند علي رضي الله عنه صحيفة فيها أحكام، كما ثبت أن النبي ﷺ حدد لهم فيها الأنصبة، ومقادير الزكاة، والجزية، والديّات، إلى غير ذلك من كتب القضايا المتعددة التي تدل على وقوع الكتابة في عهده ﷺ.

ومما كتبه التابعون رحمهم الله كصحيفة همام بن منبه، حتى كثرت الكتابة وانتشرت، وأما التدوين الذي حصل في أوائل القرن الثاني على يد عمر بن عبد العزيز فهو مرحلة متقدمة من مراحل التدوين، وهو تدوين السنّة تدوينا رسمياً عاما من قبل الدولة، بحيث تكون مرجع يعتمد عليه الناس ويتداولونه فيما بينهم،

---

(١) صحيح مسلم.

وهذا التدوين الرسمي العام لا ينافي أن السنّة كانت تكتب قبل ذلك، وبذلك يتضح أن الحديث كان محطّ أنظار المسلمين، ومحل عنايتهم ورعايتهم في مختلف العهود، فكان محفوظا في الصدور ومكتوبا في السطور، تناقله المسلمون أجيالا بكل حرص وأمانة، ميّزوا صحيحه من ضعيفه، وأودعوا ذلك كتبا ظلت موضع قبول الأمة وإجماعها كالصحيحين وغيرهما؛ وقد خضعت لمنهج نقدي دقيق يمكن الوثوق به والاعتماد عليه، ولا يوجد مثله عند غير المسلمين، كما أن الشبهات التي أثارها المستشرقون ضد السنّة النبوية لا يمكن قبولها، وهي متهافتة بالأدلة العلمية، وظهر بذلك كذب هؤلاء المستشرقين وتهافت ادعاءاتهم.





لا أهميّة للسنّة أبدا؟!!

يقولون: لو كان أصحاب الرسول يرون للسنّة أهميةً، لعجّلوا بجمعها وكتابتها كما صنعوا بالقرآن، ولكنهم أهملوها طيلة حياتهم، وماتوا ولم يدوّنوها، وإنما تولى تدوينها التابعون بعد مئتي سنة في القرن الثالث الهجري، عصر البخاري ومسلم وابن حنبل وغيرهم، هكذا يقولون؟؟!!

وبطلان هذه الشبهة من عدة وجوه:

أولا: السنة النبوية لم تُدَوّن حتى ظهور البخاري ومسلم وابن حنبل وغيرهم، بل إن تدوينها بدأ في حياة النبي ﷺ، وبعلمه وإذنه وأمره، منها صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص، وصحيفة علي بن أبي طالب، وما كتب بأمره لأبي شاة، الرجل اليماني الذي طلب منه أن يكتب له، فأمر: **(اكتبوا لأبي شاة)**، وهذا أمرٌ صريحٌ بالكتابةِ، وَهُوَ يُعَارِض حَدِيث أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: **(لا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا غَيْر الْقُرْآن، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ)**[1]. وَالْجَمْع بَيْنهمَا أَنَّ النَّهْي خَاصّ بِوَقْتِ نُزُول الْقُرْآن خَشْيَة اِلْتِبَاسه بِغَيْرِهِ.

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِم.

إلا أن الكتابة كانت قليلة بالنسبة إلى ما ورد عنه، لأن الغالب على أهل ذلك العصر قلة العارفين بالكتابة، فاستعانوا بقدراتهم العجيبة على الحفظ، فقد كانوا يحفظون القصيدة ذات الأبيات الكثيرة من سماعها لمرة واحدة، وإلا فكيف وصلت إلينا آلاف القصائد التي قيلت في الجاهلية، ولم يكن ثمة تدوين؟؟!

ثانيا: أن سنة النبي ﷺ لا تقتصر على أقواله فقط، بل إن أفعاله شاهدها الصحابة بأنفسهم، وحضروها ونقلوها منه في السفر والحضر، في عباداته وعاداته، ورووها لمن بعدهم من التابعين رواية شاهد عيان، ثم بعد الصحابة جاء عصر التابعين، الذي شهد التدوين الرسمي العام للسنة النبوية مع بداية القرن الثاني للهجرة، بأمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، المتوفى سنة (١٠١هـ)، وكلف الإمام الزهري بهذا العمل، وهو من تلاميذ الصحابة، ثم تناقلت الأمة هذه الأحاديث جيلا عن جيل، وكتبوها في مصنّفاتهم، وعملوا بما فيها في دينهم ودنياهم، وحفظوها بعلم الجرح والتعديل، ذلك العلم العبقري الذي ابتكره علماء المسلمين لبيان ما يصح منها وما لم يصح.





كما أثار المستشرقون افتراءات على السنّة النبوية، أثاروا شبهات وأباطيل على القرآن، يريدون بها تشكيك المسلمين في دينهم وكتابهم باعتباره مصدر التشريع الأول لهذا الدين، وصرْف الآخرين عن إتباعه والدخول فيه، وتشويه ما جاء فيه من حق وحقائق، تلكم الفئة من المستشرقين المتعصبين الذين عبثوا بالقرآن الكريم وتعمدوا تشويهه.

فمنهم مثلاً المستشرق (ماكدونالد)[1]، حيث زعم أن القرآن من عند محمد وليس من عند الله، وتلك هي الطعنة والشبهة التي يوجّهها للقرآن هو وأمثاله: (جب) و (هـ. ج. ويلز)، ومن عباراتهم الباطلة في ذلك ما قاله (ماكدونالد): " ومن أسمائه - يعني الله تعالى- السلام وهذه الصفة لم ترد إلا في الآية (٢٣) من سورة الحشر، ونكاد نقطع بأنها لا تعني السلم والسلام، ويرى المفسرون أن معناها البراءة من النقائص والعيوب وهو تفسير محتمل، وقد تكون هذه الصفة كلمة بقيت من ذاكرة محمد من العبارات التي تتلى في صلوات النصارى" !!

---

(١) (دانكن بلاك ماك دونلد - MacDonald Duncan Black) هو **مستشرق** أميركي، ولد في (غلاسكو) (١٨٦٣ - ١٩٤٣) وكان شديد التدين بالنصرانية.

ولا ريب أن أخطر آثار الاستشراق، هو اعتبار كتب المستشرقين الجاحدين وبحوثهم مراجع أساسية في العقائد والتاريخ واللغة والسيرة، خاصة في الجامعات والمعاهد العالمية الغربية، وعلى هذا فإنه من الواجب الأكيد أن يتصدى لهذه الشبهات علماء هذه الأمة، لحماية أبنائها من أن ينحرفوا عقيدة وفكراً ومنهجاً وسلوكاً، بسبب تلكم الشبهات والضلالات.

علما بأننا لا ننكر بأن هناك طائفة من المستشرقين اتسموا بالاعتدال والإنصاف على تفاوت فيما بينهم، فمنهم من أخطأ وأصاب، بل منهم من انتهى به البحث الحرّ النزيه إلى الدخول في الإسلام مثل (رينان) و(كارلابيل) و(تولستوى) واللورد (هيدلي) و(ايتين دينيه)، وعلى كل حال؛ فإنه من الواجب أن تبرز شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم، ولا بدّ من الردّ عليها.





زعم المستشرقون أن محمدا استقى معلوماته التي وضعها في القرآن من البيئة التي عاش فيها، بدليل التشابه الموجود بين مقاطع من الشعر الجاهلي وبعض الآيات القرآنية، حيث زعموا أن محمدا استقاها من وسطه الوثني ووضعها في القران.

وللرد على هذا الادعاء:

إذا كان أهل الفصاحة والبلاغة العرب في العصر الجاهلي، قد اعترفوا على أن القرآن ليس بشعر، ولا يشبهه من أشعار العرب شيء، فهل بلغ من المستشرقين اليوم أن أصبحوا أكثر من أهل اللغة العربية في ذلك العصر فصاحة وبلاغة، وقدرة على وقوفهم على ما هو شعر مما هو قرآن؟؟!!





الحنفاء مصدر القرآن

كما زعم بعض المستشرقين ومنهم (تسدال) و(مستر كانون سل) وغيرهما، إلى أن الحنفية ورجالها قبل البعثة المحمدية، هم أحد مصادر القرآن، بدليل وجود توافق وتشابه بين أحكام القرآن وهداياته وبين ما كان يدعو إليه الحنفاء، كالدعوة لإفراد الله بالوحدانية، رفض عبادة الأصنام، والوعد بالجنة والوعيد بالنار، واختصاص الله بأسماء: الرحمن والربّ والغفور، ومنع وأد البنات، والإقرار بالبعث والنشور والحساب.

وللرد على هذا الادعاء:

الحنيفية: هي دين إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، يعتقد به الإسلام قولا وعملا، والإيمان بأن الله هو الخالق، وهو واحد ليس له شريك، وكان على حنيفية إبراهيم جميع الأنبياء من ذريته وأتباعهم، حتى زمن عيسى بن مريم، ولما جاء محمد ﷺ بالقرآن، نسخ ما عارضه من الديانات السابقة وأبقى ما أبقى منها.

كما أن الإسلام ما جاء ليهدم كل ما وجده في طريقه، بل ما كان منه موافقاً أبقاه ودعمه وأحياه، ووضّح هذا المعنى قوله ﷺ: **(بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)**(١). وهذا المبدأ الذي جعل الرسول ﷺ يحضر حِلف الفضول في دار عبدالله بن جدعان قبل بعثته، لأنه يتمشّى مع فطرته، ويلائم ما نشّأه الله عليه، ومنه ما كان عليه الصلاة والسلام يُثني على صاحب الخلق النبيل حتى لو كان مشركاً، كثنائه على حاتم الطائي لكرمه، وما كان مخالفاً له حاربه، لمحاربته الشرّ والخلق الهابط، ومحاربته التعرّي حول البيت أثناء الطواف لعدم ملاءمته حرمة المكان، ولمخالفته الفطرة السويّة، ولأنه تأباه النفس الأبيّة الزكيّة، هذه هي نقطة اللقاء بين الإسلام والحنيفية، لا كما يفهمه المستشرقون.



---

(١) رواه أحمد.



الصّابئة مصدر القرآن!

زعم المستشرقون أن فرقة الصابئة التي ورد ذكرها في القرآن، هي مصدر من مصادره، وذلك للتشابه بينها وبين ما جاء فيه من عقائد وعبادات ونسك؛ حيث قالوا: إن التأثير من الصابئة انتقل لمحمد عبر الوسط الوثني الذي عاش فيه، وأخذ منه كثيراً من طقوسه الدينية، كالتشابه بين الصابئة والإسلام في الصلاة، والتشابه في الصوم وارتقاب انتهائه، وارتقاب الأعياد ببعض الكواكب، والتشابه في الحج، والتلبية، وتقديم الذبائح.

وللرد على هذا الادعاء:

الصابئة: هي أحد الأديان الإبراهيمية، يؤمن أتباعها بأن يحيى بن زكريا هو صاحب رسالتهم، ويؤكدون بأنهم أول وأقدم الديانات والشرائع التوحيدية، ولا يزال السواد الأعظم من أتباعها في العراق ويعيشون على ضفاف الأنهار، كما أنهم متواجدون في الأحواز بإيران، إلا إن عددًا كبيرًا منهم هاجر بسبب الحروب وسوء الأوضاع الأمنية في العراق.

إن كلمة الصابئة أصلها عربي لا كما زعم المستشرقون، ومعناها الاصطلاحي: أي خرج من دين إلى دين آخر، والعرب كانت تسمي النبي ﷺ (الصابئ) لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام، كما كانوا يسمّون من دخل دين محمد صابئا.

والصابئة من أكثر الفرق صعوبة في الحكم عليها، حيث إنها تلتقي مع كثير من الديانات السماوية وغير السماوية؛ سواء في العقائد أو في العبادات أو غير ذلك، ومن هنا يظهر الفرق الكثير والتشابه الكبير بين الإسلام وبين الصابئة في الاعتقادات والعبادات والأحكام والسلوك.





الزرادشتية والهندية القديمة !!

زعم (تسدال)[1] أن كثيراً من التعاليم الواردة في القرآن وفي الأحاديث أيضا تطابق مطابقة غريبة لما ورد في كتب الزرادشتية والهندية القديمة، فينتج من ذلك قناعات بأن هذه الديانات شكلت مصدرا من مصادر القرآن.

وللرد على هذا الادعاء:

الزرادشتية، وهي أقرب إلى الأديان الهندية القديمة، وإحدى أديان المجوسية، ولم يبقَ غيرها، وهي ديانة إيرانية قديمة، وواحدة من أقدم الأديان في العالم، والتي لم تنقطع ممارستها، نُسبت هذه الديانة إلى مؤسسها (زرادشت)، وتعدّ واحدة من أقدم الديانات في العالم، وهي خليط من ديانات سماوية كاليهودية وغيرها، إذ ظهرت في بلاد فارس قبل ٣٥٠٠ سنة، كانت الزرادشتية دين الدولة للإمبراطوريات الفارسية ما قبل الإسلام لأكثر من ألف عام، ومن حوالي عام ٦٠٠ قبل الميلاد، وبعد ظهور الإسلام قامت الأنظمة الإسلامية بتدمير معابد النار والحدّ من انتشارها في تلك البلاد.

---

(١) (وليام سانت كلير تيسدال)، قسيس ومبشر بروتستانتي، معرف المكتبة الوطنية اليونانية، توفي سنة ١٩٢٨.

إن الزعم الذي أورده (تسدال) بأن ما ورد لها أصل في القرآن والسنّة الصحيحة، مثل قضية الإسراء والمعراج، والجنة والنار، والصراط والصلوات الخمس، فهذه الأمور لها أصل في الديانات السابقة؛ إن كانت أصول الزرادشتية منها، فإذا اشتملت بعض الديانات السماوية على مثل هذه الأمور ووافقت ما ورد في القرآن والسنّة فتكون هذه القضايا من الأمور التي لم تتناولها أيدي التحريف والتبديل على مرّ الزمان، وجاءت في الأصل لتوافق ما لدينا، وليس ما لدينا يتوافق معها أو أخذ عنها.





اليهودية والنصرانية مصدر تشريع وإلهام؟!

زعم المستشرق (تسدال)[1] أن النصرانية كانت أحد المصادر التي أخذ منها محمد وأدخلها في القرآن، مع أن مصادر النصرانية هذه لم تكن موثوقة، بل كانت لفرق شاذة لها أساطير غريبة، وكان يُظن أنها الإنجيل، واستشهد (تسدال) على ذلك ببعض القضايا والقصص؛ كقصة أصحاب الكهف، وقصة مريم عليها السلام، وقصة طفولة المسيح وما جاء من إرهاصات ومعجزات ذكرها القرآن وأنكرها تسدال، ككلامه في المهد، وصنعه من الطين طيرا، وقصة المائدة، ونزول عيسى في آخر الزمان.

وزعم كل من (تسدال) و (باسيه) و (أندريه) و (لامنز) و (جولد تسيهر)، وغيرهم، أن اليهودية مصدر من مصادر الإسلام، واستدلوا على ذلك قضايا كثيرة منها: تشابه القرآن واليهودية في القصص مثل قصة ابني آدم، وقصة إبراهيم، كذلك التشابه في بعض القضايا العقدية والتشريعية والحث على مكارم الأخلاق.

---

(١) (وليام سانت كلير تيسدال)، قسيس ومبشر بروتستانتي، معرف المكتبة الوطنية اليونانية، توفي سنة ١٩٢٨.

هناك حقيقة يجب أن نعلمها؛ الإسلام يوجب على أتباعه أن يعترفوا بالرسالات السابقة، وبالرسل الذين حملوها إلى أقوامهم، ولكن الإسلام جاء خاتماً لهذه الديانات ومصحّحا لها، وناسخاً وحاملاً أحسن ما حوته من تشريعات، وزاد في احتياجات البشرية في كل جوانب الحياة، فجاء شاملاً لمناحي الحياة عامة لكل بني الإنسان إلى يوم الدين، ملبياً لهم كافة حاجاتهم البشرية، وموضحاً ما يحتاجونه من أحكام شرعية، مما يجب على البشرية الرجوع له، وإتباعه وتحكيم شرعه، والخضوع لأوامره وتعليماته، حيث إنه تضمن شرائع الله التي وردت في الكتب السابقة.

والمسلمون يمتازون عن بقية الأمم بتعظيمهم رسل الله جميعا، ويثبتون في حقهم علوّ الفطرة، والصدق في القول، والأمانة في التبليغ، والعصمة من كل ما يشوّه مسيرتهم، فهم بشر كبقية الخلق، مُيّزوا عليهم بالنبوة، وأُيّدوا بالمعجزات لإثبات صدقهم.

أما اليهود والنصارى فكان على عكس هذا من التشنيع على أنبيائهم؛ ونسبة ما لا ينبغي بحقهم؛ وإيذائهم بالسب والشتم والقتل؛ وخاصة اليهود الذي تعاظم حقدهم على أنبيائهم وعلى الإسلام والمسلمين والقرآن الكريم.

فقد عاش اليهود بتآخي وسلام مع عرب الجزيرة لعقود طويلة، وكان من أبرز الشخصيات الكتابية في القرن السابع الميلادي؛ قسّ مكة اليهودي

المتنصر (ورقة بن نوفل) و (عداس) و (بحيرا الراهب) و (جبرا) وغيرهم، كما أن كاتب القرآن وجامعه (ابيّ بن كعب) كان من كبار أحبار اليهود.





محمد، خالط أحبار اليهود!

قالوا: خالط محمد نبيّ الإسلام كبار رجال الدين من النصارى، وأحبار اليهود، وتدارس معهم على مدى سنوات طويلة في الكتب المقدسة، و تعلم منهم قصص الأنبياء والشرائع السماوية التي وردت في التوراة والإنجيل، ومعجزات السيد المسيح وأمّه مريم، ثم اختمرت فكرة الدين والنبوة في ذهن محمد بتشجيع من (ورقة بن نوفل) ونصحه بأن يكون للعرب الوثنيين دينا خاصا بهم، وكتابا ونبيا أسوة باليهود والنصارى، لجمع شتاتهم ويوحّد كلمتهم، فكان دور (ورقة) الوحي لمحمد لتأهيله ليكون نبيا على العرب، يزوّده ما يحتاج إليه من آيات !! لتكون له بداية في إعداد كتاب مقدس للعرب، وليكون هو نبيا وقائدا لهم، يلمّ شملهم وشتاتهم كبقية الشعوب!!؟

قالوا: كان هذا القسّ اليهودي المتنصّر (ورقة بن نوفل) يترجم الإنجيل من العبرية إلى العربية، وكان بمثابة الوحي السماوي لمحمد، حيث اعترفت كتب التراث الاسلامي والسيرة النبوية أن الوحي فَتَرَ بعد موت ورقة بن نوفل!!؟ وأصاب محمد الاكتئاب، وحاول الانتحار بألقاء نفسه من شواهق الجبال حزنا على فقدان هذا الوحي!!

قالوا: عندما ظهر (الشبح) الذي حاول خنق محمد في غار حراء، حيث الوحدة والوساوس، وطالبه مباشرة أن يقرأ ولا يوجد ما يقرأه، ذهب محمد فزعا ومرعوبا يرتجف خوفا إلى زوجته خديجة يصيح (زملوني، دثروني) فأخذته خديجة إلى عمّها ورقة بن نوفل الذي بشّره أن ما جاءه هو الناموس الأعلى كما جاء لموسى، وأعلمه أنه نبيّ هذه الأمة !! ووعده أن يدعمه مادام حيا.

قالوا: عندما بدأ محمد دعوته كان يأمل أن يكون يهود ونصارى الجزيرة عونا له، فجاء بآيات مقتبسات من التوراة والانجيل مادحا بني اسرائيل، منها قوله: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وجاء بآيات كثيرة عن النبي موسى وقصص أنبياء اليهود، وأطال في سرد قصة يوسف وإخوته، كما جعل بيت المقدس وموقع هيكل سليمان ومهبط عيسى المسيح قبلة للمسلمين، يتجهون إليها في صلاتهم أسوة باليهود والنصارى، كل ذلك كان لاستمالة قلوب اليهود والنصارى لجانبه، وكسب تأييدهم ودعمهم لدعوته.

قالوا: اقتباسات محمد ومصادره في التشريع، وقصص الأنبياء، هي

(١) [البقرة ٤٧ و ١٢٢].

مقتطفات من التوراة اليهودية وأساطير التلمود، فشريعة العين بالعين والسنّ بالسنّ، وحكم الرجم وتحريم أكل الميتة ولحم الخنزير، كلها مستوحاة من كتب اليهود، نقلها محمد حرفيا إلى قرآنه مع بعض الإضافات، صاغها بأسلوب السجع النثري وبلغة قريش، حتى شهادة (لا اله الا الله) نقلها عن عبارة يهودية جاءت في الآية (٣٢) من سفر صاموئيل الثاني – الاصحاح (٢٢) من التوراة اليهودية، حيث وردت هكذا: " لا اله الا الرب" وكذلك وردت في مزمور داود رقم (١٨) بالآية (٣٢).

كما اقتبس محمد نبي الاسلام بعض آياته عن الأناجيل المزيفة التي لا تعترف بها الكنيسة الأم، ومنها سورة آل عمران!

ويعترف محمد أن الآية (١٠٥) في سورة الأنبياء، أنها مقتبسة من مزامير داود اليهودية، فيقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. والزبور هي مزامير داوود في التوراة!!

وأن هذه الآية مقتبسة من الآية (٩) من مزامير داوود التي جاءت مرتين بهذا النص: " فالأشرار يقطّعهم الرب والذين يرجونه يرثون الأرض"، وجاءت الثانية في الآية (٢٩) من كتاب المزامير بالنص التالي:" أما الصدّيقون فيرثون الأرض" هذا دليل أن محمدا كان مطّلعا على كتب أنبياء اليهود؛ التوراة والمزامير والتلمود!!

كما أنه اقتبس من الأناجيل بعض الآيات، كالآية التي تحكي عن قصة خلق عيسى للطير من الطين؛ ما هي إلا قصة مقتبسة من إنجيل (توما) الغير معترف به من الكنيسة، وقد ورد نصا بهذه الصيغة: " وصنع يسوع من طين الصلصال، أثني عشر عصفورًا... نظر للعصافير وقال: انطلقي، طيري، وعيشي واذكريني. وعند قوله هذا طارت وصعدت في الهواء".

ثم أبعد محمد شبهة اقتباساته من كتب الأديان السابقة، فجاء بالآية (٤) من سورة الفرقان محاولا نفي اقتباساته عن الآخرين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ لم تأت هذه الكلمات من فراغ وبلا سبب، إنما هي انعكاس لواقع يحاول أن ينفيه، كما كرر ذلك النفي مرة أخرى بالآية (١٠٣) من سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

يقولون أيضا: الكثير مما جاء به محمد في القرآن من شرائع وتحليل وتحريم وقصص الانبياء، مذكور في التوراة و الانجيل!!

فما الجديد الذي جاء به محمد؟!

هل التبشير بنكاح حور العين؟؟

وشرب الخمر من الجنة؟ واللبن والعسل؟؟

في حدائق واسعة ومترامية !؟

وبساتين فيها من كل الثمرات!؟

يخدم بها ولدان مخلدون!؟

يطوفون على المؤمنين بكاس من معين كاللؤلؤ المنثور؟؟!!

وللرد على هذا الأقوال كلها مجتمعة نتساءل:

كيف يكون لسان هؤلاء المعلمين المحيطين بمحمد أعجمي، وجلّهم عرب أقحاح وشعراء فطاحل، وسادة اللغة، في جزيرة واسعة مشهورة ومعروفة اسمها جزيرة العرب!!؟؟

إن من خلال هذه الافتراءات، وجدنا أن آراء المستشرقين في تحديد مصادر الإسلام كان متباينا تباينا كبيرا، وهذا الاختلاف الكبير هو الشاهد على أنهم باستخدام الأكاذيب والخداع قد ران على قلوبهم، فلم يعودوا يرون الحقيقة كما هي، والذي يزيد من تأكيد هذا القول هو الغلوّ المنحرف بأنبياء التوراة، وبألوهية عيسى الإنسان عليه السلام، فيضفون عليهم هالة من التقديس والاحترام؟!!

أما نبي الإسلام فيكيلون له التهم كيلا بالأطنان، والمنصفون منهم ممن يذكرون أعماله الجليلة وخصاله الحميدة، لا يذكرون ذلك إلا بحياء

وخجل؛ كوصف إنساني عادي وليس كخصوصية نبوّة، كما أنهم ينسبون معجزاته العظيمة وأعماله الجليلة إلى مواهب خاصة وقدرات فذة تميّز بها على قومه، قادهم بها إلى التحرر من عادات الجاهلية وطقوسها الوثنية نحو دين ابتكره من جلّ أفكاره ومواهبه، والكثير من تعاليمه مأخوذة من اليهودية والنصرانية.

وما يُضعف آراء هؤلاء المستشرقين ويدينُها، ويجعل كلامهم ضربا من الهستيريا ونوعا من طحن الكلام والثرثرة، أنهم يقرّون بالمسيحية وبخرافة تثليثها، ويعترفون بكل الأناجيل المحرّفة والمتضاربة في نصوصها ومعانيها؛ فهي تتباين فيما بينها بينونة كبرى في تصور الحقيقة المسيحية، كما أنهم يعترفون باليهودية ويدافعون عنها دفاعا مريرا، ويؤمنون بالتوراة المحرفة المزدحمة بالطعن بالذات الإلهية واتهام الأنبياء بالرذائل وارتكاب الجرائم الأخلاقية، ويلتمسون لها سندا تاريخيا مزيفا للاستدلال على أنها حقائق مقدسة ثابتة؟؟!!

أما عندما يتناولون الحديث عن القرآن ونبيّ الإسلام، فإنهم يغفلون كل شيء مما كانوا قد تبنّوه أو قالوه في الدفاع عن المسيحية واليهودية!!؟؟ ثم تجدهم بعد ذلك يدّعون بالموضوعية أثناء الحديث عن الأديان السماوية والدفاع عنها!؟؟

إن قول هؤلاء باقتباس الإسلام من اليهودية والمسيحية، هو مما بالغوا فيه من الكذب والتدليس على النبوة المحمدية، وغرضهم من هذا الكذب هو الإخبار عن حقيقة النبوة بخلاف ما هو عليه أمرها، ومرادهم من التدليس هو إخفاء حقيقة الرسالة المحمدية بالخداع والاحتيال والافتراء بوقاحة زائدة!؟





قال (سيدني فيشر): وهو مستشرق كندي شديد التعصّب ضد الإسلام، قال في كتابه: (الشرق الأوسط في العصر الإسلامي): إن الإسلام نسخة مشوهة عن اليهودية!!

وأيّده في هذا القول المستشرق اليهودي (نفتالي فيدر)، وهو مستشرق يهودي مجَرَي متعصّب في كتابه: (تأثير الإسلام في العبادة اليهودية).

وكذلك فعل (ج. إيزال) مؤلف كتاب: (محاضرات للشرق الأدنى) الذي جاء فيه: " واتفق لمحمد في أثناء رحلاته أن يعرف شيئا قليلا عن عقائد اليهود والنصارى".

وقال(جولد تسهير) وهو مستشرق يهودي مجَرَي من أكبر المستشرقين المتشددين ضدّ الاسلام، عاش في الفترة ما بين (١٨٨٥- ١٩٢١) قال في كتابه: (العقيدة والشريعة)[١]، " تبشير النبي محمد ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية

(١) ترجمة الدكتور موسى وزميله ص(١٥).

والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه".

وقال (نيكل سون) وهو مستشرق إنجليزي، في كتابه (الصوفية في الإسلام): " والإسلام الذي وضعه محمد تأثر فيه بالتعاليم الدينية السابقة من اليهودية والمسيحية، وبالأخص مسيحية الكنيسة السريانية، ثم إن محمدا في اقتباسه حرّف الفهم فيما اقتبسه". يقصد أن النبي ﷺ لم يفهم حقيقة ألوهية عيسى، وهم يؤلّهون عيسى وينفون النبوة عن محمد ﷺ.

إلا أن المستشرق الأمريكي (بودلي) عاش في الفترة ما بين (١٨٩٢-١٩٧٠) رد عليهم في كتابه (سيرة الرسول) مفندا آراءهم بحجج قوية استقاها من قراءات واستنتاجات موضوعية لأحداث السيرة، فاعتبر عدم وجود ترجمة للإنجيل قبل ظهور الرسول ﷺ، هو البرهان على أن النبي لم يأخذ من المسيحية، ومثل هذا يقال عن التوراة، لأن الترجمات العربية للعهدين القديم والحديث ظهرت بعد عصر النبي بقرون عديدة.[١]. وما يدل على أن آراء هؤلاء المستشرقين ليست إلا ثرثرة من الكلام.

إذا أمعنّا النظر في درجة التأثير التي تركها النبي ﷺ في أصحابه، يظهر لنا أنه ليس معقولا من الوجهة العلمية أو النفسية أن نبرهن على عمق التأثير

(١) الرد على شبهات المستشرقين للمؤلف، ص(٧٢)

الروحي في نفوس المسلمين، بأنه كان نتيجة نزوة عاطفية غرسها في نفوسهم رجل موهوب كمحمد؛ نتيجة تأثره بالتعاليم اليهودية أو النصرانية، إذ أن البرهان على هذه الحالة الشعورية وبهذا الشكل الساذج يصبح غير دقيق ولا متوازن، لأنه يفتقر إلى الترابط المنطقي في عدم وجود علاقة منسجمة تربط بين القوة التأثيرية في العقيدة الاسلامية وبين نظائرها في العقائد اليهودية والنصرانية؛ ويُقصد بالعلاقة التأثيرية أي العلاقة الروحية التي تنظمها طبيعة العقيدة بين المؤمنين في الديانات الثلاث وبين الله، ضمن علاقة كونية تربطها أصول التوحيد، وهذا المبدأ الإيماني هو الذي يرسم العلامة الفارقة بين المؤمنين في كل من الأديان الثلاثة[1].

فالمستشرقون في آرائهم غير الدقيقة، التبس عليهم وجه الشبه بين أصول العقائد والشرائع الثلاث، حول بعض الحقائق الغيبية والغائية من وجود الإنسان في هذا الكون، فهم يقرّون أولا بأن التوراة هي العهد القديم الذي يقوم عليه العهد الجديد؛ ولكنهم يرفضون تفسير القرآن الكريم للظواهر الغيبية بنفس ما تحدثت عليهما التوراة والإنجيل، لذلك اعتبروا القرآن منقولا عنهما، ولم يدركوا أن هذه الكتب الثلاثة مصدرها واحد وهو الله سبحانه.

---

(١) الرد على شبهات المستشرقين بتصرف، ص (٧٥).

وهذا الفرض قائم على استنتاج خاطئ، لأنهم اعتمدوا على مبدأ قياس العام على الخاص، أي: قياس مبدأ النبوة في كينونتها العامة وهو المبدأ الذي ينفونه عن جميع الأنبياء، إلا ما كان متعلقا بنبيّهم الذي يؤمنون بشريعته، فيعتبرونه ظاهرة دينية فريدة من نوعها، وهذا القياس هو الذي جعلهم يصلون إلى تلك الاستنتاجات الخاطئة.

وعلى هذا يمكن القول: إن الدراسة الاستقرائية للظاهرة النبوية والقرآنية، كان يمكن لها الاعتماد على المنهج الاستقرائي الذي يجعل من الظاهرة اليهودية والمسيحية ظاهرة جزئية يمكن اعتمادها ضمن خطة استقرائية لغرض الوصول إلى نتيجة نهائية، مفادها أن النبوة في شكلها العام هي ظاهرة سماوية صحيحة، ولا يمكن تجزئتها فنؤمن ببعض ونكفر ببعض.

هناك فكرة أخرى؛ يمكن اعتبارها دليلا على أن النبي ﷺ لم يكن متأثرا بالمسيحية واليهودية مثلما يدّعي هؤلاء، يدلنا على ذلك الفارق الكبير الذي يميز الشرائع الثلاث؛ الإسلامية والمسيحية واليهودية في جوهر عقائدهم، فالإسلام دين يقوم أساسه على التوحيد الخالص لله سبحانه، ونبذ الشرك في أية صورة من الصور، بينما المسيحية تقوم عقيدتها على التثليث (الأب والابن والروح القدس)، وهذا الإله الثالوث الذي تقوم عليه العقيدة النصرانية، هو الذي رفضه القرآن الكريم جملة وتفصيلا، واعتبره جريمة

كبرى يُعَاقَبُ عليها أشدّ عقاب، لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وقوله: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

هاتان الآيتان تصرّحان بوضوح؛ أن كل من يعتبر المسيح ثالث ثلاثة أو إلها؛ فقد كفر كفرا بواحا، وهو ليس من المسلمين في شيء، لأن الإسلام يعتبر التوحيد جوهر العقيدة وأصلها الذي تقوم عليه، وأنّ الله سبحانه ليس كمثله شيء، وهو في كل يوم في شأن يغنيه عن التجسيد والحلول في الزمان والمكان؛ أو في أي شيء من خلقه، أما اليهودية التي بين أيدينا اليوم فهي تعتقد بأن إله التوراة هو ربّ قومي، وإله خاص باليهود فقط.

لا ريب أن هذا الاختلاف الكبير بين العقائد الثلاث، هو الذي يقدم لنا البرهان على أن النبي ﷺ، كان نبيا رسولا يوحى إليه من الله في السماء.

---

(١) [المائدة:٧٣].

(٢) [المائدة:١٧].

ولو كان القرآن مستلهما من الأحبار والرهبان كما يقولون.

لما خالف عقائد المسيحية واليهودية.

ولما استطاع أن يأتي بمعان جديدة فيها من العلم بالغيب ما يفوق طاقة البشر.

ويناقض تعاليم المسيحية واليهودية في أساسهما.

ويتحدث عن حوادث تاريخية وقصص غابرة.

وأنبياء ورسل لم يسبق للعرب وغيرهم أن علموا بأحوالهم؟

ولم تُعرف يقينا عند كبار الرهبان والقساوسة.

فكيف يمكن لهذا النبيّ الأميّ الذي عاش بين جبال مكة طوال حياته؛ أن يأتي بما يخالف أصول العقيدة المسيحية واليهودية التي اعتبروهما أصلين استلهم منهما أفكاره وتعاليمه الدينية؟!!

إن آراء المستشرقين ليست إلا ثرثرة تفوح منها رائحة كريهة، لا يسندها دليل ولا حجة ولا برهان ولا شواهد تاريخية، ولا يطمئن لها عقل، ولا يرتاح لها بال، ولا تروي غليل باحث.





أكذوبة صلب المسيح؟!

المسيح عيسى ﷺ يُعدّ مصلوبا عند المسيحيين!! والذين فعلوا به ذلك هم اليهود، بالوشاية لدى الحاكم الروماني الذي صلبه !! لذلك ظل العداء مستحكما بين النصارى واليهود، على حين أن القرآن الكريم ينفي ذلك نفيا قاطعا، لقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾[1].

هذه الآية القاطعة في دلالتها والمحكمة في معناها؛ تؤكد أن المسيح ﷺ لم يُصلب يقينا كما تزعم المسيحية ويقرره التاريخ العام الذي يُدَرّس عندهم في المدارس والجامعات؛ والحقيقة إنما هو رجلٌ شُبّه لهم.

فكيف أمكن لرجل كمحمد ﷺ، أن يأتي بهذه الحقائق التاريخية والدينية التي خالفت المسيحية والتاريخ العام لأول مرة؟

لاسيما وأن هذا الرجل نشأ في بيئة صحراوية وثنية !

---

(١) [النساء: ١٥٦-١٥٧].

أمّة أمّية بدوية لا تقرأ ولا تكتب !

وليس لها علم بأسرار النبوة والرسالة!

وليس لها ذكر في التاريخ !

ولم تعرف حياة التمدّن والتحضر شيئا كثيرا ولا قليلا !

هذه العوامل تُعتبر عناصر علمية في تحليل النبوة والرسالة والوحي.

فاليهودية تعتبر الله إلها قوميا خاصا باليهود فقط.

ولا شأن له بالأمم الأخرى.

والنصارى يعتبرون عيسى إلها أو ثلث إله!

والوثنيون يؤمنون بتعدد الآلهة!

والإسلام إنما جاء ليبطل هذه المعتقدات كلها، فاعتبرها باطلا وضلالا، ومن يؤمن بها فهو ليس من الإسلام في شيء.

وهذه الشواهد هي الدليل على أن محمدا ﷺ، لم يعرف المسيحية ولا اليهودية، ولم يتخذهما مصدرين لاستلهام تعاليمه؛ لأنه قام على هدم أركان

العقائد المسيحية واليهودية التي اختلقتها التوراة والأناجيل المحرفة، ونشرها القساوسة والأحبار والرهبان.





عائق زمني ولغوي وتاريخي

كما أن هناك برهانا آخر يمكن أن نضيفه؛ فإذا كان النبي ﷺ قد تعلّم على يد الراهب (بحيرا) وغيره من الرهبان في رحلته الثانية في تجارة خديجة؛ فلماذا تأخّر عن التبليغ مدة خمس عشرة سنة؟ ونحن نعلم أن الذين قاموا بإحداث ثورات إصلاحية في مجتمعاتهم؛ إنما قاموا بها في زهرة شبابهم؛ لأن هذه المرحلة من الحياة هي أخصب مرحلة تظهر فيها القدرات والمواهب؟!!

كما أن هناك عائق لغوي، وهو من أهم أدلة الاستدلال على بطلان أقوال المستشرقين والمبشرين، هذا العائق يحول دون الاتصال بين النبي والرهبان، فالتواصل بين الناس يقتضي معرفة واسعة باللغة المستخدمة بينهم، والنبي لم يثبت عنه أنه تكلم بغير العربية التي نزل بها القرآن، والرهبان الذين يفترض أنه التقى بهم في الشام، لم يكونوا يتكلمون بهذه اللغة؛ فأهل الشام قبل الفتوحات كانوا يستعملون الآرامية وهي لغة الإنجيل، ومنهم من يستخدم السريانية وهي لهجة من الأرامية، ومنهم من كان يستخدم اللاتينية لغة الروم.

ومن العوائق أيضا الشواهد التاريخية، فالنصارى المعاصرون للنبي ﷺ في ذلك الوقت لم يتهموه بالاقتباس من المسيحية، وعلى رأسهم (النجاشي) وكان رجلا ذا فهم بالتعاليم النصرانية، وفي مملكته كبار البطارقة والقساوسة!!؟

وعمرو بن العاص؛ كان داهية من دواهي العرب؛ استخدم كل الحيل من أجل النيل من النبي محمد ودينه، هاجر إلى الحبشة ليردّ المسلمين، واتفق مع البطارقة والقساوسة أن يشيروا على النجاشي بأن يُسِّلم المسلمين إليه، ولم تتحدث أخبار السيرة بأنه اتّهم النبيّ بالاقتباس من النصرانية.

ومثله (مقوقس) مصر الذي أهدى إليه (مارية) القبطية التي اتخذها الرسول ﷺ سُرِيَّة (زوجة)، وأبو سفيان عند مساءلته من هرقل الروم لم يتهمه بالاقتباس.

وكذلك وفد النصارى الذي جاء إلى مكة يبحث عن الحقيقة، فلما عرفوها آمنوا بالنبي ﷺ، فشتمهم أبو جهل لإيمانهم، وفعل مثلهم نصارى نجران الذين جاؤوا إلى المدينة وحاجّوا النبي ﷺ، وفي ألوهية عيسى، ولكنهم لم يتهموه بالاقتباس من النصرانية، وهم الذين دعاهم النبي ﷺ في آية المباهلة في سورة آل عمران فأَبَوا، لخشيتهم من أن يكون نبيا فيصيبهم مكروه.

هذه بعض أبرز الحقائق التي غابت عن عباقرة الاستشراق وتوابعهم! وهي الحقائق التي يثبتها التاريخ وتدل عليها الشواهد.



العقوبات في الإسلام رجعية وجائرة!!

يدّعي الملحدون وأمثالهُم من المستشرقين والمبشرين، بأن العقوبات الشرعية والتعاليم الأخرى في الإسلام قديمة وجامدة قد عفّى عليها الزمان، وتجاوزتها الحضارة الإنسانية في هذا العصر، ولم تعد ملائمة للحياة البشرية اليوم، عصر التقدم والمدنية، والتحضر التقني والصناعي والتكنولوجي، وأن الأخذ بهذه التعاليم ما هو إلا تقهقر بالإنسانية الراقية، ورجعية فاضحة إلى عهود الظلام الدامس والقرون الوسطى!! وللرد على هذه الشبهة:

إن الباحث العاقل والمنصف لا يزن الأحكام والتشريعات بالزمان الذي صدرت فيه أو نُقلت منه، ولكن الميزان الذي تُقَوّم به هو مدى صلاحيتها وتحقيقها للغاية المرجوّة منها، وعليه؛ فليس كل قديم مردوداً، ولا كل جديد مقبولاً، ولا كل ما نشأ في البادية فاسداً، ولا كل ما نشأ في الحاضر صالحاً.

كما أن مصدر هذا التشريع ليس محدودا على بقعة من بقاع الأرض، ولا اجتهاداً بشرياً قاصراً قابلا للتغيير أو التطور، أو مزاجيّا، إنما هو شريعة الله التي أنزلها هدى ورحمة للبشرية جمعاء، على مختلف أجناسهم وأصولهم.

وقد ذكر خالق الكون والبشر: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

وقال أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾[3].

ثمّ إنّ تعلق هؤلاء بالجديد ونبذهم للقديم ليس مبنياً على منطق عقلي سليم، وإنما هو استجابة لوهم من الأوهام النفسية التي تتعلق بالجديد أياً كان نوعه.

يقولون: ما دامت القوانين تُلغى أو تُعدّل؛ فلم لا نفعل مثل ذلك في العقوبات الشرعية؟

إن هذه النظرة خاطئة إلى الشريعة الإسلامية، لأن هذه الشبهة جاءت من قياس العقوبات الشرعية على العقوبات الوضعية التي تتطور مع الزمن، ويحصل فيها التغيير والتبديل بين الحين والحين، تلافياً لما فيها من الأخطاء، وتحقيقاً لما هو أجدى وأكمل، في حين أن العقوبات الشرعية نزلت من البداية على الوجه الأكمل، لأن واضعها يعلم ما كان وما سيكون من مصالح العباد، ولو كان ذلك بعد خمسين ألف سنة.

---

(١) [الأنبياء:١٠٧].

(٢) [سبأ: ٢٨].

(٣) [الأعراف: ١٥٨].

وقد ثبت هذا في تحقيق الأمن والأمان، وحماية مصالح الناس، ومكافحة الجرائم على مدى القرون الماضية التي طُبقت فيها، مع اختلاف البيئات والثقافات والأجناس؛ ولا يمكن أن يقوم غيرُها مقامها للقضاء على انتشار الجريمة أو الحدّ منها، وهذا دليل واضح وقاطع على أنها تشريع من إله حكيم.





العقوبات الشرعية تتسم بالقسوة والهمجية !!

تُثار على هذا الدين بين الفينة والأخرى ادعاءات وشبهات لتنفير الناس عنه، وما يدّعيه المشككون أن العقوبات الشرعية في الإسلام توصف بالوحشية والقسوة والهمجية التي تبعث على الاشمئزاز، ولا تتناسب مع روح هذا العصر وإنسانيته، وحمايته لحقوق الإنسان وكرامته، ومن ثمّ فإنها مخالفة للمعايير التي تنادي بها المنظمات الدولية للحفاظ على الإنسان وحقوقه، وهم يهدفون من ذلك الطعن في كفاءة التشريع الإسلامي!!

وللرد على هذا القول:

إن العقوبة على الأغلب ليست مكافأة على عمل مقبول ومبرر، وإنما هي جزاء على ارتكاب جريمة، يقصد به الإيلام والردع، وإذا لم تكن العقوبة مؤلمة فليس لتطبيقها أي أثر في الزجر والردع، حتى تأديب الرجل ولده لا بد أن يكون فيه شيء من الإيلام والقسوة، لتأتي هذه العقوبة بنتائج من أجل تأديبه وإصلاحه.

والإنسان العاقل لا شك أنه يتمنى ألا توجد في المجتمع جريمة أبداً حتى لا

توجد عقوبات أصلاً؛ بحيث يفهم كل فرد ما له فيرضى به طائعا، وما عليه فيؤديه طائعا، ولكن هذا حلم لا يمكن أن يتحقق، ورغبة خيالية تصطدم بالواقع الذي نعيشه، وهناك الكثير من النفوس الجاهلة الحمقاء التي لا تلتزم بما لها وما عليها، ونفوس شريرة ظالمة قد تأصّل فيها الإجرام ضدّ الآخرين بشتى الأشكال.

والحياة لا يمكن أن تستقيم وتنتظم إلا بالالتزام واحترام حقوق الآخرين، وعدم الاضرار بهم، ومن خرج عن هذا وسعى للإضرار بغيره و مجتمعه، كان ردعه واجباً عقلاً وشرعاً، ولا ردع إلا بقسوة وإيلام، ولا يكون العقاب عقاباً إذا كان مقرونا بالرخاوة والضعف، فلو فُقدت القسوة فُقدت معها العقوبة بلا شك.

ولكن، ما هي الدرجة التي يجب أن تقف عندها قسوة العقوبة على جريمة ما؟

إن الذي يحدّد هذه الدرجة هو خطورة الجريمة التي ارتكبها صاحبها؛ فالقسوة المقترنة بالعقوبة يجب أن تكون متلائمة مع الجريمة، وهذه الحقيقة محل اتفاق عند جميع المشتغلين بوضع القوانين، مهما اختلفوا في تحليل فلسفة العقاب، وإن اختلاف القوانين العقابية الوضعية وتفاوتها أكبر شاهد على ذلك.

فإذا وجدنا من يصف العقوبات الشرعية بالقسوة مطلقا، فسبب ذلك أنهم يخطئون في تقويم خطورة هذه الجريمة أو تلك، دون أن يعتبروا في ذلك نظرة المشرِّع لهذه العقوبة وتقويمه لخطورتها، فالحكمة في تغليظ العقوبات الشرعية التي توصف بالوحشية والهمجية أعظم من تقديرات عاطفية أو مزاجية، لأن قتل القاتل ورجم الزاني وقطع يد السارق وغيرها من العقوبات الشرعية التي توصف بالقسوة، هي في حقيقتها أقل قسوة من ارتكاب هذه الجرائم نفسها، وهي تعتبر أعظم المفاسد في زعزعة أمن واستقرار المجتمع، ونشر الخوف والرعب فيه، وكل واحدة منها تتضمن اعتداء على واحدة أو أكثر من المصالح الكبرى للمجتمعات التي لا يمكن أن تستقيم الحياة فيها بدونها، وها هي تلك الجرائم الكبرى بعينها تعصف بكثير من الدول التي لا تطبق الشريعة الإسلامية، سواء كانت في الشرق أو الغرب، عاجزة عن التصدي لها أو الحدّ من انتشارها مع كل ما توفر لها من إمكانيات وقدرات، وتقدم مادي وتقني، وأجهزة أمنية وإدارية واستخبارية.

إن هؤلاء المعترضين على هذه العقوبات؛ اعتبروا مصلحة خاصة للمجرم ونسوا مصالح عامة للمجتمع، استكثروا العقوبة على الجاني وأشفقوا عليه على حساب الضحية والمجتمع، ولو أنهم قارنوا العقوبة بالجريمة لخرجوا بالعدالة للجميع.

فإذا استحضرنا مثلاً فعل السارق وهو يترقب في عمق الظلام متخفياً، يكسر الأقفال والأبواب، ويُشهر السلاح ويرعب الناس هاتكاً حرمة البيوت، وعازماً على قتل من يقف أمامه؛ إذا تصورنا حالة النساء والأطفال في البيت وهم يستيقظون على صوت إطلاق الرصاص في غرفة النوم، ويفتحون أعينهم على وجه السارق المرعب وهو شاهر سلاحه.

لو تصورنا ما يُحدثه فعل السارق من قلق في نفوس الناس والمجتمع جميعاً.

وبث الرعب في قلوبهم.

يحرصون على حماية أرواحهم وأموالهم بالأقفال.

لو تصورنا هذا أو بعضه، ثم قارنّاه بقطع يده الآثمة.

لما قلنا عن عقوبته بأنها قاسية.

وهكذا الشأن في بقية العقوبات، علينا أن نستحضر جرائمها وما فيها من أخطار وأضرار، حتى نستيقن أن الله تعالى قد شرّع لكل جريمة ما يناسبها، وجعل الجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد.

إن الله تعالى أراد للناس أن يعيشوا آمنين مطمئنين.

ولن يتحقق لهم ذلك إلا بقطع أداة الجريمة.

وهذه سنة الله في خلقه.

لو كان في الإنسان عضو فاسد.

لا علاج له إلا بقطعه من الجسد.

ولا مناص لهذا الجسد أن يحيا سليما إلا بالإقدام على ذلك!!

هذا الطبيب الذي يستأصل هذا العضو الفاسد بالمنشار والسكين؟!

ألا يوصف بالوحشية؟؟!

لماذا لا يوصف بالإجرام؟؟!!

أليس هذا من مظاهر القسوة والوحشية والهمجية؟!

أم أنها قسوة هي في حقيقتها عين الحكمة والرحمة والمصلحة !؟

لو ترك الطبيب هذا العضو الفاسد يعيث فسادا في أنحاء الجسم؟؟

ألا يكون هذا هو الهلاك الحقيقي والتلف الحقيقي!؟؟

ألا ينشأ عن ذلك آلام وأوجاع مستمرة للجسد تفوق مصلحة بقاء هذا العضو؟؟!

ألا يكون هذا الجسد هو المجتمع كله؟؟!

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **﴿مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى﴾**[1].

إن الإسلام قبل أن يستأصل هذا العضو الذي يمثل أداة الجريمة، ويقرر العقوبة باستئصاله؛ قد أعذر إليهم بأن قدّم لهم من وسائل التربية والوقاية ما كان يكفي لإبعادهم عن هذه الجريمة، ثم إنه لا يطبقها أبداً حتى يضمن أن الفرد الذي ارتكب هذه الجريمة قد ارتكبها دون اضطرار، فوقوعه فيها بعد كل هذا يعتبر دليل على إصراره وشذوذه، واستحقاقه لهذه العقوبة.

فهو لا يقطع يد السارق إلا بعد توفير الوسائل التي تمنع من السرقة، حيث عمل على توزيع الثروة توزيعاً عادلاً، وأوجب النفقة على الفقراء والمحتاجين بفرض الزكاة والحث على الصدقات، ناهيك عن الأمر بإكرام الضيف والإحسان إلى الجار، وجعل الدولة مسؤولة عن كفالة أفرادها بالحاجات الضرورية من طعام ومسكن وغيرها، بحيث يعيشون حياة كريمة.

(١) متفق عليه.

كما أن الإسلام يعترف بقوة الدافع الجنسي وعنف إلحاحه على البشر، ولكنه يعمل على إشباع هذا الدافع بالطريق المشروع؛ طريق الزواج، فيدعو إلى الزواج المبكر، ويعين على إتمامه من بيت المال إن لزم الأمر، ويحرص كذلك على تنظيف المجتمع من كل وسائل الإغراء التي تثير الشهوة حتى يقع في جريمة الزنى، وبذلك كله يمنع الدوافع التي تبرر وقوع هذه الجريمة.

ومع ذلك، فهو لا يبادر بإيقاع العقوبة على مرتكبها، فلا يقيمها إلا على من أقرّ بهذه الجريمة إقراراً صريحاً أربع مرات، وطلب تطهيره بالحدّ، ولم يتراجع عن إقراره حتى تنفيذ الحدّ عليه، أو يكون قد تبجّح بارتكابها، حتى ليراه أربعة شهود وهو على هذه الحال !!

وهكذا شأن الإسلام في بقية العقوبات، يعمل على وقاية المجتمع أولاً من دوافع الجريمة، ثم يدرأ الحدود بالشبهات زيادة في الاحتياط.

أن الغاية الكبرى من هذه العقوبات هو التخويف والردع الذي يمنع وقوع الجريمة ابتداء، وقد أساء هؤلاء الذين يعترضون على هذه العقوبات الفهم، إنهم يتصورون أنها كالعقوبات الوضعية، وأنها ستطبق كل يوم وكل ساعة على أعداد كثيرة من الناس!!

هذا يجُلد ويصيح ويبكي!!

وهذا تُقطع يده بلا سبب!

وهذا تُقطع رجله بلا سبب!

وهذا يجُلد ويتورّم ظهره!

وذاك يُرجم ويسيل دمه!!

دماء هنا ودماء هناك!!

أشلاء تملأ الساحات والأماكن العامة!!

أجساد مبعثرة، وحالة من الرعب!!

إنهم يتصورون في المجتمع الإسلامي مجزرة هائلة !!؟؟

ولكن الواقع أن هذه العقوبات الرادعة لا تكاد تنفّذ إلا في نطاق محدود، وعلى أعداد قليلة محترفة وغارقة في ارتكاب الجريمة، إنها حالات متأصلة في الشرّ وإيذاء المجتمع، وزعزعة الأمن والاستقرار فيه، ونشر الفوضى على نطاق واسع.

إن كل دارس للشريعة الإسلامية، يدرك أن ما قد يبدو من القسوة في تنفيذ العقوبات فيها لا يعدو أن يكون قسوة تلويح وتهديد، فهو أسلوب تربوي

وقائي أكثر من أن يكون عملاً انتقامياً، لقد أعلنت أحكام الشريعة الإسلامية أن (الحدود تُدرأ بالشبهات)، وهي قاعدة فقهية كبرى، أجمع على الأخذ بها جماهير الأئمة والفقهاء، ومعنى هذه القاعدة: أي دراسة الظرف الذي تمّت فيه الجريمة، وربما تسقط العقوبة ويُلغى تنفيذها، وعلى الحاكم أن يستعيض عنه بما يراه من أنواع العقوبات التعزيرية الأخرى، وإذا تأملنا ذلك، نجد أن هذه الاحتمالات كثيرة متنوعة لا تكاد تتناهى.





الزنا حرية شخصية!!

يقصدون بذلك ممارسة الزنا دون عنف، ويسمّونه (العلاقة الجنسية الرضائية)، وأنها تدخل في صميم الحرية الفردية، شرط أن لا يتم نقلها إلى مكان عام!! وبهذا لا ينبغي ما يوجب عقوبة في القانون على من يمارس علاقة جنسية متسترة خارج إطار الزواج!! وهذا اتجاه جدير بالتأييد، وهو موقف حقوقي متميز لأنه ينسجم مع تعزيز الحريات الفردية ما دامت لا تمس بالآخرين، لأن الفقه الإسلامي نفسه لا يعاقب عن الزنى إلا إذا ارتكب بصفة علنية، وذلك بشهادة أربعة رجال أو بالإقرار، أو بظهور الحمل مع انتفاء دعوى الغصب والإكراه، وهذا معناه في الواقع استحالة إثبات الجريمة!!

ثم يقولون: إن الزنا برضاء الطرفين حرية شخصية، وإقامة الحد في هذه الحال مصادرة لهذه الحرية التي يجب أن تُصان، كما أن حدّ الزنا فيه إهدار لآدمية مرتكب هذا العمل وإيذاء له، وهذا لم يعد مقبولاً في العصر الحديث!!

وللرد على هذه الشبهة:

إن الاحتجاج بالحرية الشخصية إذا وقع الزنا برضا الطرفين، فإنه قول متهافت مردود؛ لأن الإنسان ليس حراً في فعل ما يضرّه أو يضرّ غيره، وقد ثبت بالشرع والعقل والحسّ أن الزنا فعل قبيح تأباه النفوس والفطرة السليمة لو قاسه كل طرف على نفسه، وأنّ له أضراراً كثيرة على الرجل والمرأة، وإثارة الكراهية والأحقاد في الأسرة والمجتمعات، وعليه؛ فإن وقوع الزنا بالتراضي لا يبيح هذا الفعل القبيح، ولا يزيل أضراره وآثاره السيئة، فوجب معاقبة فاعله، وهذا العقاب موجود في جميع الشرائع والأديان السماوية وغير السماوية على مرّ العصور.

وأما القول بقسوة هذه العقوبة وإهدارها لآدمية الزاني بجلده أو رجمه؛ فالجواب: أن الزاني هو الذي أهان نفسه لذلك، وعرّضها للإذلال والإهدار، فإنه لو لم يفعل هذه الفاحشة المنكرة لبقي محترماً عزيز الكرامة، حرمته مصونة ودمه معصوم.

لقد أعلنت الشريعة أن عقوبة الزاني المحصن هي الرجم، يوضع في حفرة وتلقى عليه الحجارة شيئا فشيئا فيموت موتا بطيئا مع كثير من الألم والأوجاع.

فكما تلذذ جسمه كله بالحرام.

وجب أن يذوق جسمه كله مرارة الحسرة والألم!

وهذا إعلان مخيف، إنه تلويح بسلاح رهيب فاضح !

ولكن أحكام الشرع اشترطت لإيقاع هذه العقوبة أحد أمرين:

إما أن يعترف مرتكب هذه الجريمة اعترافا قاطعا صريحا.

أو شهادة أربعة شهود برؤية الفعل على حقيقته.

فأما الإقرار: فشيء نادر، وعندما يقع هذا الشيء النادر؛ فإن على القاضي أن يبادر الزاني قبل أن يدلي بالاعتراف القاطع الصريح، وأن ينصحه بالتوبة والستر.

وأما الشهادة: هذا يتطلب أربعه شهود، وأن وجود ثلاثة شهود فإنهم يُعدّون آثمين متلبسين بجريمة القذف، وتنقلب شهاداتهم عليهم وتغدو سبباً لإنزال العقوبة بهم ثمانين جلدة، ردعاً للشاهد وزجراً له عن إدلائه بالشهادة؛ كي يظل المتهم بالزنى في حماية من الستر ونجاة من العقاب.

فإذا ما تكامل عدد الشهود إلى أربعة؛ فإن العقوبة حينئذ تتحقق، وعندها يستحق الزاني هذه العقوبة بامتياز، لأنه لم يقترف جريمته هذه بحيث يراه متلبساً بها أربعة من الرجال الثقات العدول، إلا وهو متبجّح غير مكترث

وغير مبالٍ كالبهائم، مستخف بعمله أمام الناس، مستهينٌ بهذا الأمر وبكرامة الأمة وسمعة المجتمع، وهذا التصرف من شأنه أن ينشر هذا العمل القبيح في المجتمع الآمن كما تنتشر النار في الهشيم.





الردّة عن الإسلام حريّة شخصية !!

الردة عن الإسلام، تُعدّ من أكثر القضايا المثيرة للجدل في العصر الحاضر، حيث تدعو بعض التيارات إلى ضرورة أن يكون الخروج عن الإسلام في إطار الحرية الشخصية، خاصة وأن الإسلام يدعو إلى عدم إجبار الناس على الدخول فيه، لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(١). وهؤلاء يسعون إلى تعطيل حدّ الردة الذي وضعه الإسلام وهو القتل بعد استتابة المرتد وإمهاله ثلاثة أيام.

وكان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر قد أصدر قرارا بالسماح للمرتد بأن يتوب طوال حياته، والتغاضي عن استتابته خلال ثلاثة أيام كما ذهب إلى ذلك جمهور الفقهاء، بما يعنى عمليا إلغاء حدّ الردة، وقد وصف بعض العلماء هذا القرار بأنه يشجع المسلمين على الارتداد والخروج عن دين الله؛ وهذا الرأي ينسجم مع الظروف الدولية التي يواجهها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، ويُعَدّ بمثابة ردّ عملي على الهجوم الشرس الذي يتعرض له الإسلام على يد الغربيين، ووصفه بأنه دين الإرهاب، وأنه ضد الحضارة.

---

(١) [البقرة: ٢٥٦].

والعلماء أجمعوا على أن الردة جريمة في حق الله ورسوله والمسلمين، وأن هذه الجريمة لها عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة، بيّنها القرآن كما بيّنتها السنّة النبوية، وأن تنفيذ العقوبة على تلك الجريمة أمر واجب على الأمة كلها وفريضة شرعية، وأن الردة لا تدخل بحال من الأحوال تحت حرية الفكر أو حرية الاعتقاد، فالإسلام بداية لا يُكره أحداً على اعتناقه، وله أن يظل على دينه، أو يعتنق الإسلام إذا شاء، لكن من اعتنق الإسلام ليس من حقه الارتداد عنه؛ حتى لا يتحول الدين الى فوضى لمن يدخل ومن يخرج.

جاء في صحيح البخاري، عن عكرمة، قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ بدّلَ دِينَهُ فاقتُلوه)**.

قالوا: إن هذه العقوبة القاسية مصادمة لمبدأ عدم الإكراه في الدين، والذي قرره الله في أكثر من آية في كتابه.

كقوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[1].

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[2].

(١) [البقرة: ٢٥٦].

(٢) [يونس: ٩٩].

وهي كذلك مصادمة للحرية الشخصية في اختيار الدين الذي يراه الإنسان، كما أنها قد تكون سببا لانتشار النفاق في صفوف الأفراد في المجتمعات الإسلامية!

وللرد على هذا القول:

قولهم بأن حدّ الردة مصادم لما قرره القرآن من مبدأ عدم الإكراه في الدين فإنه غير صحيح، نتج عن سوء فهم النصوص القرآنية والأحاديث عن قصد أو غير قصد؛ لأن الإكراه المنفي في الآيتين إنما هو الإكراه على الدخول في الإسلام ابتداءً، فالإسلام يريد ممن يدخل فيه أن يدخله عن قناعة ورغبة واختيار، وإدراك لحقائقه وميزاته، وأنه الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وجعله مهيمناً على الأديان كلها، ولن يقبل من أحد ديناً سواه، فإذا دخل فيه فليس له من بعد أن يتراجع عنه، فالأمر لا يحتمل التلاعب، بحيث يدخل متى شاء ويخرج متى شاء، ومن كان هذا حاله، فجدير به أن يُقتل ويُستأصل.

وأما ادعاؤهم بأنها مصادمة للحرية الشخصية بما يراه الإنسان. فالجواب: أن الحرية الشخصية مقيّدة بعدم الإضرار بالنفس أو بالغير، والردّة تُلحق بصاحبها وبالمجتمع المسلم أشد الضرر، بها يحبط عمل المرتد، ويخسر الدنيا والآخرة، وبها يحصل الطعن في عقيدة الأمة ونظامها الذي تقوم عليه جميع شؤونها، كما أن عقوبة الردة لا تتنافى مع الحرية الشخصية في اختيار

العقيدة التي يرتضيها الإنسان؛ لأن حرية العقيدة توجب أن يكون الإنسان مؤمناً ذو عقل ومنطق سليم.

ومن أين يكون المنطق والعقل السليم، لمن يخرج من ديانة التوحيد إلى الوثنية؟

لا يفعل ذلك أحد، إنما يخرج من هذا الدين القويم إتباعاً للهوى، أو جنوحاً إلى المادة يطلبها، أو بحثا عن الشهوات والغرائز المنحرفة، أو كيداً للإسلام وطعناً فيه، واتخاذ الأديان هزواً ولعباً وعبثاً.

وأما إدعاؤهم بأن عقوبة الردة تؤدي إلى انتشار النفاق في صفوف المسلمين؛ لأن المرتد إذا علم أنه سيُقتل أخفى على الناس كفرَه، فإن الحقيقة غير هذا، لأن عقوبة المرتد من أكبر العوامل المانعة من النفاق؛ ذلك أن مَنْ يكثر منهم الارتداد هم الدّخلاء لهوى أو طمع دنيوي، أو رغبة في التجسس على المسلمين لحساب دول أخرى، فهم لم يدخلوه عن رغبة واقتناع، وإنما دخلوه لتحقيق حاجة في نفوسهم، فهم منافقون منذ دخولهم فيه، عازمون على الارتداد عنه عند قضاء حاجتهم، فإذا علموا أن الموت ينتظرهم إذا ارتدوا؛ امتنعوا من الدخول في الإسلام ابتداء.





تقطيع الأطراف بشاعة !!

وهذا يكون في حدّ الحِرابةُ، وتُسمّى قطعَ الطريقِ، وهي: التعرّضُ للنّاسِ بالسّلاحِ لإخافتِهم ونشر الرعب في نفوسهم، أو الاعتداءِ عليهم بالضرب والقتل، أو الاعتداء على أعراضِهم بالاغتصاب، أو نهب أموالهم أو سرقة سياراتهم، سواءٌ كان ذلك في الصّحراء، أو الطرق السريعة بين المدن، أو في الأسواق الخالية.

قالوا: إن العقوبة بتقطيع الأطراف بسبب ارتكاب هذه الجريمة بشاعة، وفيها إضرار بالمجتمع، وذلك بإشاعة البطالة فيه، وتعطيل بعض الطاقات البشرية التي كانت تُسهم في العمل والإنتاج، وتكثير المشوّهين والمقطّعين الذين أصبحوا عالة على المجتمع بسبب عجزهم عن العمل، فيجب أن يُستعاض عن هذه العقوبة بالحبس!!

وللرد على هذا الادعاء:

هذا الزعم هو مغالطة صريحة وقلب للحقائق، وينقصه الإنصاف والنظر الصحيح، ذلك أن ترك اللصوص وقادة العصابات الإجرامية يسرحون

ويمرحون في البلاد دون عقوبة رادعة؛ هذا يجعلهم يعيشون في الأرض خرابا وتخريبا، ويهددون أمن الأفراد والمجتمع، ويهتكون الأعراض المستورة، ويقطعون على الناس طرقهم وكسبهم، ويعطلون مصالحهم، ويخيفونهم في مدنهم وقراهم، ويفجعون النساء والأطفال.

كما أن ذلك يدعو هؤلاء إلى البطالة والقعود عن العمل؛ كما أن العاملين المجتهدين سينقبضون وينتظمون إلى الكسالى العاطلين؛ ما دامت أموالهم مهددة بالاستلاب والضياع، ومعنى ذلك أن السارق لا يسرق المال فقط، وإنما يسرق معه أمن المجتمع واستقراره، فكان في التساهل مع هؤلاء اللصوص المحاربين خراب كل شيء، وشلّ قدرات الإنسان.

كما أن السرقة تتبعها في الغالب أقسى الجرائم من القتل وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض الآمنة وهتك الحرمات المستورة، ناهيك أن هذه العصابات من اللصوص يتسلحون دائماً بشتى أنواع الأسلحة، لقتل أو جرح كل من يقف في طريقهم، ولا يكاد يمرّ يوم واحد في المدن الكبرى دون ارتكاب جريمة من هذه الجرائم.

إن من يظن بأن تطبيق هذه العقوبات يجعل من الساحات العامة في البلاد الإسلامية ساحة حرب، أو مجزرة تملؤها الأشلاء البشرية، يكفي أن يعلم أن حدّ السرقة لم ينفذ إلا ست مرات فقط في أربعمائة سنة، لنعرف أنها عقوبات

رادعة جدا يُقصد بها التخويف الذي يمنع وقوعها ابتداء.

وأما دعوة هؤلاء المنظّرين إلى الاستعاضة عن القطع بالحبس كما هو الحال في القوانين الوضعية، فقد شهد واقع الدول التي تطبق عقوبة الحبس على إخفاق هذه العقوبة في ردع المجرمين واستصلاحهم، وأن زيارة واحدة إلى هذه السجون يرينا أن عدد النزلاء في ازدياد مطّرد دائم، بل أصبح السجن مدرسة يتعلم فيها المجرمون كثيراً من فنون السرقة وأساليبها، ثم يخرجون بعد ذلك متمرّسون ومحترفون، وأكثر خطورة وخبرة في أساليب الإجرام، وكسب أعضاء جدد في عصابات الإجرام، بل جعلوا من السجن قبوا لرسم الخطط وتقاسم المهمات، يشاركهم أعضاء آخرون خارج القضبان.

أما تطبيق الحدّ الشرعي، فإنه بمثابة إعلان بالخط العريض، ووصمة عار يحملها المجرم حيثما كان، معلناً دناءته وخسّته، فيرتدع بذلك كل من رآه أو سمع به، ويرتدع أيضا المجرمون وأهل المطامع والأهواء، وهذا هو السر في نجاح هذه العقوبة في القضاء على الجريمة في البلاد التي طُبّقت فيها قديماً وحديثاً.

أما كون هذه العقوبة تشوّه أو تعطل هذه القلة القليلة من المجرمين؛ فليكن ذلك، لأن هذا هو اختيارهم لأنفسهم على ما اقترفته أيديهم من إجرام، وهو أمر لا بدّ منه لحماية أمن الجماعة وتحقيق الطمأنينة للجميع.

ويا ليت هؤلاء المنظّرين يقارنون بين عدد الضحايا المعاقين حركيا، والمقتولين والمشوّهين الذين جنت عليهم عصابات اللصوص والمجرمين، وبين من تُطبّق عليهم حدود القطع ممن يرتكبون هذه الجرائم لكف عدوانهم وقطع شرهم، لوجدوا أنهم أقلّ بكثير من الحالة الهستيرية التي يتوقعونها.



شرب الخمر حريّة شخصيّة !!

الخلاف حول الحريات الشخصية مستمر منذ عقود كثيرة، ودعاة هذه الحريات تبرر أن للإنسان أي تصرف لا يتعارض مع حرية الآخرين؛ مهما كان تصرفاً شاذاً أو غير أخلاقي !! ولكنهم مع ذلك يناقضون أنفسهم؛ حيث إنهم يضعون القوانين التي تقيّد الحريات الفردية بطريقةٍ ما !! مثلاً في أمريكا وأوروبا هناك عقوبات على تعدد الزوجات رغم أن الزنى مباح عندهم !!

مثال آخر: نجد في الغرب عقوبات بالسجن على من يقترف زنى المحارم، مع أن هذا يخالف دعواهم التي يدّعونها بأن هذا الزنى من الحريات الشخصية!!

مثال ثالث: نجد أن حرية التعبير مكفولة عندهم، ولكن من يتطرق إلى موضوع المحرقة اليهودية بالرفض أو التشكيك يعرّض نفسه لعقوبة السجن والفصل من الوظيفة! ونفس الامر بالنسبة للأفكار العنصرية كالنازية والفاشية!! مع أن ذلك كله من الحريات الشخصية!؟

ولكن المشكلة الحقيقية ليست في الحرية الفردية نفسها، بل إن خلافنا مع

خصوم الاسلام هو حول الحريات الفردية التي تتعارض مع الأحكام الشرعية، وفق المنطلقات الدينية، مثل تناول المخدرات والخمور والدعارة والزنى، ونشر الأغاني في الأماكن العامة، والارتداد عن الدين وغيرها.

لا يمكن أن يزعم شخص ما أنّ شرب الإنسان للخمر هو موضوع حرية شخصية، بدعوى أن من يشرب الخمر إنما يضرّ نفسه فقط، ومن يقترف الزنى إنما يؤثر على نفسه وأخلاقياته وحده، فحقيقة الأمر أن من يشرب الخمر أو يمارس الدعارة إنما يريد أن يقول لكل الناس: اختاروا مثلما اخترنا، فنحن لا يمكن أن نختار الشرّ لأنفسنا، بل هو خير، ومن ثَمّ فهو خير لكل الناس!!

إن ما أكدت عليه الشريعة الإسلامية أن حدود الحرية الشخصية تتوقف عند تعارضها معها وليس مع أشخاص آخرين مهما كانوا، فمن يشرب الخمر، ومن يتناول المخدرات، ومن يمارس الدعارة، ومن يرتدّ عن الدين، إنما يريد من الإنسانية كلها أن تفعل ما يفعله! ومن هنا ظهرت الحاجة الحقيقية لوجود تشريعات دينية تمنع الحريات الشخصية، وتمنع ما يتعارض منها مع الإسلام لكي لا تكون السلوكيات المنحرفة شائعة في المجتمع، وعاملة على إفساده، ونشر قيم الرذيلة والانحطاط فيه.

وقد زعم بعض هؤلاء المنظّرين بأن تنفيذ عقوبة شرب الخمر فيها انتهاك صارخ لحرية الإنسان الشخصية، وتدخّل في خصوصياته، فضلاً عن ما فيه

من الغلظة والقسوة التي يأباها عالمنا المتحضر اليوم!!

والجواب على هذه الشبهة:

عقوبة شارب الخمر حكم ثابت في الشريعة الإسلامية لا يحلّ لأحد تعطيله، سواء علمنا الحكمة منه أم لم نعلم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[١].

وعن أنس بن مالك قال: **(إنّ نبيّ الله ﷺ جلد في الخمر بالجريد والنعال، ثم جلد أبو بكر أربعين، فلما كان عمر وَدَنَا الناس من الريف والقرى قال: ما ترون في جلد الخمر؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أرى أن تجعلها كأخف الحدود، قال: فجلد عمر ثمانين)**[٢].

كما أن الإنسان في الشريعة الإسلامية ليس له الحرية المطلقة في مأكله ومشربه، بل هنالك ما هو ممنوع من تناوله لسبب من الأسباب كالضرر والقذارة ونحوهما.

---

(١) [المائدة: ٩٠-٩١].

(٢) أخرجه مسلم والترمذي وأخرجه البخاري.

اهتم الشارع بالحفاظ على سلامة العقل البشري، والخمر من أخطر الوسائل المؤدية إلى تغييبه أو إتلافه، كما أن الخمر تضع متعاطيها في وضع حقير مهين كالحيوان، فتُخرجه عن وقاره وعن بشريته في بعض الأحيان، وتحدث تغييرًا ضارًا في نفسية الإنسان، وتولّد فيه الشعور بالنقص والاحتقار والاضطراب النفسي.

وهي أيضا إسراف للمال فيما يضر ولا ينفع، يكلف الفرد والدول الخسائر الفادحة، فقد ذكرت بعض التقارير التي نشرت عام ١٩٨٠م أن فرنساتخسر على الخمور في العام الواحد ما يزيد عن سبعة مليارات دولار، وأن الولايات المتحدة الأمريكيةتخسر ما يزيد عن ثلاثين مليار دولار سنويًا، كما أنها تلهي الإنسان عن عمله وتشغلُه عما ينفعه، وإنها تحوّل الإنسان إلى شخص أناني ينفق ماله على ملذاته وشهواته، ويترك زوجته وأولاده دون رعاية واهتمام، فمن ذلك نعلم لماذا جاء الشرع بتحريم الخمر وترتيب العقوبة على ذلك.





حدّ القذف لا يصلح لزماننا؟؟!!

والقذف في الأصل: هو الرمي، والمراد به هنا رمي شخص بالزنا، أو اللواط، فيقول: يا زانٍ، يا لوطي، أو أنت زانٍ، أو أنت لوطي، وما أشبه ذلك.

وحكم القذف محرم، بل من كبائر الذنوب إذا كان المقذوف بريئا محصناً، والحكمة من تحريمه صيانة أعراض الناس عن الانتهاك، وحماية سمعتهم عن التدنيس، وهذا من أعظم الأحكام؛ لأن الناس لو سُلّط بعضهم على بعض في التدنيس، والسب، والشتم حصلت عداوات، وبغضاء، وربما قتْل ودماء وشجارات شخصية وعائلية، لكن حفظاً لأعراض الناس وحماية لها، ولسمعة المسلمين جاء الشرع محرّماً للقذف، وموجباً للعقوبة الدنيوية فيه، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

فرتّب على ذلك أمرين عظيمين:

الأول: اللعنة في الدنيا والآخرة.

---

(١) [النور: ٢٣].

الثاني: العذاب العظيم.

وزعم بعضهم أن هذا الحدّ؛ وهو حدّ القذف وهو الجلد ثمانين جلدة شديد قاسي لا يصلح لزماننا هذا.

والجواب على هذا الادعاء:

أنّ حدّ القذف حُكْمٌ ثابت في الشريعة الإسلامية، لا يحلّ لأحد تعطيله سواء علمنا الحكمة منه أم لم نعلم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

كما أن حدّ القذف يردّ للمجني عليه اعتباره، ويعيد عليه كرامته، وفيه وقاية أعراض الناس ومنع إلصاق التهم بهم وتشويه سمعتهم، كما أن ترك إقامة الحدّ يجرّئ السفهاء على اتهام الشرفاء، مما ينشر الفوضى ويزرع في المجتمع بذور الحقد والبغضاء والكراهية بين الناس، وربما أفضى بالمجني عليه إلى الانتقام بالقتل أو غيره حتى يسترد كرامته.

---

(١) [النور: ٤-٥].

وبما أن القاذف حين يقذف أخاه المسلم فإنه يؤلمه إيلامًا نفسيًا، فكان من المناسب إيلام القاذف بدنيًا ونفسيًا، ولمّا كان القاذف يريد بقذفه تحقير المقذوف كان جزاؤه أن يحقَّر من الجماعة كلها، وذلك بإسقاط عدالته؛ فلا تقبل له شهادة.

إن الإسلام يسدّ جميع الأبواب المفضية إلى الزنا ويعالجها بشتى الطرق، فالرمي بالزنا وكثرة سماعه قد يهوّنه في النفوس مما يُغري به، أما إذا كانت هذه الكلمة نادرة الذكر في المجتمع فإنها تبقى مرهوبةٌ لدى الناس، مستبشعٌ الوقوع فيها، وبذلك نحافظ على نزاهة المجتمع وطهارته.





إنّ التركيبة العقلية للملحد تركيبة جامدة قائمة على رفضٍ مطلق معاند مكابر لكلّ ما وراء الطبيعة، في الحقيقة، إنّ التركيبة العقليّة للملحد أبعد ما تكون عن الإنصاف، وهي في حقيقتها لا تستخدم المنهج السويّ في التفكير، فضلاً عن المراء والجدال في البديهيات والمسلّمات التي لا تحتاج لنقاشٍ من الأصل.

وإنّ كانت كلّ هذه الآيات والخوارق الكونيّة التي تفرض على العقل البشري وجود خالق مدبّر لهذا الكون ليس لها في منهجيته الفكرية قيمة ولا وزن!!؟

هكذا هم باستمرار! ينكرون! ينفون! يدّعون! يثيرون الشبهات!

إن كان هكذا، فهل سيخضع الملحد أو المستشرق أمام نصّ قرآني متوافق مع العلم الحديث؟!

ينكرون إعجاز القرآن العلمي في إخباره عن رتق السماوات والأرض وفتقهما!؟

نفي الإعجاز العلمي للقرآن في إخباره عن تمدُّد الكون واتساعه!

يدّعون خطأ القرآن في وصفه السماء بالبناء!

يدّعون تناقض قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ مع الحقائق العلمية الفلكية!

ينفون الإعجاز العلمي في إخبار القرآن الكريم عن وصف العروج في السماء والظلمة الكونية.

تخطئة القرآن في وصفه السماء بالسقف المحفوظ.

نفي الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

إنكار الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾.

دعوى تناقض القرآن الكريم في تحديده مقدار يوم العروج في السماء.

نفي إعجاز القرآن العلمي في إخباره عن ضيق صدر من يتصعّد في السماء.

دعوى أن قوله تعالى: ﴿لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ يفيد عدم قدرة الإنسان على غزو الفضاء.

دعوى خطأ القرآن العلمي في وصفه النيازك بأنها نحاس.

إنكار إعجاز القرآن العلمي في قسمه بمواقع النجوم.

نفي الإعجاز العلمي عن القرآن في وصفه للنجوم.

دعوى عدم دقة القرآن في حديثه عن النجوم الطارقة الثاقبة.

نفي إعجاز القرآن العلمي في إخباره عن النجوم الخانسة الكانسة.

دعوى خطأ القرآن بشأن جريان الشمس ومستقرها.

توهم خطأ قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

الزعم باستهزاء أن القرآن يثبت غروب الشمس في عين ماء وطين.

نفي إعجاز القرآن العلمي في حديثه عن منازل القمر.

دعوى خطأ القرآن العلمي في وصفه الشمس بالضياء والقمر بالنور.

دعوى جهل النبي ﷺ بماهيّة الكسوف والخسوف.

نفي الإعجاز العلمي عن قوله تعالى: ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾.

دعوى خطأ القرآن العلمي في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.



قوامة الرجل على المرأة تسلط وقهر!!

كثيرونَ من المُلحِدين والمُستشْرقين يُرَوِّجون لفكرة المساواة بين الرجل والمرأة، ويُثيرون الشُّبهات حول النُّصوص الشَّرعية فيما يتعلَّق بهذه القضيّة، ومن ذلك: المُطالبة بإلغاء قوامة الرَّجل على المرأة بحجَّة أنَّ ذلك تَّسلُّط وقهر، كما أنها تقييد لحريَّة المرأة وسلب لحقوقها، وإهانة لكرامتها!!

يقولون: القوامة سبب للقدح في عقل المرأة وحُسن تدبيرها، وما ذلك إلَّا مخلَّفات عهدِ استعبادِ النِّساء، وأن تفرُّد الرَّجل بالسُّلطة لم يعد مقبولًا في زمانٍ استعادت فيه المرأة مكانتها الاجتماعيَّة!!

الرد على هذه الشبهة:

إن تفسير القِوَامَة لا بدَّ أن يُفهم على حسب ما تقتضيه مناهج البحث العلمي في ضوء الكتاب والسُّنَّة؛ لا البحث المبنيِّ على أهواء النُّفوس المسعورة المولعة بمهاجمة الإسلام والنَّيل منه.

كما أنَّ هذه الشُّبه صادرة عن محرّضين يريدون الإساءة، لا سيَّما إذا علمنا جهل أولئك القوم بمعنى القوامة، وشروطها وضوابطها في الشَّريعة

الإسلاميَّة، وكذلك إذا استحضرنا سوء نيَّتهم وعداءهم لهذا الفكر وأهله.

فالقوامة في الشَّريعة الإسلاميَّة ليست تسلُّطًا ولا قهرًا، وليست سلبًا لحقوق المرأة، أو حطًّا من كرامتها، بل هي تكليفٌ للرجل لا تشريف، ومسؤوليَّة وقيادة، وليست تعسُّفًا واستبدادًا، بل هي تشريف للمرأة، ولهذا حرَّم الإسلام على غير المسلم أن يتزوَّج المسلمة؛ كيلا تتحقَّق فيها قوامته عليها، وهي أفضل منه؛ حيث قال تعالى :﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[1]. وأيُّ سبيلٍ أعظم من القوامة وحقِّ الطَّاعة؟!

وجاء اللَّفظ القرآني: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[2]، ولم يقل: (الذُّكور قوَّامون على الإناث)؛ لأنَّه ليس كلُّ ذَكَرٍ قائمًا على الأُنثى، فقد يكون الذَّكر طفلًا ناقِصَ الأهليَّة، لا يملك حقَّ القوامة على نفسه؛ فضلًا عن غيره، ولا يستطيع القيام على شؤونه، فكيف يكون قوَّامًا على المرأة؟ بل تكون المرأة والحالة هذه هي الوصيَّةَ على الذَّكر؟؟!

فالإسلام منح المرأة الحريَّة، ولكنَّها الحريَّة المقيَّدة، وإلَّا أصبحت فوضويَّة، فجعل لها ابتداءً حريَّة الاعتقاد، ثم حريَّة التصرُّف في مالها الخاص دون حق لأحد التدخل فيه، ومنَحَها حريَّة اختيار الزَّوج، فليس لأحدٍ أن يُجبرها على

---

(١) [النساء: ١٤١].

(٢) [النساء: ٣٤].

الزَّواج بمَنْ لا تريد، واعتراف بقدرتها على استيعاب الخطاب الشَّرعي وفهمه، وأحكامُ المرأة في الإسلام دليلٌ واضح على هذا التَّكريم وهذا التَّشريف.

فالقوامة لا تتعارض مع حريَّة المرأة وكرامتها، أمَّا الزَّعم بأنَّها تحدُّ من حريَّة المرأة وتُعارض كرامتها، فهو زعم مردود بنصِّ الشَّرع، فالنَّبِيُّ ﷺ عندما وزَّع الأدوار وحدَّد المسؤوليَّات، قال: **(الرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ)**[1]، فهذا النَّص يُوَضِّحُ لنا مسؤوليَّة مشتركة بين الرَّجل والمرأة نحو الكيان الأُسري، فالرَّجل له دور لا غِنى للأسرة عنه، والمرأة لها دور لا غنى للأسرةٍ عنه أيضًا، ولا يمكن لأحدٍ منهما أن يحلَّ محلَّ الآخر، كلٌّ حسب طبيعته وقدرته.

والتَّكليف شرطه القدرة العقليَّة والجسديَّة؛ ففي تكليف المرأة عمومًا ومطالبتها بمسؤوليَّاتها اعتراف بقدراتها العقليَّة والجسميَّة، على عكس ما يدَّعون؛ لا سبيل للرَّجل إلى اقتحامه، والأمر فيه للمرأة وليس للرَّجل، كمتابعة الفتيات وتطوراتهنَّ النَّفسيَّة والجسديَّة ورعايتهنَّ في هذه السِّنِّ الخطرة، كلُّ هذا يدعونا إلى القول بأنَّ القوامة في الإسلام هي توزيع للأدوار بما يحفظ للأسرة استقرارها ونجاحها في الحياة، بما يتناسب مع كلِّ فردٍ من أفرادها.

---

(١) متفق عليه.

وإذا كانت دعوة المرأة الغربيَّة لإلغاء قوامة الرَّجل لها ما يبرِّرها؛ لأنَّ واقعها البئيس يُترجم ذلك، فهي تعمل وتكدح وتُنفق على نفسها دون أدنى مسؤوليَّةٍ على الرَّجل، على عكس علاقة الرَّجل بالمرأة في الإسلام، فإنها علاقة تكامليَّة لا تنافسيَّة، فليس بينهما عداء، وها هنَّ نساءُ الغرب يُعانين الويلات بسبب مطالبتهنَّ بالمساواة مع الرَّجل، وها هي امرأةٌ بريطانيَّةٌ مُطَلَّقة تُدعى (مانيس جاكسو) قد عَرَضت ابنها الوحيد للبيع بمبلغ ألف جنيه استرليني، شَمِلَت هذه الصفقة ملابسَ الطِّفل وألعابَه، لأنَّها لا تستطيع الإنفاق عليه.[1]

تقول الرِّوائيَّة الإنجليزيَّة الشَّهيرة (أجاثا كريستي): إنَّ المرأة الأوروبية مُغفَّلة؛ لأنَّ دورها في المجتمع يزداد سوءًا يومًا بعد يوم، فنحن النِّساء نتصرَّف تصرُّفًا أحمق؛ لأنَّنا بذلنا الجهد خلال السِّنين الماضية للحصول على حقِّ المساواة في العمل مع الرَّجل، والرِّجال ليسوا أغبياء، فقد شجَّعونا على ذلك مُعلنين أنَّه لا مانع مُطْلقًا من أن تعمل الزَّوجة، ومن المُحزن أنَّنا أثبتنا نحن النِّساء أنَّنا الجنس اللَّطيف الضَّعيف، ثم نعود لنتساوى اليوم في الجهد والعرق اللَّذين كانا من نصيب الرَّجل وحده.[2]

(١) انظر: صحيفة (الشرق الأوسط)، بتاريخ ١٥/ ٩/ ١٤٠٠هـ.

(٢) كتاب: (صور من تكريم الإسلام للمرأة)، لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص٣٠).

وتقول المحامية الفرنسيَّة (كريستين): سبعة أسابيع قَضَيْتُها في زيارة كلٍّ من بيروت ودمشق وعمَّان وبغداد، وها أنا أعود إلى باريس، فماذا وجدتُ؟ وجدتُ رجلًا يذهب إلى عمله في الصَّباح؛ يتعب ويشقى... يعمل حتى إذا كان المساء عاد إلى زوجته ومعه خبز، ومع الخبز حبٌّ وعطف، ورعايةٌ لها ولصغارها، الأُنثى في تلك البلاد لا عمل لها إلَّا تربية الجيل، والعناية بالرَّجل الذي تُحِبُّ، أو على الأقلِّ الرَّجل الذي كان قَدَرَها.

وتضيف: في الشَّرق تنام المرأة وتحلم وتحقِّق ما تريد، فالرَّجل وفَّر لها طعاما وراحةً ورفاهيةً، وفي بلادنا حيث ناضلت المرأة من أجل المساواة، فماذا حقَّقت؟ المرأة في غرب أوروبا سلعة، فالرَّجل يقول لها: انهضي لكسب طعامك، فأنتِ قد طلبتِ المساواة، ومع الكدِّ والتَّعب لكسب الطعام تنسى المرأةُ أُنوثتَها، وينسى الرَّجل شريكته، وتبقى الحياةُ بلا معنى[1].

فالظلم الذي تعيشه المرأة الغربيَّة حدِّث عنه ولا حرج، ومن ذلك ما جاء في تقارير عن العنف ضِدَّ المرأة الأمريكيَّة، أن:

(٧٩٪) من الرِّجال في أمريكا يضربون زوجاتهم ضربًا يؤدِّي إلى عاهة!

(١٧٪) منهنَّ تستدعي حالتهنَّ الدُّخول للعناية المركَّزة!

---

(١) كتاب: القوامة الزوجية (ص٣٩).

وحسب تقرير الوكالة المركزيَّة الأمريكيَّة للفحص والتَّحقيق أن هناك زوجة يضربها زوجها كلَّ (١٨) ثانية في أمريكا.

وكتبت صحيفة أمريكيَّة: أنَّ امرأةً من كلِّ (١٠) نساء يضربها زوجها، فردّت عليها صحيفة (Family Relation) أنَّ امرأة من كلِّ امرأتين يضربها زوجها وتتعرَّض للظُّلم والعدوان.

أمَّا في فرنسا: فهناك مليونا امرأةٍ معرَّضة للضَّرب سنويًّا، وتقول أمينةُ سرِّ الدَّولة لحقوق المرأة (ميشيل أندريه): حتى الحيوانات تُعامَل أحيانًا أفضل من النِّساء، فلو أنَّ رجلًا ضرب كلبًا في الشَّارع سيتقدَّم شخصٌ ما يشكوه لجمعيَّة الرِّفق بالحيوان، لكن لو ضرب رجل زوجته في الشَّارع فلن يتحرَّك أحد في فرنسا.

(٩٢٪) من عمليَّات الضَّرب تقع في المدن، و(٦٠٪) من الشَّكاوى اللَّيليَّة التي تتلقَّاها شرطة النَّجدة في باريس هي استغاثة من نساءٍ يُسيء أزواجُهنَّ معاملتهنَّ.

وفي أمستردام: اشترك في ندوة (٢٠٠) عضوا، يمثِّلون إحدى عشرة دولة، كان موضوع النَّدوة: (إساءة معاملة المرأة في العالم)، وأجمع المؤتمِرون: أنَّ المرأة مُضطهدة في جميع المجتمعات الدَّولية، وبعضُ الرِّجال يحرقون

زوجاتهم بالسَّجائر، ويُكَبِّلونهنَّ بالسَّلاسل.

وفي بريطانيا يفيد تقرير: أنَّ (٧٧٪) من الأزواج يضربون زوجاتهم دون أن يكون هناك سبب لذلك[1].

أنَّ القوامة الزَّوجية للرَّجل في الإسلام هي مشاركةٌ لا تفضيل، فأفضل النَّاس عند الله أتقاهم، وهي عطاءٌ وليست تسلُّطًا، مقيَّدةٌ وليست مُطْلقة، ومسؤوليَّةٌ من الرَّجل للحفاظَ على الأسرة، والكدُّ والتعب من أجل سعادتها، وليس فيها حطٌّ من شأن المرأة أو استهانةٌ بها، إنما هو العكس.

وأمَّا الشُّبه والافتراءات التي يُثيرها هؤلاء، إنَّما هي من العداوة والبغضاء المتأصِّلة في نفوسهم، وماتخُفي صدورهم أكبرُ، وقد اعترف كثير من نساء الغرب بأنَّ سعادة المرأة الحقيقيَّة إنَّما هي في بيتها، ووظيفتُها الحقيقيَّة هي رعاية أُسرتها، وقد كان من الحِكْمَة ألَّا ننساق وراء الشِّعارات الغربيَّة البرَّاقة التي تدعو إلى تحرُّر المرأة من هذه الوظيفة الأُسرية، بل ننظر إلى الحياة الواقعيَّة لتلك النِّسوة، وكيف أصبحنَ مِثْلَ السِّلعة؛ قيمتها في إنتاجها فقط.[2]

---

(١) مجلة (عربيات)، العدد (٧)، بتاريخ ١/ ١١/ ٢٠٠٠م.

(٢) أنظر مقال: (شبهات حول القوامة الزوجية) د. محمود بن أحمد الدوسري، موقع شبكة الألوكة ١٥/ ١١/ ٢٠٢١.

ولْنتأملْ في انتهاك الغرب لحقوق المرأة، والتَّعامل معها بأبشع صور العنف في بلاد التَّقدُّم والحريَّة، ومع ذلك كلِّه يتغافلون عمَّا يحدث في بلادهم من المصائب والبلايا تجاه المرأة والأسرة، ثم يُسلِّطون الأضواء على المرأة المسلمة بدعوى أنَّها مظلومة، ولا بدَّ من تَدَخُّلهم لإنقاذها، ومرادُهم بذلك: تشويه صورة المرأة المسلمة، ومن ثمّ إلصاق التُّهم بالإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾[1].



(١) [النساء: ٨٩].



حجاب المرأة رجعية وتخلف!!

الحجاب هو ستر جسم المرأة وزينتها عن أنظار الرجال، وضده التبرج الذي هو إظهار المرأة جمالها، وعلى هذا فالحجاب يقابل التبرج بجميع صوره، والتبرج متفق على تحريمه في كل المذاهب وأقوال أهل العلم.

لقد أثير في الآونة الأخيرة أن لبس الحجاب بمثابة حبس للمرأة، ومن علامات الرجعية والتخلف، وأن الله لم يخلق المرأة لتخفي جمالها، بل لتبديه وتظهره !!

المرأة في الإسلام جوهرة ثمينة، وحجابها يحفظها من شر الأشرار، وسترًا لجمالها من أن تكون سلعة رخيصة ينظرها القاصي والداني، وإننا لنجد أن المرأة كلما تكشفت كان ذلك سببًا في مضايقتها من الرجال عديمي الأخلاق، وما الحجاب إلا شرعاً شرعه الله في أديانه المنزلة، كما ورد في أسفار التوراة والإنجيل وتفسيراتها:

ففي الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين، عن رفقة[1]:أنها أخذت البرقع (غطاء الرأس والوجه) وتغطت لما رأت إسحق.

يقول القس (وليم مارش:) " كانت العروس تُزَفُّ على زوجها محجّبة الجسد كله".

وفي الإصحاح الثالث من سفر أشعيا: " نجد أن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن".

وجاء في رسالة (بولس الرسول): " المرأة إن كانت لا تُغطى رأسها فليُقصّ شعرها".

يقول (الآب أنطونيوس): " عدم تغطية المرأة لرأسها إعلان عن عدم اعتزازها بجنسها كامرأة".

وفى رسالة (بولس الرسول) إلى أهل (تيموثاس): " إن النساء يزيّنّ ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل".

يقول (الآب أنطونيوس): " ظنت السيدات أنهن تحررن من كل شيء، فخلعن غطاء الرأس، فثار الرجال وأرسلوا لبولس شكوى بخصوص هذا

---

(١) رفقة: كانت زوجة إسحق ووالدة يعقوب وعيسو، دفنا في مغارة الأولياء في الخليل، جنبًا إلى جنب مع إبراهيم وسارة ويعقوب وليئة.

الموضوع، وكان النساء الشريفات يغطين رؤوسهن في ذلك الوقت"[1].

وما دام غطاء الرأس والوجه قد ذُكرا في الأديان السابقة، وأن الأمر لا يختص بالإسلام، فِلمَ تدور الدوائر؟ ولا ننظر إلاّ إلى ما ذكره الإسلام؟؟!!

وبما أن شريعة الإسلام منعت الزنا، فقد منعت أيضا كل ما يُفضي إليه من تبرج وكشف للعورات، فالصراع قديم ومستمر بين ابن آدم والشيطان، فالشيطان يأتي الإنسان من مواطن الضعف ويوسوس له حتى يستجيب ويقع في الفخ القاتل، ومن أخطر ما يكون كشف العورات لأنها سبب كل بلاء، لما يترتب عليها من الأضرار الخطيرة وإثارة النفوس.



(١) موضوع: (شبهات وأقاويل حول الحجاب) الكاتب أسماء راشد الرويشد-٣٠/ ٦/ ١٤٢٤
https://www.cia.gov/library/abbottabad-compound



الحجاب صعب وشاق !!

يقولون: الدين يسر، ولبس الحجاب في هذا الزمن شيء صعب وشاق، خصوصًا في مجتمعات الانفتاح والتحضّر!!

وللرد على هؤلاء:

علينا أن نفهم بأن كل ما ثبت أنه تكليف من الله للعباد فهو داخل في مقدورهم وطاقتهم، وأن هذه التكاليف مهما كانت طبيعتها فإنها محتملة تتلاءم مع طاقة الإنسان العادية، قال تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ فإن كانت المشقة مشقة تعب، فمصالح الدنيا منوطة بالتعب ولا راحة لمن لا تعب له، بل على قدر التعب تكون الراحة.

وهناك عبادات عظيمة لا تنفك عنها المشقة عادة، كمشقة الوضوء في البرد، ومشقة الصوم في شدة الحر وطول النهار، ومشقة أعمال الحج، وقد فهم بعض السذج مدّعي الثقافة، أنه ما دامت أعراف الناس متطورة بتطور الزمان فلابد أن تكون الأحكام الشرعية متطورة بتطورها، وهذا ما يسمونه بالدين العصري!!

إن الاحتجاج بقاعدة (تبدل الأحكام بتبدّل الزمان)، وما دامت العادات والأعراف تتطوّر بتطوّر الزمان، فلا بدّ أن تكون الأحكام الشرعية كذلك، وقد أصبح الحجاب في هذا الزمان تخلفا، وصعبا وشاقا، وهو الآن غير حضاري!!

الجواب: لو كان هذا الكلام مقبولاً، لاقتضى أن يكون مصير شرعية الأحكام كلها رهنًا بيد عادات الناس ومزاجهم وأعرافهم، ولكن:

هل هذه الأعراف؟

لا يجوز أن يدخلها التبديل والتغيير!؟

مهما تبدلت الأزمان وتطورت العادات والأحوال!؟؟

أم أنها تتغير!؟

هل هذه الأعراف أصبحت أحكاما شرعية جديدة!؟

هل يمكن اعتبار الأعمال المخلّة بالمروءة والآداب؟

قوانين وأحكاما بديلة؟

وهي لا تتوافق مع العقل والفطرة الإنسانية!!

هذه الأمور ليست بحدّ ذاتها أحكامًا شرعية، فالأحكام المبنيّة على العرف والعادة هي وحدها التي تتغيّر وتتبدل، وهذا لا يُعدّ نسخًا للشريعة، لأن الحكم باق.

إن ما يدّعيه بعض دعاة التبرج والسفور بأنّ الحجاب تزمّت في الدين، وأن الدين يسر لا تزمّتَ فيه ولا تشدّد، وأن إباحة السفور مصلحةٌ تقتضيها مشقّة التزام الحجاب في عصرنا، فالجواب: إن تعاليم الدين الإسلامي وتكاليفَه الشرعية جميعها يسر لا عسرَ فيها، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]. فالله في تشريعاته لا يقصد أبدًا إعنات المكلَّفين أو تكليفهم بما لا تطيقه أنفسهم، فكلّ ما ثبت أنه تكليف من الله للعباد فهو داخلٌ في مقدورهم وطاقتهم.



(١) [البقرة:١٨٥].



قولها: أنا واثقة من نفسي وقصدي سليم!!

تقول السافرة: أهم شيء سلامة النية، أنا واثقة من نفسي وقصدي سليم من كل ما يقال عني في التبرج!!

وللرد عليها: إن التعلل بسلامة النية مبرر مَن تشبّع قلبها بالشهوات والأهواء، كما أن الحجاب عبادة وعليها أن تسمع وتطيع، بقطع النظر عن أي اعتبار آخر.

كما أن النية السليمة لا تبرر العمل المحرم وأن لا تقلبه إلى مباحً، فالعرب في الجاهلية كانت نيتهم في عبادتهم الأوثان نية حسنة، كما أخبر الله تعالى عن قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[1]. فلم تنفعهم هذه النية.

وإن كانت واثقة من نفسها كما تدّعى، فهي لا تأمن الفتنة الحاصلة لمن نظر إليها، وهذا يغلب على الظن وقوعه؟ فتحمِل وزره ووزر نفسها من حيث لا تشعر، وكانت معينة له على الحرام فتأثم.

(١) [الزمر:٣].

وهل للفتاة مبرر أن تبرز عارية أمام الرجال كلهم؟

ما دامت ليست في شك من قوة أخلاقها وصدق استقامتها ونواياها؟!

وإن كانت النوايا سليمة كما تدّعي، فإنه يُغتر ويتأثر بفعلها السفيهات وصغيرات السن، لاسيما إذا كانت في مقام القدوة كالأم والمعلمة.





أستحي من لبس العباءة!!

تقول السافرة: أستحي من لبس العباءة بصورتها المألوفة، من الرأس إلى الرجلين!!

وللرد عليها: هذه هزيمة من الداخل، تلجأ فيها المرأة إلى لبس ما يرغبه الناس ويحبونه، لا من حق ربها عليها، وهذا نوع من الرياء، وهو التجمل للناس بمظاهر لا يرضاها الله.

وقد يطلق بعض أنصار السفور والتبرج على الحجاب بعض الأراجيف، الهدف منها تعميم الاشمئزاز والكراهية، وتنفير المسلمات منه، منها قولهم: أنه يسهّل عملية إخفاء الشخصية، وقد يتسترّ وراءه بعض اللواتي يمارسن الدعارة!!

يجُاب على هذا:

إذا حاولت فاسقة مستهترة أن تتواري عن أعين الناس، فما ذنب الحجاب؟

إذا حاول لص أن يستغل اللباس العسكري للتحايل على الناس، فهل يكون ذلك مبررا لإلغاء الزي العسكري؟

يقولون:

كم من فتاة متحجبة ولكنها على خلق ذميم وسلوك سيء؟!

وكم من فتاة سافرة تتمتع بالخلق والسلوك الحسن!!

الجواب: البشر عموما معرضون للخطأ، فإذا أخطأت المتحجّبة ووقع منها سلوك سيء أو خلق ذميم، فهل تُعاب على ذنبها وتقصيرها أم على حجابها؟

ثم إن الحجاب ليس حصرا على المرأة النقيّة التقيّة، بل على المرأة التي تطيع ربها.

ثم يقال لهم:

هل المطلوب أن تكون المسلمة؟

إما محجبة سيئة السلوك؟ أو سافرة حسنة السلوك؟

ألا يمكن أن تجمع بين الوصفين؛ فتكون محجبّة وحسنة السلوك؟

وهناك الكثير من يحتجّ فيقول: لا يوجد دليل على لبس الحجاب!!

أو يقول: إن الحجاب مسألة خلافية بين أهل العلم!!

هذا إما بسبب جهله بأدلة ارتداء الحجاب من جهة، ومن جهة أخرى جهله بما اتفق عليه علماء المذاهب في وجوب ارتدائه، ونستطيع أن نلخص مجموع أقوال علماء المذاهب الأربعة في مسألة حجاب المرأة بأنهم متفقون على وجوب تغطية المرأة جميع بدنها.





الحجاب من عادات العرب في الجاهلية !

قالوا: إن الحجاب كان من عادات العرب في الجاهلية، فهوتخلف ورجعية عن ركب الحضارة والتقدم، لأنّ العرب طُبِعوا على حماية الشّرف ووأدوا البنات خوفًا من العار، فألزموا النساء بالحجاب تعصبًا لعاداتهم القبلية!!

الجواب: على العكس، الحجاب الذي فرضه الإسلام على المرأة لم يعرفه العرب قبل الإسلام، بل لقد ذمّ الله تعالى تبرّج نساء الجاهلية، فقال جلّ شأنه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1]. ثم إذا كانت النساء المسلمات راضياتٍ بلباسهن الذي لا يجعلهن في زمرة الرجيعات والمتخلفات، فما الذي يزعج التقدميين في ذلك؟!

وإذا كنّ يلبسن الحجاب ولا يشتكين منه،

فما الذي حشر التقدميّين في قضية فردية شخصية كهذه؟!

ومن العجب!!

(١) [الأحزاب:٣٣].

أن تسمع منهم الدعوةَ إلى الحرية الشخصية وتقديسها،

فلا يجوز أن يمسّها أحد،

ثم هم يتدخّلون في حرية غيرهم في ارتداء ما شاؤوا من الثياب!!!

ومنذ متى كان التقدّم والحضارة يتعلقان بلباس الإنسان ومظهره؟!





الحجاب خطر على الأمن !!

المسلمة التي تتحجب في هذا الزمان تذوق الويلات من الأجهزة الحكومية والإدارات الجامعية، والحملات الإعلامية، والسفاهات من المشككين في كل مكان.

وفي عهد زين العابدين بن عليّ، ثارت إثارة على المحجبات في تونس، حيث تم في عدة حالات منع الحوامل من دخول المستشفيات إذا كُنَّ متحجبات، وتم ترصدهنّ في الشوارع ووسائل النقل العامة، واقتيادهن إلى مراكز الشرطة ونزع حجابهن بالقوة، وتم إصدار إنذارات بحق طالبات محجبات بالفصل، وعدم السماح لهن بدخول الامتحانات إذا لم يكشفن عن رؤوسهن، كل هذا بسبب خطر يهدّد الأمن!

إذا كان بعض هؤلاء

يتشدّقون بأنّ في هذا خطرًا على ما يسمّونه الأمن!!

فليبيّنوا كيف يهتزّ الأمن ويختلّ بسبب المتحجبات،

مع أنه لم يتزلزل مرة واحدة بسبب السافرات والمتبرجات!!

لماذا يقف هؤلاء المشككون من الحجاب هذا الموقف المعادي؟!

ولماذا يثيرون حوله الشائعات المحرّضة والمغرضة؟!

ولم يكن الخمار في عصور مضت مقصورًا على العرب والمسلمين، وإنما كان شائعًا لدى الأمم القديمة في بابل وأشور وفارس والروم والهند.





الحجاب كبت للطاقة الجنسية !!

قالوا: إنّ الطاقة الجنسية في الإنسان طاقة كبيرة وخطيرة، وخطورتها تكمن في كبتها، وزيادة الضغط يولّد الانفجار، وحجاب المرأة يكبت شهواتها وغرائزها ويغطّي جمالها، وبالتالي فإنّ الشباب يظلون في كبت جنسيّ يكاد أن ينفجر، أو ينفجر أحيانًا على شكل حوادث التحرش والاغتصاب، والعلاج لهذه المشكلة إنما يكمن في تحرير المرأة من هذا الحجاب؛ لكي يتحرر الشباب من الكبت الذي هم فيه، وبالتالي يحدث التشبع لهذه الحاجة، فيقلّ تبعا لذلك خطورة الانفجار بسبب الكبت والاختناق !!

وللرد هل هذا الشبهة: لو كان هذا الادعاء صحيحًا لكانت أمريكا والدول الأوربية هي أقلّ الدول في العالم في حوادث الاغتصاب والتحرّش في النساء والجرائم الأخلاقية، ذلك لأن هذه الدول قد أعطت شعوبها انفلاتا واسعا بحجة الحرية الشخصية.

فماذا كانت النتائج التي ترتبت على هذا الانفلات والإباحية؟

هل قلّت حوادث الاغتصاب؟

هل حدث التشبّع الذي يتحدّثون عنه؟

وهل حُميت المرأة من هذه الخطورة؟

وإذا كان الحجاب يزيد من حوادث التحرش والاغتصاب

فماذا نقول عن الإباحية!؟

جاء في كتاب (الجريمة في أمريكا): إنه تقع جريمة اغتصاب بالقوة كل ستة دقائق في أمريكا، يعني بالقوة: أي تحت تأثير السلاح!

وأظهرت بيانات قدمتها (منظمة مدنية أميركية): أن الولايات المتحدة تشهد جريمة اعتداء جنسي كل (٩٨) ثانية، وفي كل (٨) دقائق تقع ضحية الاعتداء على طفل!

وقد بلغ عدد حالات الاغتصاب في أمريكا عام ١٩٨٧م إلى مائتين وواحد وعشرين ألف وسبعمائة وأربع وستين حالة! فهذه الإحصائيات تكذّب هذه الدعوى.

إن الغريزة الجنسية أودعها الله تعالى في الرجال والنساء لحِكَم كثيرة، منها استمرار النسل، ولها ضوابط وقيود شرعية أوجدها الله، ثم يُطلب من الرجال أن يتصرّفوا طبيعيًا أمام مناظر التكشف والتعرّي دونما اعتبار لوجود تلك الغريزة!!

أما الادعاء بأنه يمكن معالجة الكبت الجنسي؛ بإشاعة مناظر التبرّج والتعري ليحدث التشبّع، فهؤلاء الرجال مع مرور الوقت أصبحوا لا تثيرهم الشهوات ولا العورات، بل أصابهم مرض البرود الجنسي!





الحجاب يعطل نصف المجتمع!

قالوا: إن حجاب المرأة يعطل نصف المجتمع، إذ إن الإسلام يأمرها أن تبقى في بيتها!

وللرد على هذا القول: إن الأصل في المرأة أن تبقى في بيتها، قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[1]. ولا يعني هذا الأمر إهانة المرأة وتعطيل طاقاتها، بل هو التوظيف الأمثل لطاقاتها.

وليس في الحجاب ما يمنع المرأة قيامها بما يتعلق من واجبات وأعمال، أو اكتساب المعارف والعلوم، بل تقوم بكل ذلك مع حجابها وتجنب الاختلاط المشين.

فالمرأة كالرجل تتمتّع بذوق وفكر وفهم وذكاء، واستعداد للعمل، وهذه الاستعدادات منحها الله للمرأة ولم يكن ذلك عبثاً، وعليه يلزم استثمارها، وهذا حقٌّ طبيعيّ لها، كما أن الحجاب لا يُعطِّل طاقات المرأة، بل إنّه يؤدّي إلى تدعيم قُدراتها على العمل.

---

(١) [الأحزاب:٣٣].

وكثير من طالبات الجامعات اللاتي ارتدين الحجاب وابتعدن عن مخالطة الطلاب قد حققن ارتقاء في مستويات التعليم، وكن في موضع تقدير واحترام من جميع المدرّسين والطلاب، بل إن خروج المرأة ومزاحمتها الرجل كان هو السبب في انهيار المجتمعات وانتشار الجرائم وانفكاك الأسَر.





يدّعي أعداء الحجاب أن التبرج الذي تبدو به المرأة عارية لا يثير انتباه الرجال، بينما ينتبه الرجال عندما يرون امرأة متحجبة حجابًا كاملاً يستر جسدها كله، فيريدون التعرّف على شخصيتها ومتابعتها؛ لأنّ كلَّ ممنوع مرغوب!

ما دام التبرج أمر عادي لا يلفت الأنظار ولا يستهوي القلوب.

وما دام الحجاب يثير اهتمام الرجل وشهواته أكثر.

فلماذا تبرّجت؟!

ولماذا تحمّلت أدوات التجميل وأجرة الكوافير ومتابعة الموضات؟!

إن خروج النساء على تلك الصورة المتحللة من التبرج والتعرّي وإثارة الشهوات، تتناسب طرديًا مع الشذوذ الجنسي وضياع الأعراض واختلاط الأنساب، والأمراض الجنسية كالإيدز وغيره، وتتجاوز ذلك في أكثر بلاد العالم تحللاً إلى أن تصبح همجية وفوضى، بالإضافة إلى الأمراض والعقد النفسية التي تلجئ الشباب والفتيات للانتحار بأعلى النسب.

أما قولهم بأن العيون تتابع المتحجبة ولا تتابع المتبرجة!

وأن المتحجبة تشبه كتابًا مغلقًا،

لا تعلم محتوياته وعدد صفحات وما يحمله من أفكار،

فطالما كان الأمر كذلك، فإنه مهما نظرنا إلى غلاف الكتاب ودققنا النظر فإننا لن نفهم محتوياته، وهكذا المتحجبة غلافها حجابها، ومحتوياتها مجهولة بداخله، وإن الأنظار التي ترتفع إليها ترتد خاسئة، ولا بأقلّ القليل.

أما تلك المتبرجة فتشبه كتابًا مفتوحًا تتصفّحه الأيدي صفحة صفحة، فلا يُترك حتى يكون قد فقد رونقه وهيبته، أوراقه تثنّت أو تمزقت، إنه يصبح كتابًا مباحا لا يستحق الاهتمام.



الحجاب تعصّب طائفي وتطرّف ديني!

زعموا أن حجاب المرأة تطرف وغلوّ، وعلامة من علامات التنطّع والتشدّد، مما يسبب تنافرا في المجتمع وتصادما، وهذا قد يؤول إلى الإخلال بالأمن والسلم المجتمعي!!

هذه الدعوى مرفوضة من أساسها، فالحجاب تعبير عن الانتماء الديني لصاحبه، مثل الصليب على صدر المسيحي أو المسيحية، والقلنسوة الصغيرة على رأس اليهودي، فلا وظيفة لهما إلا الإعلان عن هوية الديانة، أما الحجاب فإن له وظيفة الستر والحشمة والطهر والعفاف، ولا يخطر ببال من تلبسه من المسلمات أنها تعلن عن نفسها وعن دينها، لكنها تطيع أمر ربها، وليس رمزا للتطرف والتنطع.

هذه الفرية التي أطلقوها على حجاب المرأة المسلمة؟

لماذا لم يطلقوها على حجاب الراهبات؟!

لماذا لم يقولوا:

إن حجابَ اليهوديات والنصرانيات رمز للتعصب الديني والتميز الطائفي؟!

لماذا لم يقولوا:

إن تعليق الصليب رمز من رموز التطرف الديني؟

وهو الذي جرّ ويلات الحروب الصليبية؟!

لماذا لم يقولوا:

إن وضع اليهودي القلنسوة الصغيرة على رأسه؟

رمز من رموز التطرف الديني؟

وبسببه يحصل ما يحصل من الدماء والإرهاب في فلسطين المحتلة؟!

هذا الادعاء يكذّبه التاريخ والواقع، فأين هذه الأخطار المزعومة، والحجاب ترتديه المرأة المسلمة منذ قرون كثيرة؟!

المرأة المسلمة لم تلتزم الحجاب بقوة الحديد والنار، ولم تدعُ غيرها إليه، بل العكس، هم ألزموها بخلع حجابها، وجعلوا ذلك قانونا هو رمز التعصب والتطرف الديني، وهذا هو الذي يحصل، وهذا هو الذي يسبب التصادم.



الطلاق بيد الرجل فيه استعباد للمرأة!

أثار المشككون شبهاتٍ في شأن الطَّلاق من خلال عقد مؤتمرات تستنكر كونه بيد الرَّجل وحده، وزعموا أن جعل الطلاق بيد الرجل فيه استعباد للمرأة! بحيث لم تجد لها مخرجا بأن تفارق زوجها لعيبٍ فيه، أو لكونها غير راغبة به! وفي هذا هضم لحقوق المرأة، وسحقٍ لإنسانيَّتها وكرامتها، في مقابل تمتُّع الرَّجل بالحقِّ الكامل، وذلك يتنافى مع مبدأ المساواة بين الجنسين!

وأثاروا شكوكا أخرى، حول كون المرأة حصلت على مستويات عالية من التَّعليم في مختلف التَّخصُّصات، وبدأت تفرض حضورها في السَّاحة السِّياسية والثَّقافية والإعلامية والاقتصادية، فكيف يُنظر إليها على أنَّها كائن عاطفي سريع الانفعال، وأنها ناقصة عقل ودين؟!

إنَّ حُكْم إسناد الطَّلاق إلى الرَّجل في الإسلام حُكم مُطلق، فهو مستمرٌّ إلى يوم الدِّين؛ شأنه شأن الصَّلاة والزَّكاة والصَّوم وغيرها من الفرائض، والعمل بما شرعه الله يحُقِّق المصالح للرجل والمرأة والمجتمع، كل على حدّ سواء.

هناك آداب ينبغي على الرَّجل أن يتأدَّب بها ويلتزمها، دعا إليها الإسلام قبل الطَّلاق وبعده؛ من أهمِّها: الصَّبر وعدم الاستعجال، ومعاشرة الزَّوجة بالمعروف، وعند نشوز الزَّوجة، فلا بدَّ للزَّوج من وَعْظِها ونُصْحِها بالرِّفق واللِّين، فإن لم ترتدع ينتقل إلى عقاب معنوي، وهو هجرها في فراشها، وهو علاج رادع للمرأة؛ لأنَّه يُصيبها بأنوثتها التي تعتزُّ بها، فإن لم يُجْدِ ذلك ينتقل إلى عقاب مادِّي، وهو أن يضربها ضربًا خفيفًا غير مبرِّح، لا يترك أثرًا على جسدها، لا أن يطلق عليها الرصاص كما يحدث في أغلب المجتمعات في أمريكا وأوروبا.

ولا ريب أنَّ هذه الإجراءات خير من الطَّلاق الذي فيه هدمٌ لبنيان الأسرة المتماسك، ثم إذا استمرَّ الخلاف بين الزَّوجين يُعالَج بواسطة حَكَمين؛ أحدهما من أهل الزَّوج، والآخر من أهل الزَّوجة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[1]. والحَكَمان لا يكونان إلاَّ من أهل الرَّجل والمرأة؛ من أهل العدالة وحُسْن النَّظر، فإن لم يوجد من أهلهما فمن غيرهما.

---

(١) [النساء: ٣٥].

فإن عجزت كل هذه الوسائل، فليس هناك إلاَّ الطَّلاق، وعند ذلك يُغني الله كلًا من سعته، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[1].

ثم يأمر الله تعالى الزوجين بعد إتمام الطلاق: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[2]. لتشمل الوفاء بالعهد الذي كان بينهما من حفظ الأسرار وعدم نسيان المعروف، والمبادرة بالتواصل والعطاء، وتذكر المواقف الجميلة التي كانت بينهما في حياتهم اليومية.

كما أن هناك أمر هام: لا يجب أن ننظر إلى قضيَّة الطَّلاق في الإسلام من خلال سلوكيَّاتنا نحن، وإنَّما يجب علينا أن ننظر إليه من خلال ما دعت إليه أحكام الشَّريعة، لأنَّ ما يقوم به البعض من ممارسات خاطئة لا تصلح أن تكون معيارًا يحُكم به، أمَّا ما دعت إليه أحكام الشَّريعة، فسيؤدِّي بنا إلى نتيجة حتميَّة واحدة، وهي أنَّ الشَّرع قد حفظ على كلٍّ من الرَّجل والمرأة كرامته وإنسانيَّته وحريَّته الكاملة.



(١) [النساء: ١٣٠].

(٢) [البقرة: ٢٣٧].

لماذا لا يكون الطَّلاق من صلاحية القاضي؟

إذا كان الطَّلاق من صلاحية القاضي، فإن هذا يُصادم النُّصوص الشَّرعية في الكتاب والسُّنَّة، والتي تجعل قرارَ الطَّلاق خاصًّا بالزَّوج دون اعتراض، كما أنَّ وقوع الطَّلاق أمام القاضي؛ يقضي على أيَّة بارقة أمل في الإصلاح بينهما؛ بعد أن كشف كلٌّ منهما الآخر، وذكر كل مساوئه وعيوبه، أمَّا الشَّريعة الإسلاميَّة، فهي مع آخر لحظة لجمع الشَّمل بين الزَّوجين، وأتاح الفرصة لهما للعودة والتراضي، فإنَّ الشَّريعة لم تترك الحرية للزَّوج في إيقاع الطَّلاق كما يشاء.

بل حرَّمت عليه أن يُطَلِّقها وهي حائض مثلا،

وحرَّمت عليه أن يُطلِّقها في طُهْرٍ جامَعَها فيه،

ولا يُطَلِّقها ثلاثًا دفعة واحدة،

ولا يُطلِّقها في عدَّتها،

وهذا كلُّه يصبُّ في المصلحة الأُسريَّة وعدم شتاتها وتفرُّقها.

كما جَعَلَ اللهُ تعالى العِدَّة ثلاثةَ قُروءٍ، أي ثلاثة أشهر بين كل طلاق وآخر؛ ليطولَ زَمَنُ المُهْلة ومراجعة النفس، ولم يجعل الله تعالى الطَّلاق بائنًا إذا وقع أوَّل مرَّة، بل هو طلاق رجعي في المرَّة الأُولى والثَّانية، وهو أضمن لاستمرار الحياة الزَّوجية.

إنَّ منح الرَّجل حقَّ الطَّلاق دون المرأة له مبرراته، فالرَّجل هو المُطالب بدفع المهر، وتجهيز المنزل والأثاث، وتحمُّل أعباء الحياة، كما أنَّه إذا أقدم على الطَّلاق مُطالَب شرعًا أن يدفع إليها المؤخَّر، وأكثر من ذلك أن يعطيها أجرَ إرضاعها ولده إن كان له منها ولد، وعليه أيضًا أن يتحمَّل النَّفقة على أبنائه إن كانوا في حضانتها.

فإن كانت كلُّ هذه الحقوق ممنوحةً للمرأة، فهل من المعقول أن لا يُمنح الرَّجل بعضَ الحقوق والصَّلاحيات؛ كحقّه في الطَّلاق مثلًا؟! لذا؛ فإنَّه من الخطأ أن يُنْظَرَ إلى حقِّ الرَّجل في الطَّلاق بمعزلٍ عن النِّظام الإسلاميِّ المتكامل للأسرة، وما يرتبط به من أحكام(١).



(١) انظر: مقال (شبهات حول الطلاق) د. محمود بن أحمد الدوسري، شبكة الألوكة. ٢٠٢١/١١/٢٩



يستغل خصوم الإسلام قضايا المرأة المسلمة أسوأ استغلال، يحيطونها بالشكوك والشبهات والافتراءات؛ لتشويه صورة الإسلام، والادعاء كذباً بأنه ظلم المرأة، ولم يضعها في مكانتها اللائقة شريكة للرجل في البناء والتنمية.

من أبرز تلك القضايا، قضية تعدد الزوجات التي لم يتوقف خصوم الإسلام عن إثارة الشبهات حولها؛ حيث جعلوها دليلاً على ظلم المرأة المسلمة، وانحطاط قدرها، وتغييب دورها في خدمة المجتمع.

وإباحة تعدد الزوجات في الإسلام فيه مصالح عظيمة للرجال والنساء خاصة، وللمجتمع عامة، ولم يترك ذلك عبثا، بل وضع له ضوابط صارمة، وشروط مشددة؛ وهذه من مناقب الإسلام العظيمة، كما شهد بذلك المنصفون من أعداء هذا الدين!

وعجباً لهؤلاء المستشرقين الذين تكتظ بلادهم باللقطاء والمشردين، وتتمزق أسرهم من التفكك والانحلال، وبعد كل هذا يتبجّحون بشن حملاتهم الدنيئة ضد الإسلام والمسلمين بشأن إباحة تعدد الزوجات،

متهمين الإسلام بأنه حين أباح التعدد قد اضطهد المرأة وجعلها متعة في يد الرجال يستغلونها في إرضاء شهواتهم، وما هذه الشبهات إلا كالغيمة التي يمكنها أن تحجب النور للحظات ولكن سرعان ما تنقشع.

فالإسلام لم يأمر بالتعدد على سبيل الوجوب، وإنما رخص فيه، كما هو الحال في أمم كانت قبل الإسلام، وفي الديانة اليهودية أيضاً، ولم يرد في المسيحية نص صريح يمنع التعدد.





الإسلام منع المرأة من التعدد !!

يقولون: إن الإسلام حَرَم المرأة من حق التعدد، وفي هذا اعتداء على مبدأ المساواة بين الجنسين، وذلك بتلبيته لرغبات الرجل دون رغبات المرأة في المعاملة بالمثل! فلم يُسمح لها أن تتزوج بأكثر من رجل في آن واحد كما أجاز ذلك للرجل!

وللرد على هذه الشبهة:

إن تعدد الزوجات ليس خاصاً بالإسلام، فقد كان موجوداً قبل مجيئه بآلاف السنين، وكان ذلك من دون قيد أو شرط، فوضع الإسلام لذلك ضوابط وشروط، وما يدل على أن تعدد الزوجات كان موجوداً قبل الإسلام؛ أنه كان للفرعون الشهير رمسيس الثاني ثمان زوجات، وأجساد بعضهن موجودة حتى الآن بالمتاحف.

كما أن تعدد الزوجات كان مباحاً في شرائع الأنبياء قبل نبوة نبينا محمد ﷺ، فقد تزوَّج إبراهيم ﷺ سارة وهاجر، ثم اثنتين هما: (قطور) و (حجون).

وكانت لداود ﷺ مائة امرأة.

وكان لسليمان بن داود ألف امرأة، سبعمائة مهرية، وثلاثمائة سرية، هذا أكثر مما لمحمد ﷺ .

كما أن تعدد الزوجات كان منتشرًا في الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ وتدل على ذلك شواهد كثيرة، منها: أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة، فقال له النبي ﷺ: **(اختر منهن أربعاً)**[1].

إن واقع هؤلاء المشككين يكذبهم فيما يزعمونه!

فإنهم لم ولن يكتفوا بامرأة واحدة؛

كما تشهد على ذلك الفوضى الجنسية العارمة!

والدنس والانحلال!

وذلك ليس بخاف على أحد! بل ذلك مما عمّ زعماءهم ورؤساءهم وطمّ، ناهيك عن عامتهم، بل روّجوا لذلك بوسائلهم الإعلامية الهابطة! وقنواتهم الفضائية المنحلة!!

ولا ينبغي أن تكون المساواة مطلقة بين الرجل والمرأة في نظام الزواج،

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني.

لاختلاف طبيعة كل منهما، لأن المساواة بين مختلفين تعني ظلم أحدهما، فالمرأة خلق الله تعالى لها رحماً واحدة، وهي تحمل في وقت واحد ومرة واحدة في السنة ويكون لها تبعاً لذلك مولود واحد من رجل واحد، أما الرجل فله صفات أخرى غير ذلك.

فالمرأة عندما تتزوج بثلاثة أو أربعة رجال!!

فمَن من هؤلاء الرجال يتحمل مسؤولية الحياة الزوجية؟

أيتحملها الزوج الأول؟

أو الزوج الثاني؟

أم يتحملها الأزواج الثلاثة أو الأربعة؟

ثم لمن ينتسب أولاد هذه المرأة متعددة الأزواج؟

أينتسبون لواحد من الأزواج؟

أم ينتسبون لهم جميعاً؟

أمتختار الزوجة أحد أزواجها فتلحق أولادها به؟

إن المجتمع لا يستفيد شيئاً من نظام تعدد الأزواج للمرأة، على عكس نظام

تعدد الزوجات للرجل أمام كثيرات من العانسات والمطلقات والأرامل، ولو أبيح للمرأة أن تتزوج ثلاثة أو أربعة رجال لزاد عدد العانسات زيادة كبيرة.





الإسلام أهدر كرامة الزوجة أمام زوجة أخرى

يقولون: إن الإسلام أهدر كرامة الزوجة التي يقترن زوجها بأخرى، أو أخريات، ولم يعبأ بمشاعرها وأحاسيسها! ويزعمون بأن التعدد إهدار لكرامة المرأة وإجحاف بحقوقها وظلم لها، حيث يشاركها غيرها في زوجها وينازعها سلطة بيتها !!

وللرد على هذه الشبهة:

حينما أباح الإسلام تعدد الزوجات لم يجعل ذلك موافقاً لهوى الرجل واختياره؛ إنما كان بمراعاة شروط عدة، أهمها: القدرة وهي تعني النفقة، والوطء، وأن لا يجمع في عصمته أكثر من أربع زوجات في آن واحد؛ قال تعالى: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾[1]. وأن يعدل بين زوجاته، في النفقة، والمبيت، والمسكن، وغير ذلك.

أما زعمهم بأن في تعدد الزوجات في الإسلام إهداراً لكرامة المرأة لأن غيرها يشاركها في زوجها وينازعها بيتها، فإن هذا المنطق معكوس.

---

(١) [النساء: ٣].

أليست الزوجة الثانية امرأة هي الأخرى؟

فأي الحالين حينئذ تُهدر فيه كرامة إحداهما؟

أن تكون عزباء لا زوج لها؟

أم أن تكون كلتاهما شريكتين في حياة زوجية نظيفة؟

كل منهما ربة بيت وأم أولاد.

لها ما للزوجة من حقوق وعليها ما عليها من واجبات؟

وليس في إباحة تعدد الزوجات في الإسلام أي امتهان.

بل هو صيانة لها و يجعلها زوجة فاضلة.

بدلاً من أن تكون صديقة خائنة !!





تحقيق العدل بين الزوجات مستحيل!

يزعم المشككون: أن تحقيق العدل بين الزوجات مستحيل! وأن القرآن يعترف باستحالة ذلك، وربما استدلوا بجزء من آية: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾[1].

وللرد على هذه الشبهة:

العدل بين الزوجات ممكن؛ كما تدل على ذلك حالات كثيرة، وإن وُجدت بعض الحالات الاستثنائية التي جار فيها بعض الرجال على زوجاتهم، فتلك حالات شاذة ونادرة، والشاذ لا حكم له، لأن العيب والخلل في الرجل نفسه وليس في الإسلام.

وأن ما استدل به المشككون في استحالة العدل بين الزوجات؛ فإن المقصود به العدل الذي لا يُستطاع وهو الميل القلبي، فإن الرجلَ لا يملكُ قلبَه وهذا ليس مطلوباً شرعاً؛ والله لم يكلف العباد إلا بما يستطيعون.

---

(١) [النساء: ١٢٩].

وقد حذر الله الزوج من أن يتبع ذلك ميلاً بالفعل؛ فقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1] أي إذا حصل منكم ميلاً بقلوبكم إلى بعض الزوجات، فيجب أن لا يؤدي ذلك إلى الميل بالأفعال، فتظلمونهن بالتواصل والنفقة وغيرها من الأمور.

وحذر النبي ﷺ الزوج من هذا؛ فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **(من كانت له امرأتان؛ فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل)**[2]. ومع هذا كله فقد أجاز الإسلام للمرأة أن تطلب فراق زوجها إذا رأت منه ظلما واضحاً، وهذا ما يسمّى بالخلع، وإن صبرت على ذلك؛ رفع الله قدرها، وضاعف أجرها.



(١) [النساء: ١٢٩].

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد. خلاصة حكم المحدث: صحيح أو حسن.



النبي ﷺ منع التعدّد !!

من افتراءات المشككين، أن النبي ﷺ منع التعدد؛ حين أنكر على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه الزواج على ابنته فاطمة!!

وللرد على الافتراء:

ما روي عن النبي ﷺ أنه قال من فوق المنبر: **(إنَّ بني هشامِ بنِ المغيرةِ استأذنوني أن ينْكحوا ابنتَهم - وهي ابنة أبي جهل - من عليّ بنِ أبي طالبٍ، فلاَ آذنُ ثمَّ لاَ آذنُ ثمَّ لاَ آذنُ، إلاَّ أن يريدَ ابنُ أبي طالبٍ أن يطلّقَ ابنتي وينْكحَ ابنتَهم، فإنَّما ابنتي بضعةٌ مني، يريبني ما أرابهَا ويؤذيني ما آذاها)** [1].

وقد استنبط الإمام البخاري من هذا الحديث أنه يجوز للأب ألا يأذن بزواج صهره على ابنته من باب صلة الرحم والغيرة على ابنته، ولم يرد عن الرسول ﷺ أنه اختص فاطمة بأحكام خاصة، وقد قال: **(والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)**[2].

(١) صحيح أبي داود، وفي رواية أخرى أخرجها البخاري.

(٢) أخرجه مسلم.

وحاشا للرسول ﷺ أن يحيد عن العدل في معاملاته، فلا يُبيح الزواج على ابنته، بينما يُبيح الزواج على بنات غيره، ويؤكد ذلك قوله: (**وإني لستُ أُحرّم حلالاً، ولا أُحلّ حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدوّ الله بمكان واحداً أبداً**)(١).

هذا يؤكد أن اعتراض رسول الله ﷺ ليس على تعدد زوجات علي، وإنما على جمعه بين ابنته وابنة أبي جهل بالذات، بحيث لو اختار علي بن أبي طالب غيرها لما كان هذا الاعتراض.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه.



التعدد ينتج عنه كثرة النسل وانتشار الفقر!!

ومن افتراءات المشككين على أحكام الإسلام؛ أن الرجل إذا تزوج بأكثر من امرأة أدى ذلك إلى كثرة النسل، وبالتالي إلى انتشار الفقر، وكثرة البطالة في البلاد!!

وللرد على هذه الشبهة المفتعلة، فإن الذي أباح تعدد الزوجات هو خالق البشر، وقد تكفل بأرزاق العباد، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾[1]. وجاء في هذا المعنى أحديث وآثار، وليس صحيحاً أن كثرة النسل يؤدّي إلى الفقر والبطالة!

وما هو معلوم في هذا العالم على مر العصور، أن كثرة النسل مع حسن التربية من عوامل قوة الأمة وازدهارها، وأوضح الأمثلة على ذلك دول كثيرة منها اليابان والصين، وأن ما يزعمونه هؤلاء المشككون يكون سببه سوء التربية وسوء الإدارة والتخطيط وليس كثرة النسل، فالبطالة موجودة في كثير من الدول العربية مع أن أرضها واسعة ومواردها كثيرة، ولو أحسنوا استغلالها لاستوعبت أضعاف من يعيشون فيها، والزعم بأن فقر وضعف وتخلف

(١) [هود: ٦].

المسلمين في هذا العصر نتيجة للانفجار السكاني، وأن كثرة النسل تفوق الاقتصاد الغذائي، هو زعم خاطئ.

وهؤلاء المشككون نقول لهم: مرحبا بكثرة النسل لكل أمة تنفض غبار الخمول والكسل عن عقولها وسواعدها، وقد قال تعالي: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ثم إن الرد على هذه الشبهة المفتعلة، فإن الإسلام لم يوجب التعدد ولم يرغّب فيه، وإنما أحاطه بما يجعله رحمة وخيراً للعباد، فإذا جهل المسلمون أحكام دينهم واتخذوا تعدد الزوجات ملهاة واستهتاراً بحقوق المرأة وحرمة الأسرة، فإن الإسلام لا يتحمل وزرهم، وخاصة في العصر الحالي.[2]



---

(١) [النور: ٣٢].

(٢) أنظر مقتطفات من مقال: (الشبهات المثارة حول تعدد الزوجات والرد عليها من الكتاب والسنة) عزيزة السلمي، موقع صيد الفوائد، http://www.saaid.net/female/0278.htm



الإسلام هضم المرأة حقها في الميراث !!

حاول المشككون في أحكام الإسلام الطعن في نصوص القرآن من خلال آيات الميراث، زاعمين أن القرآن أعطى الأنثى عمومًا والزوجة خصوصًا نصف ما أعطى الذكر، بشهادة النص القرآني: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ (١). فزعموا أن القرآن أجحف بها!!

وللرد على هذه الشبهة:

هذا قول غير صحيح، فالأنثى والذكر في الميراث لهما أربع حالات:

الحالة الأولى: أن يكون نصيب الأنثى كنصيب الذكر تمامًا كما هو الحال في الإخوة والأخوات من الأم، فالواحد منهم يأخذ السدس سواءً كان ذكرًا أو أنثى.

الحالة الثانية: أن ترث الأنثى فقط، وتكون هي سببًا في حرمان الذكر منه، كما لو توفي رجل أو امرأة عن بنت وأخت شقيقة وأخ من الأب، فالبنت لها النصف والأخت الشقيقة لها النصف الباقي، ولا شيء للأخ.

---

(١) [النساء: ١١].

الحالة الثالثة: أن تأخذ الأنثى أكثر مما يأخذه الذكر، كمن توفي عن أخت وأمّ وعمّ، أو أخ من الأم، فالأخت لها النصف، والأم لها الثلث، والباقي سدس يأخذه العم أو الأخ من الأم، فالأخت والأم كل واحدة منهما أنثى، وقد أخذت أكثر من نصيب الذكر، وهو العم أو الأخ من الأم.

الحالة الرابعة: أن تأخذ الأنثى نصف ما للذكر، وهذه تكون في حال البنت مع الابن، وبنت الابن مع ابن الابن، والأخت الشقيقة مع الأخ الشقيق، والأخت من الأب مع الأخ من الأب، فكل واحدة من الإناث هنا تأخذ نصف ما يأخذ الذكر.

ولكن لماذا؟

وما الحكمة من ذلك؟

وهل هذا التفضيل راجع إلى جنسهما؟ أي للذكورة والأنوثة؟

أم أن هناك سببًا آخر وراء هذا التفضيل؟

وللجواب عن هذه التساؤلات نقول: ليس التفضيل هنا راجِعًا للجنس قطعًا، بدليل أن هناك حالات ورثت فيها الأنثى مثل الذكر تمامًا، وحالات ورثت فيها أكثر منه، وفي حالات أخرى حرمته من الميراث، وقد فهم المشككون في أحكام القرآنَ أن أنصبة الوارثين والوارثات جاءت بسبب الذكورة

والأنوثة فقط، هذا الفهم ناتج عن قصور إدراكهم وسوء تفكيرهم، لا على النصوص والأحكام !!

فالأجيال التي تستقبل الحياة وتستعدّ لتحمل أعبائها، عادة يكون نصيبها في الميراث أكثر من نصيب الأجيال التي تستدبر الحياة، وتصبح أعباؤها مفروضة على غيرها، بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للوارثين والوارثات، فبنت المتوفى ترث أكثر من أمه وكلتاهما أنثى، بل ترث البنت أكثر من الأب حتى لو كانت رضيعة، وحتى لو كان الأب هو مصدر الثروة التي للابن، والتي تنفرد البنت بنصفها، وكذلك يرث الابن أكثر من الأب وكلاهما من الذكور.

وهذا التقسيم ليس فيه أية شبهة لظلم الأنثى، بل ربما كان فيه تمييز وامتياز لها، احتياطًا لاستضعافها، وهذه الحقائق في المواريث الإسلامية هي التي جعلت المرأة ترث مثل الرجل، أو أكثر من الرجل، أو ترث ولا يرث الرجل في أكثر من ثلاثين حالة من حالات الميراث الإسلامي، بينما هي ترث نصف ما يرث الذكر في أربع حالات فقط..!

كما أن العبء المالي الذي توجبه أحكام الشرع الإسلامي على الذكر، هو المعيار الوحيد الذي يؤثّر تفاوتًا بين الذكر والأنثى، لكنه تفاوت لا يفضي إلى أيّ ظلم للأنثى، فالابن الذكر مطالبه في الحياة أكثر من مطالب أخته؛ وهو

المكلَّف بدفع المهر لزوجته، والنفقة على بيت الزوجية، والنفقة على الأولاد؛ من تعليم ومدارس وأقساط جامعية، وعلاج وأدوية ومستشفيات، وألبسة بأشكالها وأنواعها، وأثاث بيت واحتياجات أسرة، أو شراء بيت أو سيارة، بينما لم يكلِّف المرأة بالنفقة على زوجها أو أولادها أبدًا، فالأنثى تتزوج وتعيش حياتها دون أن تفكر أو تشغل نفسها بأي شيء من هذا.

وبعد تعريف الميراث في الإسلام، كان من الجدير بالذكر أنَّ كثيرًا مما أثاره المشككون للهجوم الحاقد على نظام الميراث في الدين الإسلامي؛ هجوم غير قائم على شيء من المنطق أو التفكير السليم، بل إن هذا النظام حقَّق العدالة الاجتماعية في أسمى صورها؛ وإن تفحصنا أنظمة العالم كله فلن نجد في تاريخ البشرية مثيلًا لهذه الحسابات الرقمية الدقيقة، وقد عجزت عن ذلك أنظمة وشرائع أخرى.





المرآة ناقصة عقل ودين!!

ومن تلك الشبهات التي أثارها الملحدون والمشككون للطعن في تعاليم الإسلام، ما ينسبونه خطأ وجهلا من أن الإسلام قد أهان المرأة وحقّر من شأنها، مستشهدين في ذلك بحديث النبي ﷺ أخرجه الشيخان في صحيحيهما؛ صحيح البخاري وصحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلّى، فمرّ على النساء، فقال: **(يا مَعشرَ النّساء، تصدّقنَ فإنّي أُريتُكُنّ أكثرَ أهل النّار)** فقُلن: وبمَ يا رسول الله؟ قال: **(تُكْثِرْنَ اللّعن، وتكفُرْنَ العشيرَ، ما رأيتُ من ناقصات عقل ودين أذهبَ للبّ الرجل الحازم من إحداكنّ)**، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: **(أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟)** قلن: بلى، قال: **(فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم؟)**، قلن: بلى، قال: **(فذلك من نُقْصان دينها)**.

قالوا: شتم رسولُ الإسلامِ النساءَ لمّا قال عنهنّ بأنهنّ ناقصات عقل ودين!

ثم قالوا ساخرين: هل هذه هي مكانة المرأة في الإسلام؟ ناقصة عقل ودين؟!

بعضِ الدّعاةِ يفسرون هذا الحديثَ قائلين: كان النبيُّ ﷺ يمزحُ معهن، لأن ذلك اليوم كان يوم عيد!! وهذا كلامٌ باطلٌ مردودٌ ليس عليه دليل، لأن النبيُّ ﷺ لا يمزح إلا في صدقٍ، هذا إن كان قد قال ذلك مازحًا، وحاشاه ذلك.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو:

هل اعترض أحدٌ في ذلك الوقت على ما قاله النبيُّ؟

هل ذكر أحد من الصحابة بأن الرسول شتم النساء؟ هل اعترضت واحدةٌ من النساء بعد جوابِه لهنّ؟

الجواب: لم يبدِ احدٌ اعتراضًا، ولم يقل أحدٌ إنه شتم النساء، ولم تقل امرأةٌ منهن: إن نبيّ الله شتمنا كما يزعم المشككون، بل الثابت أن النساءَ اللواتي قيل فيهنّ هذا الحديث أبدين الموافقة التامة على كلامِه ﷺ وهو ملاحظ من قولِهن: قُلْنَ: بَلَى.

وقد يُفهم من نص هذا الحديث من الوهلة الأولى؛ على أن المرأة قليلة دين لاتخشى الله، بينما يُقصد منه في حقيقة الأمر أن المرأة تقضي أوقاتاً كثيرة دون أداء الصلاة والصيام بسبب الأعذار الشرعية الخاصة بها.

كما يُفهم ظاهراً بأنها تتصف بالغباء أو تدنّي معدل ذكائها مقارنة بالرجل، وهذا ظلمٌ عظيم لها وظلمٌ أعظم في اتهام الإسلام بذلك، حيث إن الحقيقة

تكمن في فحوى هذا التعبير، وهو الذي اتفق عليه أهل العلم بكل وضوح، إذ يغلب على المرأة تغليب عاطفتها في الحُكم على معظم أمور حياتها بدلاً من عقلها، ولأجل ذلك كانت شهادة الرجل في الإسلام بشهادة امرأتين، نظراً لأنهاتخضع لعاطفتها، وهي صفة حميدة للمرأة، ورحمة بالبشرية جمعاء، إذ أن المرأة بصفتها أمّاً أو زوجةً أو أختاً أو أياً كانت، لو انتصر عقلها على عاطفتها لما ربّت وليداً ولا أرضعت رضيعاً، إذاً ليس لنا أن نتخيل حال النظام الكوني لو لم تخلق النساء بعاطفة كبيرة! وهذا مرتبط بالطبيعة الفسيولوجية والشكلية عند النساء، فالعقل هو الذي يحكم الهوى والعاطفة، والإنسان يحتاج إلى الحنان والعاطفة من الأم، وإلى العقل من الأب، فالرجل تقع عليه مسؤولية العمل الشاق خارج البيت، فأين يتم الإنجاب والرضاعة التي لا يستطيع الرجل القيام بها بحكم فطرته.

وفي محاولة التضليل والتزييف طمعاً في تشويه صورته؛ يضرب أعداء هذا الدين على الوتر الحساس، يدّعون أن الإسلام هو عدو المرأة الأول، وأنه سجن يقيّد حريتها، وحجر يعيق مسار حياتها، مستغلّين بذلك نصوصاً دينية مجتزأة مغلوطة الفهم، ومن أشهر هذه النصوص تلك التي تصف المرأة بأنها ناقصة عقل ودين، فهل هي كذلك حقاً؟

يذكر التاريخ عدداً من النساء العبقريات اللواتي مهّدن الطريق أمام اكتشافات

وإنجازات مؤثرة في حياة البشر، إحداهن على سبيل المثال (مارجريت هاملتون) التي كانت مسؤولة عن برمجة مركبة (أبولو) الفضائية، وقد مكنت البشر أول خطواتهم على سطح القمر، وقد كانت من نصيب (نيل أرمسترونغ)، كذلك نستذكر العالمة الشهيرة (ماري كوري) التي كانت أول امرأة تحصل على جائزة نوبل مرتين في الفيزياء والكيمياء، وقد تمحورت معظم انجازاتها حول النشاط الإشعاعي للذرات، وأشرفت على أول دراساتٍ لمعالجة الأورام باستخدام النظائر المشعة[1].

إن الحياة لا تكمل ولا تقوم لنا قائمة إلا بهنّ، هنّ البذرة التي تُثمر نجاحاً وإنجازاً، ووصفة السرّ التي صنعت عظماء وأبطالاً، شأنهنّ عظيم، وقدرهنّ كبير، ولأن المعادلة الكونية تقتضي أن نكون ذكوراً وإناثاً؛ فلا شك أنهنّ الشطر الأجمل من المعادلة!



(١) انظر مقال: (ناقصات عقلٍ ودين، إلى متى؟) مصعب عماد المبيض.
موقع الجزيرة نت، ٨/ ١٢/ ٢٠١٩
/https://www.aljazeera.net/blogs/2019/12/8



ضد الإسلام لا ضد الأديان!!

أما أقوال المشككين من الملحدين والمستشرقين، وما ورد فيها للطعن أو التقليل من شأن المرأة في الإسلام، فهذا لا يخرج عن ثرثرة الصبيان، وتحريض سطحي مكشوف النوايا، يُقصد منه إثارة العداوة ضد الإسلام وتعاليمه.

وإذا نظر الباحثون في صفحات المصادر الدينية الأخرى، كالكتاب المقدس مثلا، وجدوا أن نصوصا كثيرة وردت بهذا المعنى، لكن أقلام المشككين تغافلت عن ذكرها أو الحديث عنها، فلا تتعالى بها أصوات هؤلاء كما تتعالى على النصوص في القرآن والسنة، وكأن دراسات هؤلاء الباحثين المشككين تتجه نحو المصادر الإسلامية فقط دون غيرها من المصادر الأخرى!!

فقد ورد في الكتابَ المقدس أن الرجلَ ناقص عقل، فهو عديم الفهمِ، وأن الإنسان يولد كالجحشِ. ورد ذلك في سفرِ أيوب إصحاح (١١) عدد (١٢) " أَمَّا الرَّجُلُ فَفَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ، وَكَجَحْشِ الْفَرَا يُولَدُ الإِنْسَانُ!! ".

هل طعن هؤلاء المشككون في هذا النص؟

هل ذكروا بأن الكتاب المقدس قلل من شأن الرجل؟

هل ذكروا هذا الوصف للرجل بأنه عديم الفهم؟

هل ذكروا هذا الوصف بأنه جحش؟؟

كما جاء في سفر الجامعة في الإصحاح (٣) عدد (١٨) قُلْتُ فِي قَلْبِي: " مِنْ جِهَةِ أُمُورِ بَنِي الْبَشَرِ، إِنَّ اللهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيُرِيَهُمْ أَنَّهُ كَمَا الْبَهِيمَةِ هكَذَا هُمْ ".

هل ذكروا هذا الوصف؟

بأن الرجل في الكتاب المقدس... بهيمة؟

فإذا كان الرجلُ في الكتاب المقدس عديم الفهم أو ناقص عقل أو بهيمة، فإن المرأةَ لا عقل لها أصلاً! لما ورد في رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ أَفَسُسَ إصحاح (٥) عدد (٢٣) قال: لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ، كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. فإذا كان الرجلُ رأس المرأةِ فإن المرأةَ لا رأس لها، والرجل رأسها، أي: عقلها، وعليه فالمرأة لا عقل لها!

الملحدون دائما يشككون بالنصوص في القرآن أو الحديث!

والمستشرقون كذلك!

هل ذكروا هذا الوصف؟

بأن المرأة في الكتاب المقدس لا عقل لها؟؟

وأما عن نقصانِ دينِها، فإن سفر الآويِّين الإصحاح (١٥) عدد(١٩) يحدثُنا عن نجاستِها التي تعوقُ عبادتها مما يؤدي إلى نقصانِ دينِها.

الملحدون والمستشرقون...

أثاروا هذا الوصف بشأن المرأة في المصادر الإسلامية!!

لماذا تغافلوا عن ذكر هذا الوصف في الكتاب المقدس؟

لماذا تغافلوا عن ذكر هذا الوصف في أسفار اليهود والنصارى؟

لماذا نجد الإلحاد في أنحاء العالم، ضد الإسلام لا ضد الأديان!!؟؟

لماذا نجد كتب الاستشراق وأبحاثهم ضد الإسلام؟؟ لا ضدّ الشرق؟؟!!

لماذا يحاربوننا، لماذا يكرهوننا؟؟!!!

لماذا نحبّهم؟؟ لماذا نحن منبهرون بهم أشدّ الانبهار؟!!





التعليم الديني قنبلة موقوتة!!

أثار الملحدون قضايا التعليم الديني، ويُقصد به هنا تعاليم الدين الإسلامي دون غيره من الأديان الأخرى، قد أفرز أفرادا لديهم بذور الإرهاب، وبالتالي فهم قنابل موقوتة، لوجود عدد من خريجي المدارس والجامعات، والمراكز والتنظيمات الدينية التي يتجاوز عددها الآن مئات الآلاف في البلاد العربية والإسلامية والعالم، لا تقدم شيئا مفيدا للوطن والمواطن، بل هي عرضة للتطرف بسبب ما يتلقّونه من مناهج تحتوى على أفكار تؤدى إلى الرجعية والجهل، وتعطل العقول عن المعرفة!!

يقولون: لسنا بحاجة إلى هذه الأعداد التي لا عمل لها سوى الارتزاق والتجارة بالدين بلا فائدة تذكر تعود على المجتمع، سوى التحريض على الحياة العصرية والتقدم والحداثة، خصوصا أن خريجي تلك المدارس والمعاهد هم أصحاب عقول هشّة قابلة للمسخ والبرمجة مما يؤدى إلى كوارث كبرى!

ثم قالوا: تجرّعنا مرارة الأحزاب الدينية، وما زلنا نقطف ثمارها العفنة من إرهاب ودمار وخراب، لذلك فلا مناص من إبعادهم تماما عن الساحة

السياسية، وهم أكبر خطر على الوحدة الوطنية التي يعملون على تدميرها، وأنّ ما يخفونه عكس ما يعلنونه، ولا يجب بأي حال من الأحوال تصديقهم، بل كشف حقيقتهم ومخططاتهم حماية للوطن!!

وللرد على هذا الادعاءات:

نحن نعلم بأن التعليم الديني الذي يقصدونه هو تعاليم الإسلام، وعلى الأخص النصوص التي تحثّ على الجهاد في القرآن والحديث، والإسلام حينما شرع الجهاد الذى هو بمفهوم القتال، لم يشرعه إلا للدفاع عن الأمة الإسلامية وصدّ العدوان عنها، ورفع الذل والهوان عن المسلمين الذين عُذبوا وأوذوا وهُجروا من ديارهم وبيوتهم، وعُزلوا عن الدنيا كلها.

فالمسلم مأمور شرعًا ألا يعتدى على أحد من الخلق.

والله تعالى وصف نبيه (ص) بأنه رحمة لكل الخلق.

في حين أن الإرهاب: هو ذلك الرعب الدموي والمعنوي، والمسُّ بالأبرياء، والقيام بأعمالٍ من شأنها التأثير سياسيًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا على الأمة، وعلى الشعوب والأوطان لإرهابهم على قبول أفكارهم الشاذة ومواقفهم المتشددة.

وهنا يتضح الفارق بين الجهاد والإرهاب التي يحرص أعداء الأمة على إلصاقه بها، فالجهاد أمر مشروع لهدف مشروع، بينما الإرهاب أمر غير مشروع سواء أكانت غايته مشروعة أو غير مشروعة؛ أو كانت وسيلته زعزعة أمن المجتمع والإضرار به.

والمسلمون ليسوا أول من يؤمرون بالجهاد دفاعًا عن الإنسان والأوطان، بل أيضًا أتباع الشرائع السماوية الأخرى فعلوا ذلك، وربما ظهر من بين أعداء الإسلام من يستغل أفعال هؤلاء القلة من الإرهابيين الذين يسوِّقون القتال على أنه جهاد في سبيل الله، أو بزعم أنهم يقيمون دولة الإسلام؛ ليؤكدوا زعمهم بأن الإسلام دين عنف.

فالجهاد كلمة لها مدلولها الواسع في الإسلام، وليس معناه منحصرا على الحرب والقتال كما قد يتبادر خطأً لأذهان البعض، وبذلك صرحت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، فقد جعل النبي (ص) الحج جهادًا؛ كما سَمّى القتال والحرب جهادًا أصغر، وجعل مجاهدة الهوى والنفس هو الجهاد الأكبر.

فحياة المسلم كلها جهادٌ، وأنّ مفهوم الجهاد في الإسلام مقصور على الحرب والقتال فقط هو ادِّعاءٌ مخالفٌ للحقيقة، وهذا الادِّعاء بعيد عن أفعالهم المنكرة والجهاد منها بريء، فلا ينبغي للعقلاء أن يساعدوهم على

هذا الفهم المغلوط عن الإسلام حتى لا يكونوا سببًا في نشر أفكارهم الفاسدة ولو من غير قصد؛ بل الإسلام كله جهاد، ومفهوم الجهاد في الإسلام لا صلة له بما يفعله المتطرفون من أعمال دموية.

فالتعليم الديني في الإسلام إذا تحدث عنه الملحدون أو المستشرقون، أو وصفوه بالجهاد الدموي، إنما هو افتراء على هذا الدين، ولا يقترن به بأي حال من الأحوال، ولا أساس له في التاريخ الإسلامي على مرّ عصوره، سواء السياسي أو العسكري.

فهل التعليم الديني في الإسلام كان سببا في اندلاع الحرب العالمية الأولى في أوروبا عام ١٩١٤ واستمرت خمس سنوات، نتج عنها أكثر من (٣٧) مليون ضحيّة ؟؟ (١٦) مليون حالة وفاة و(٢١) مليون إصابة؟

هل التعليم الديني في الإسلام، كان سببا في اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، واستمرت ست سنوات، وقد شملت جميع أجزاء العالم، والمتمثلة بدول أوروبا: ألمانيا، وإيطاليا، واليابان، وفرنسا، وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكيّة، والاتحاد السوفيتي، والصين، ونتج عن هذه الحرب ما يقارب (٥٠) مليون ضحية!؟

هل التعليم الديني في الإسلام، كان سببا في حرق مدينة بغداد على يد المغول عام ١٢٥٨م، ودمروها وأبادوا سكانها؟؟

هل التعليم الديني في الإسلام، كان سببا في حرق مدينة بغداد على يد أمريكا وبريطانيا عام ٢٠٠٣، وشارك فيها (٣٦) بلدا آخر، نتج عنها مئات آلاف الضحايا!؟؟

هل التعليم الديني في الإسلام، كان سببا في تدمير مدينة بيروت على يد الجيش الاسرائيلي عام ١٩٨٢، نتج عنه خراب ودماء كثيرة ؟؟!

أم أن التعليم الديني في الإسلام، كان سببا في اندلاع الحروب الصليبية الأوروبية على البلاد الإسلامية استمرت مئات الأعوام، كان ذروتها ما بين (١٠٩٦-١٢٩١) ، نتج عنها دمار وخراب وكثير من الدماء ؟؟!

وهنا، يجدر بنا أن نوضح بأن الإسلام قد شرع الجهاد للدفاع عن بلاد المسلمين، فإذا اعتدى فرد أو جماعة أو دولة على المسلمين وأوطانهم، يصبح الجهاد فرضا عليهم للدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وعن ثرواتهم وأرضهم وسمائهم، فالجهاد قتال ضد العدو المعتدي، وقد أمر الله

المسلمين أن يردّوا هذا العدوان في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾[1].

أما الإرهاب بشتى أشكاله المعروفة اليوم، فإنه مرفوض جملة وتفصيلا، ولا يمت لمبادئ الإسلام وقيمه بأدنى صلة، وتفجير الشخص لنفسه بهدف قتل أكبر عدد من الأبرياء أمر مرفوض، فهو جريمة في حق الله الذي وهب الحياة للبشر، والذي له وحده الحق المطلق في استردادها في الوقت الذي يشاء، ومن هنا فليس من حق إنسان أن يحدد لنفسه أو للآخرين ساعة موته أو موتهم.



(١) [البقرة: ١٩٠].



الاسلام انتشر بالقوة !!

من الشبهات التي يرددها الملحدون والمستشرقون، أن الإسلام انتشر بالقوة العسكرية والعنف وإراقة الدماء، يسرفون في الكذب، يتصايحون قائلين: أرأيتم ؟!! هذا محمد يدعو إلى الحرب ، وإلى الجهاد في سبيل الله، وإلى إكراه الناس على الدخول في الإسلام بالعنف، في حين أن المسيحية تنكر القتال وتمقته، وتدعو إلى السلام، وتنادي بالتسامح، وتربط بين الناس برابطة الإخاء في السيد المسيح!!

وهذا الزعم مردود من وجوه كثيرة، منها:

أن الإسلام نهى عن إكراه الناس على الدخول في الدين، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1] قال ابن كثير: أي: " لا تُكرِهُوا أحدا على الدخول في دين الإسلام".

وقد أمر الله تعالى خاتم المرسلين بذلك فقال: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

(١) [النحل: ١٢٥].

(٢) [النحل: ١٢٥].

فلو كان الإسلام قائما على القوة والبطش وإجبار الناس على الدخول في الإسلام لما كانت هذه الدعوة بالحسنى.

كما أن الإسلام أمر بالإحسان إلى غير المسلمين في شواهد كثيرة.

ونهى عن إيذاء أهل الذمّة من اليهود والنصارى وغيرهم.

وأباح الزواج من نسائهم مع بقائها على دينها، فلو كان الإسلام يجُبِر أحدًا على اعتناقه لأجبر الزوجة على ترك دينها واعتناق الإسلام.

كما أن الإسلام أقرَّ بقاء غير المسلمين على دينهم، واكتفى منهم بمبلغ سنوي زهيد جدا(الجزية) وهو أقل بكثير من الزكاة المفروضة على المسلمين، مقابل الاعفاء من الخدمة العسكرية، وتوفير الأمن لهم وحمايتهم، وجعل هذا المبلغ مقتصرا على الرجال الأقوياء فقط، فلا يُؤخذ شيء من النساء والأطفال والفقراء والعاجزين والرهبان، مع بقائهم على دينهم جميعا.

وأن كثيرا من شعوب العالم في الشرق والغرب، سواء في ماليزيا أو أندونيسيا أو الصين أو الفلبين أو غيرها؛ اعتنقت دين الإسلام طوعًا واختيارًا؛ دون استخدام قوة أو تهديد.

وكثيرا ما نقرأ شهادات واعترافات غير المسلمين من المفكرين والفلاسفة والأدباء وغيرهم في بيان انتشار الاسلام دون سيف أو عنف.

ومن الإنصاف أن نقول: إن بعض المستشرقين لم يؤمن بهذه الفرية، ويرى أن الجهاد كان لحماية الدعوة ورد العدوان، وأنه لا إكراه في الدين.

والحقيقة أن المسيحية لا تنكر القتال على إطلاقه كما يزعمون، بل ورد في إنجيل متي الإصحاح العاشر فقرة (٣٥) وما بعدها ما يؤكد عكس ذلك.

فما رأي المبشرين والمستشرقين في هذا ؟

أنصدّقهم ونكذّب الإنجيل؟

أم نكذّبهم ونصدّق الإنجيل؟!

وأما التوراة، فإن شواهد تشريع القتال فيها أكثر من أن تحصى، على ما فيه من الصرامة وبلوغ الغاية في الشدة، مما يدل دلالة قاطعة على الفرق ما بين آداب الحرب في الإسلام وغيره من الأديان.

وما يدلّ على هذا الافتراء أن تاريخ الأمم المسيحية في القديم والحديث (شاهد عدل) على رد دعواهم، فمنذ فجر المسيحية إلى يومنا هذا، ارتوت أقطار الأرض جميعها بالدماء باسم السيد المسيح؛ الرومان وأمم أوروبا كلها، والحروب الصليبية، ولقد ظلّت الجيوش باسم الصليب تنحدر من أوروبا خلال مئات السنين قاصدة أقطار الشرق الإسلامية تريق الدماء، وفي

كل مرة كان البابوات يباركون هذه الجيوش الزاحفة للاستيلاء على بيت المقدس وتخريب بلاد الشام والإسلام.

أفكان هؤلاء البابوات جميعاً مسيحيتهم زائفة ؟!

أم كانوا لا يعلمون أن المسيحية تنكر القتال على إطلاقه؟!

أم أنهم يعلمون، لكنهم يناقضون ويتنكّرون؟!

أجيبونا أيها المبشِّرون والمستشرقون !؟؟

فإن قالوا: تلك كانت العصور الوسطى عصور الظلام، ولا يحتج على المسيحية بها، فماذا يقولون في هذا القرن العشرين الذي نعيشه؟؟ والذي يسمّونه عصر الحضارة الإنسانية الراقية؟!

لقد شهد القرن (العشرون) من الحروب التي قامت بها الدول المسيحية، ما هو أشد وأقسى مما شهدته العصور الوسطى!!

ألم يقف (اللورد اللنبي) ممثل الحلفاء: إنجلترا وفرنسا وإيطاليا ورومانيا وأميركا في بيت المقدس في سنة ١٩١٨ ، حين استولى عليه قائلاً: (اليوم انتهت الحروب الصليبية)؟؟!

ألم يقف الفرنسي (غورو) ممثل الحلفاء أيضاً، وقد دخل دمشق أمام قبر البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي قائلاً: (لقد عدنا يا صلاح الدين) ؟!!

وهل هُدمت مدن وأسواق، وسُفكت دماء، واغتُصبت نساء في البوسنة والهرسك إلا باسم الصليب؟

بل أين هؤلاء مما حدث في الشيشان ومازال يحدث؟

وفي إفريقيا ؟ واندونيسيا ؟ وغيرها ؟

وهل يستطيع هؤلاء إنكار أن ما حدث في (كوسوفا) كان حربا صليبية ؟

إن الإسلام إنما أسر النفوس بسماحة تعاليمه في العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات، وآدابه في السلم والحرب، وسياسته الممثلة في عدل الحكم والحاكم، وإنصاف المحكومين، والرحمة والإنسانية المهذبة في الغزوات والفتوح، إنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فلا عجب أن أسرعت إلى اعتناقه النفوس.

واستجابت إليه الفطرة السليمة.

وفي زماننا هذا، نرى رأي العين كثيرا من الناس من مختلف الأديان والأعراق والبلدان، يعتنقون الإسلام من دون أيِّ إجبار أو إكراه.

قال سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2].

ولا يتوهمنّ أحد أن حمل الآية على التخيير وعدم الإكراه، يُشعر بإباحة الكفر أو الرضا به، فالآية بنصهاتخيير، ولكنهتخيير يستلزم تهديداً ووعيداً لا محالة في حال اختيار الكفر على الإيمان، وهي نصوص صريحة في عدم الإكراه على الإسلام ابتداء.

وروى الإمام مسلم في صحيحه، بسنده أن النبي ﷺ كان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : **(اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغُلُّوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهنَّ ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن هم أَبَوا فسَلْهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن هم أَبَوا فاستعن بالله وقاتلهم)** ، وهكذا ترى أن النبي ﷺ لم يأمر بالقتال إلا بعد أن تستنفد الوسائل السلمية، وليس بعد استنفادها إلا أنهم قوم يريدون الحرب، وفي

(١) [يونس:٩٩].

(٢) [الكهف:٢٩].

هذا السياق فإن الجزية ليست للإرغام على الإسلام، وإنما هي نظير حمايتهم وتأمينهم وتقديم شتى الخدمات لهم.

وقد يقول قائل: فما تقول في الحديث الشريف: **(أمرتُ أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا : لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله ؟)**[1]. المراد بالحديث فئة خاصة وهم وثنيو العرب، لأنهم أعرف الناس بصدق الرسول(ص)، فهو عربي من أنفسهم والقرآن عربي بلغتهم، والحق بالنسبة إليهم واضح ظاهر، أما غيرهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم على التخيير بين الأمور الثلاثة التي نص عليها حديث مسلم .

ثم ما رأي الملحدين والمستشرقين في أنّ من أكره على شيء لا يلبث أن يتحرّر منه إذا وجد الفرصة سانحة له ؟ بل ويصبح حرباً على هذا الذي أكره عليه ؟ ونحن نجد مئات ملايين البشر في أنحاء شرق آسيا دخلوا الإسلام في عصر الفتوحات، وما لبثوا أن بقوا على إسلامهم بعد فقد هذا الدين قوته العسكرية والسياسية، لم يرتدّوا عن دينهم إلى النصرانية، بل هم في ثبات وازدياد.

فأين هم الذين ارتدوا عنه ؟ أخبرونا !؟

(١) متفق عليه.

ثم ماذا تقولون عن شعوب أخرى في أنحاء العالم، في هذا الزمان، يدخلون في دين الله أفواجا، اختيارا وطواعية، لا يخافون طائرة حربية ولا تلاحقهم دبابة، بل إن الإسلام اليوم يتلوّع ضعفا عسكريا وحصارا سياسيا من شتى القوى العظمى والصغرى من شتى دول العالم، وهو يعاني الأمرّين، لا يخرج من ضائقة إلا ويقع في أخرى، وظلم ذوي القربى أشدّ.

فهل جهّز المسلمون اليوم جيوشاً أرغمت هؤلاء على الإسلام ؟

ألا فليسألوا أحرار الفكر الذين أسلموا من أوروبا وغيرها؟

وسيجدون عندهم النبأ اليقين.





فهرس الموضوعات





حِوارُ مع كافرٍ
د. أحمد حسين الرفاعي
القدس

